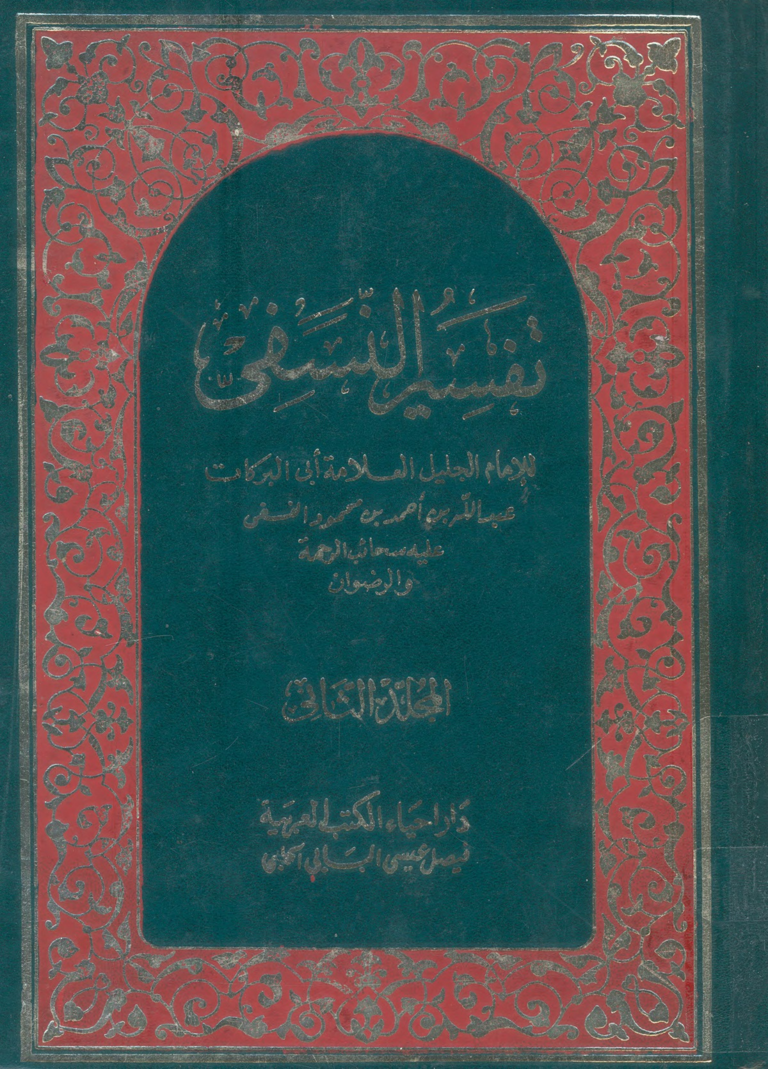


تفسير النسفي
للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان
المجلد الثاني
دار إحياء الكتب العربية
فيصل عيسى البابي الحلبي

تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

عليه سحائب الرحمة

والرضوان

الجزء الثالث

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد ﷺ (الْكِتَابَ) القرآن، لقن الله عباده وفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الإسلام وما أنزل على محمد ﷺ من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) أى شيئا من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان، يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شىء منه من الحكمة (قَيِّمًا) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره جعله قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لِّيُنذِرَ) أنذر متعد إلى مفعولين كقوله : إنا أنذرناكم عذابا قريبا. فاقتصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا (بَأْسًا) عذابا (شَدِيدًا) وإنما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه (مِّن لَّدُنْهُ) صادرا من عنده (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ) أى بأن لهم (أَجْرًا حَسَنًا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (مَّاكِثِينَ) حال من هم فى لهم (فِيهِ) فى الأجر وهو الجنة (أَبَدًا وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره (مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط، فإن قلت: اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشىء إما للجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنه فى نفسه محال

(وَلاَ لِآبَآئِهِمْ) المقلدين (كَبُرَتْ كَلِمَةً) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع إلى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً) ما يقولون ذلك إلا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) قاتل نفسك (عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِمْ) أى آثار الكفار شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) بالقرآن (أَسَفًا) مفعول له أى لفرط الحزن، والأسف المبالغة فى الحزن والغضب (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل إليها بقوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا) من هذه الزينة (صَعِيدًا) أرضا ملساء (جُرُزًا) يابسا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التى لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) يعنى أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب فى شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا) أى كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (إِذْ) أى اذكر إذ (أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رَشَدًا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك (فَضَرَبْنَا

عَلَىٰ ءاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) أى ضربنا عليها حجابا من النوم يعنى أنمناهم إنامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب (سِنِينَ عَدَدًا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أى تعد عددا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عد فأمادراهم معدودة فهى على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ) أيقظناهم من النوم (لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم (أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لأحصى أو معمول له والفعل الماضى خبر المبتدأ وهو أى والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولى نعلم والمعنى أيهم ضبط أمداً لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الإحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لايدعى قبل الفعل ولا يزكى نفسه بعد الفعل (ءامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله فى قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما مايضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) وقويناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام (إِذْ قَامُوا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام (فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) مفتخرين (لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا) ولئن سميناهم آلهة (لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) قولا ذا شطط وهو الإفراط فى الظلم والإبعاد فيه من شط يشط ويشط إذا بعد (هَٰٓؤُلَآءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا

مِن دُونِهِ آلِهَةً) خبر وهو إخبار فى معنى الإنكار (لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وَمَا يَعْبُدُونَ) نصب عطف على الضمير أى وإذ اعتزلتموهم وإذ اعتزلتم معبوديهم (إِلَّا اللَّهَ) استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة أو منقطع أى وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التى يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) صيروا إليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ) من رزقه (وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) مَرفقا مدنى وشامى وهو ما يرتفق به أى ينتفع وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبى فى عصرهم (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ) بتخفيف الزاى كوفى، تزورّ شامى، تزّاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بإدغام التاء فى الزاى أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق (عَن كَهْفِهِمْ) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذَاتَ الْيَمِينِ) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) فى متسع من الكهف والمعنى أنهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) مثل ما مر فى سبحان وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية (وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا) أى من أضله فلا هادى له (وَتَحْسَبُهُمْ) بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الأعشى وهو خطاب لكل أحد (أَيْقَاظًا)

جمع يقظ (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان فى معنى المضى (بِالْوَصِيدِ) بالفناء أو بالعتبة (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم (لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ) لأعرضت عنهم وهربت منهم (فِرَاراً) منصوب على المصدر لأن معنى وليت منهم فررت منهم (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ) وبتشديد اللام حجازى للمبالغة (رُعْباً) تمييز وبضم العين شامى وعلى وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضى الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح (وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهارا للقدرة على الإنامة والبعث جميعا (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) رئيسهم (كَمْ لَبِثْتُمْ) كم مدة لبثكم (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) بمدة لبثكم إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم فى يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال فى الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا فى جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قال ربكم أعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم أى يمليخا (بِوَرِقِكُمْ) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) هى طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى

مافى أوعيـة القوم من النفقات وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ) أى أهلها فحذف كما فى واسئل القرية وأى مبتدأ وخبره (أَزْكَىٰ) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طَعَامًا) تمييز (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لايغبن أو فى أمر التخفى حتى لايعرف (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) ولا يفعلن مايؤدى إلى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه والضمير فى (إِنَّهُمْ) راجع إلى الأهل المقدر فى أيها (إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) يطلعوا عليكم (يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم أخبث القتلة (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) بالإكراه، والعود بمعنى الصيرورة كثير فى كلامهم (وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا) إذاً يدل على الشرط أى ولن تفلحوا إن دخلتم فى دينهم أبدا (وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ) وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم(لِيَعْلَمُوٓا) أى الذين أطلعناهم على حالهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) وهو البعث (حَقٌّ) كائن لأن حالهم فى نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ) متعلق بأعثرنا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) أمر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فَقَالُوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة (رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رداً لقول الخائضين فى حديثهم (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم) على باب الكهف (مَّسْجِدًا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على

الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ماتريدون منى إنى أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسدبه فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الضمير فى سيقولون لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله ﷺ من المؤمنين، وأهل الكتاب سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ وبما ذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا وشليناهؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وإن دخل فى الأول دون الآخرين فهما داخلان فى حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعاً أو أريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ

محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أى يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم) أى قل ربى أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم (مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف (إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا) إلا جدا لا ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا) ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ماعنده ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ) لأجل شىء تعزم عليه (إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ) الشىء (غَدًا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) أن تقوله بأن يأذن ذلك لك فيه أو ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أى إلا بمشيئته وهو فى موضع الحال أى إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن إنى أفعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى لأن قول القائل أنا أفعل ذلك إن شاء الله معناه لا أفعله إلا بمشيئة الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم

يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه (وَاذْكُرْ رَّبَّكَ) أى مشيئة ربك وقل إن شاءالله (إِذَا نَسِيتَ) إذا فرط منــك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام فى مجلس الذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهــذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح إلا متصلا وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمــه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليــه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجــوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً فى البعث على الاهتمام بهــا أوصل صــلاة نسيتها إذا ذكرتها أو إذا نسيت شيئا فاذكره ليذكرك المنسى (وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا) يعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك، وذكر ربك عندنسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشىء آخر بدل هذا المنسى أقرب منه رشداً وأدنى خيرا ومنفعة . أن يهدين، إن ترن، أن يؤتين، أن تعلمن. مكى فى الحالين ووافقه أبوعمرو ومدنى فى الوصل (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ) يريد لبثهم فيه أحيــاء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمــل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الــكهف سنين عدداً وسنين عطف بيان لثلثمائة. ثلثمائة سنين بالإضافة حمزة وعلىّ على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا (وَازْدَادُوا تِسْعًا) أى تسع سنين لدلالة ماقبله عليــه وتسعا مفعول به لأن زاد تقتضى مفعولين فازداد يقتضى مفعولا واحدا (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو هو حكاية لــكلام أهل الــكتاب وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا فى كهفهم كذا مدة (لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب فى السماوات والأرض وخفى فيها من أحوال أهلها (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) أى وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لــكل مسموع (مَا لَهُم) لأهل السماوات والأرض (مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ) من متول لأمورهم (وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ) فى قضائه (أَحَدًا) منهم، ولا تشرك على النهى شامى كانوا يقولون له ائت بقرآن

غير هذا أو بدله فقيل له (وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ) أى من القرآن ولا تسمع لما يهزون به من طلب التبديل فإنه (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ) أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده (وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ تعدل إليه أن هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ نح هؤلاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم) واحبسها معهم وثبتها (بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصير أوهما صلاة الفجر والعصر. بالغُدوة شامى (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) رضا الله (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) ولا تجاوز، عداه إذا حاوزه وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا فى قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) فى موضع الحال (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد (وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) مجاوزا عن الحق (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ) أى الإسلام أو القرآن، والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ) أى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ماشئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (إِنَّآ أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلظَّٰلِمِينَ) للكافرين فقيد بالسياق كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق وهو قوله إنا أعتدنا للظالمين (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وَإِن يَسْتَغِيثُوا) من العطش (يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الأرض وفيه تهكم بهم (يَشْوِى الْوُجُوهَ) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بِئْسَ الشَّرَابُ) ذلك (وَسَآءَتْ) النار (مُرْتَفَقًا) متكأ من المرفق وهذه لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار وبين جزاء من اختار الإيمان فقال (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ

جَنَّٰتُ عَدْنٍ) كلام مستأنف بيان للأجر المبهم ولك أن تجعل إنا لانضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم أولأن من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام من أحسن مقام الضمير (تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) من للابتداء وتنكير أساور وهى جمع أسورة التى هى جمع سوار لإبهام أمرها فى الحسن (مِن ذَهَبٍ) من للتبيين (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ) مارق من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ماغلظ منه أى يجمعون بين النوعين (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ) خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم (نِعْمَ الثَّوَابُ) الجنة (وَحَسُنَتْ) الجنة والأرائك (مُرْتَفَقًا) متكأ (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ) ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى والصافات فى قوله قال قائل منهم إنى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار فقال المؤمن : اللهم إن أخى اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشترى منك أرضاً فى الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بألف فقال: اللهم إنى أشترى منك داراً فى الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إنى جعلت ألفا صداقاً للحور ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال اللهم إنى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ) بساتين من كروم (وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ) وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا أطافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ) أعطت حمل على اللفظ لأن لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أُكُلَهَا) ثمرها (وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ) ولم تنقص من أكلها (شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل مايسقى به وهو

النهر الجارى فيها (وَكَانَ لَهُ) لصاحب الجنتين (ثَمَرٌ) أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره. أى كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرها له ثمر وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) أنصاراً وحشماً، أو أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) إحدى جنتيه أو سماها جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجارى بينهما (وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) ضار لها بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا) أى أن تهلك هذه الجنة شك فى بيدودة جنته لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) كائنة (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيراً من جنته فى الدنيا إدعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تمييز أى مرجعاً وعاقبة (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ) أى خلق أصلك لأن خلق أصله سبب فى خلقه وكان خلقه خلقاً له (ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) أى خلقك من نطفة (ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال جعله كافراً بالله لشكه فى البعث (لَّٰكِنَّا) بالألف فى الوصل شامى، الباقون بغير ألف، وبالألف فى الوقف اتفاق، وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى فى الثانية بعد أن سكنت (هُوَ اللَّهُ رَبِّي) هو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمراً حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا) وهلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف، تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعنى أى شىء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله وأن أمرها بيده إن

شاء تركها عامرة وإن شاء خربها (لَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده من قرأ (إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائى جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانياً لترنى وفى قوله (وَوَلَدًا) نصرة لمن فسر النفر بالأولاد فى قوله: وأعز نفراً (فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ) فى الدنيا أو فى العقبى (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) عذاباً (مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) غائراً أى ذاهباً فى الأرض (فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لإيمانى جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) هو عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل إهلاك (فَأَصْبَحَ) أى الكافر (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) يضرب إحداهما على الأخرى ندماً وتحسراً وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولأنه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا) أى فى عمارتها (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) يعنى أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم (وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمنى ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الإيمان (وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ) يقدرون على نصرته (مِن دُونِ اللَّهِ) أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة (وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلى فهى بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أن قوله

ياليتنى لم أشرك بربى أحداً كلة الجىء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها . أوهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء ويؤيده قوله (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) أى لأوليائه أوهنالك إشارة إلى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله: لمن الملك اليوم. الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية أو خبر مبتدأ محذوف أى هى الحق أوهو الحق غيرهما بالجر صفة لله. عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهما وفى الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَآءِ) أى هى كماء أنزلناه (فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر فى النبات الماء فاختلط به حتى روى (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا) يابساً متكسراً الواحدة هشيمة (تَذْرُوهُ الرِّيَـٰحُ) تنسفه وتطيره. الريح حمزة وعلى (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من الإنشاء والإفناء (مُّقْتَدِرًا) قادراً شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) لازاد القبر وعدة العقبى (وَالْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للإنسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا) جزاء (وَخَيْرٌ أَمَلًا) لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعنى أن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة (وَيَوْمَ) واذكر يوم (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) تُسيَّر الجبال مكى وشامى وأبوعمرو أى تسير فى الجو أويذهب بها بأن تجعل هباء منثوراً منبثاً (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ليس عليها مايسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وَحَشَرْنَـٰهُمْ) أى الموتى (فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) أى فلم نترك. غادره أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ماغادره السيل (وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (لَّقَدْ جِئْتُمُونَا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب فى يوم نسير (كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى لقد بعثنا كم كما أنشأنا كم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شىء معكم كما خلقنا كم أولا وإنما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على

حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا) وقتاً لإنجاز ماوعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أى صحف الأعمال (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ) من الذنوب (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) أى لا يترك شيئاً من المعاصى (إِلَّا أَحْصَاهَا) حصرها وضبطها (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) فى الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية أو سجود انقياد (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) وهو مستأنف كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) خرج عما أمره ربه به من السجود هو دليل على أنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي) وتستبدلونهم بى ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والأعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومطوس صاحب الأراجيف وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أعداء (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله (مَّا أَشْهَدتُّهُمْ) أى إبليس وذريته (خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الإلهية فنفى مشاركتهم فى الإلهية بقوله ماأشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم فى خلقها أو أشاورهم فيه أى تفردت بخلق الأشياء فأفردونى فى العبادة (وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ) أى وما كنت متخذهم (عَضُدًا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذمًّا لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضداً لى فى الخلق فمالكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة (وَيَوْمَ يَقُولُ) الله للكفار، وبالنون حمزة (نَادُوا) ادعوا بصوت عال (شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أنهم فيكم شركائى ليمنعوكم من عذابى وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا) مهلكاً من وبق يبق وبوقا إذا هلك أو مصدر كالموعد أى وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم

وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعاً أو الملائكة وعزيراً وعيسى والموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بينهم أمداً بعيداً لأنهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا) فأيقنوا (أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) مخالطوها واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا) عن النار (مَصْرِفًا) معدلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) يحتاجون إليه (وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا) تمييز أى أكثر الأشياء التى يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شىء (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ) أى سببه وهو الكتاب والرسول (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ) أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهى الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب أى عذاب الآخرة (قُبُلًا) كوفى أى أنواعا جمع قبيل. الباقون قِبلا أى عيانا (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) يوقف عليه ويستأنف بقوله (وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ) هو قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة (وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِى) القرآن (وَمَآ أُنذِرُوٓا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف أى وما أنذروه من العقاب أو مصدرية أى وإنذارهم (هُزُوًا) موضع استهزاء بسكون الزاى والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاى والهمزة غيرهما (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ) بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليها مذكراً فى قوله أن يفقهوه (فَأَعْرَضَ عَنْهَا) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) عاقبة ماقدمت يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى أن المسىء والمحسن لابد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه (وَإِن تَدْعُهُمْ) يا محمد (إِلَى الْهُدَىٰ) إلى الإيمان

(فَلَن يَهْتَدُوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (إِذًا) جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا مايجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً فى انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لاأدعوهم حرصاً على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً (أَبَدًا) مدة التكليف كلها (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ) البليغ المغفرة (ذُو الرَّحْمَةِ) الموصوف بالرحمة (لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) أى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله ﷺ (بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ) وهو يوم بدر (لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا) منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه (وَتِلْكَ) مبتدأ (الْقُرَىٰ) صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر (أَهْلَكْنَاهُمْ) أو تلك القرى نصب بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لَمَّا ظَلَمُوا) مثل ظلم أهل مكة (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً) وضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته. وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبوبكر أى لوقت هلاكهم أولهلاكهم والموعد وقت أومصدر (وَإِذْ) واذكر إذ (قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ) هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم (لَا أَبْرَحُ) لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الأولى فلأنها كانت حال سفر وأما الثانى فلأن قوله (حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم وسمى خضرا لأنه أينما يصلى يخضر ماحوله (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) أوأسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة. روى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب إليك؟ قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فأى عبادك أقضى؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم؟ قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أوترده عن ردى، فقال إن كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى

فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلماجاءوقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) مجمع البحرين (نَسِيَا حُوتَهُمَا) أى نسى أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد دليله فإنى نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وإنما ينساه متعهد الزادقيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلةعلىشاطىء عين الحياة ونام موسى فلماأصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ) أى اتخذ طريقا له من البر إلى البحر (سَرَباً) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستربه (فَلَمَّا جَاوَزَا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله (قَالَ) موسى (لِفَتَاهُ ءاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ) هى موضع الموعد (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ) ثم اعتذر فقال (وَمَآ أَنسَٰنِيهُ) وبضم الهاء حفص (إِلاَّ الشَّيْطَٰنُ) بإلقاء الخواطر فى القلب (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدل من الهاء فىأنسانيه اى وما أنسانى ذكره إلا الشيطان (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً) وهو أن أثره بقى إلى حيث سار (قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) نطلب وبالياء مكى وافقه أبوعمرو وعلى ومدنى فىالوصل وبغيرياءفيهماغيرهمااتباعا لخط المصحف وذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلاأى ذلك الذى كنانطلب لأن ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءاثَارِهِمَا) فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه (قَصَصاً) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج: القصص اتباع الأثر(فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا)أى الخضر راقداتحت ثوب أوجالسا فىالبحر (ءاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا) هى الوحى والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً) يعنى الإخبار بالغيوب وقيل العلم اللدنى ماحصل للعبد بطريق الإلهام (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى رَشَدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على أنه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قدبلغ نهايته وأن يتواضع لمن هوأعلم منه (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ) وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده فى هذه السورة (صَبْراً) أى عن الإنكار والسؤال (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَالَمْ تُحِطْ

بِهِ خُبْراً) تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هى فى ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا) من الصابرين عن الإنكار والإعراض (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً) فى محل النصب عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص أوهو عطف على ستجدنى ولا محل له (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي) بفتح اللام وتشديد النون مدنى وشامى وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما إجماعا (عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أى فمن شرط اتباعك لى أنك إذا رأيت منى شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفى عليك وجه صحته فانكرت فى نفسك أن لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها مما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا أحد الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْراً) أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم (قَالَ) أى الخضر (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) بالذى نسيته أو بشىء نسيته أو بنسيانى أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة(وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً) رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أى ولا تغشنى عسرا من أمرى وهو اتباعه إياه أى ولا تعسر على متابعتك ويسرها على بالإغضاء وترك المناقشة (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وإنما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لأن خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً) وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زَكِيَّةً) زاكية حجازى وأبوعمرو وهى الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس

رضى الله تعالى عنهما أن نجدة الحرورى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان فكتب إليه أن علمت من حال الولدان ماعلمه موسى فلك أن تقتل (لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئاً أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك هنا لأن النكر فيه أكثر (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا) أعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق. ولدنى بتخفيف النون مدنى وأبو بكر (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى أنطاكية أو الأيلة وهى أبعد أرض الله من السماء (اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) استضافا (فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام «كانوا أهل قرية لئاماً» وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فَوَجَدَا فِيهَا) فى القرية (جِدَارًا) طوله مائة ذراع (يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ) يكاد يسقط استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فَأَقَامَهُ) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) أى لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة. لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال بصرى وبإظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ فى شىء (قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) هذا إشارة إلى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرىء به فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) قيل كانت لعشرة أخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا) أجعلها ذات عيب (وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا) أى يأخذ كل سفينة صالحة لاعيب فيها غصباً وإن كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وإنما قدم للعناية (وَأَمَّا الْغُلَامُ) وكان اسمه الحسين (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) نخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر وإنما خشى الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى فمعنى نخشينا فعلمنا إن عاش أن يصير سببا لكفر والديه (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) يبدّلهما بهما مدنى وأبو عمرو (خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً) طهارة ونقاء من الذنوب (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) رحمة وعطفا وزكاة ورحما تميز روى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا أو سبعين نبيا أو أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رُحُما شامى وهما لغتان (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ) أصرم وصريم (يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ) هى القرية المذكورة (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) أى لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والأول أظهر وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا (وَكَانَ أَبُوهُمَا) قيل جدهما السابع (صَٰلِحًا) ممن يصحبنى وعن الحسين بن على رضى الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبى وجدى خير منه (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أى الحلم (وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه فى معنى رحمهما (مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ) وما فعلت ما رأيت (عَنْ أَمْرِى) عن اجتهادى وإنما فعلته بأمر الله والهاء تعود إلى الكل أو إلى الجدار (ذَٰلِكَ) أى الأجوبة الثلاثة (تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) حذف التاء تخفيفاً وقد زل أقدام أقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبي وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولىّ والجواب أن الخضر نبي وإن لم يكن كما زعم

البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على أن أهل الكتاب يقولون إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن مانان ومن المحال أن يكون الولىّ وليًّا إلا بإيمانه بالنبى ثم يكون النبى دون الولىّ ولا غضاضة فى طلب موسى العلم لأن الزيادة فى العلم مطلوبة وإنما ذكر أولا فأردت لأنه إفساد فى الظاهر وهو فعله وثالثا فأراد ربك لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فأردنا لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فأردنا فأراد الله عزوجل ومثله فى القرآن كثير (وَيَسْـَٔلُونَكَ) أى اليهود على جهة الامتحان أو أبوجهل وأشياعه (عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ) هو الإسكندر الذى ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبداً صالحا ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبداً صالحا ضرب على قرنه الأيمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام «سمى ذا القرنين لأنه طاف قرنى الدنيا» يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أو انقرض فى وقته قرنان من الناس أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم (قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ) من ذى القرنين (ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء (وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ) أراده من أغراضه ومقاصده فى ملكه (سَبَبًا) طريقا موصلا إليه (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) والسبب مايتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا. يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد الشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا. فأتبع سببا ثم أتبع كوفى وشامى الباقون بوصل الألف وتشديد التاء عن الأصمعى أتبع لحق واتبع اقتفى وإن لم يلحق (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) أى منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال ﷺ «بدء أمره أنه وجد فى الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير فى طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ

حَمِئَةٍ) ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة حامية شامى وكوفى غير حفص بمعنى حارة وعن أبى ذر كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال «أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه» قلت الله ورسوله أعلم قال «فإنها تغرب فى عين حامية» وكان ابن عباس رضى الله عنهما عنـد معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمرو كيف تقرؤها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافى فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (وَوَجَدَ عِندَهَا) عند تلك العين (قَوْمًا) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالفظ البحر وكانوا كفارا (قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) إن كان نبيا فقد أوحى الله إليه بهذا وإلا فقد أوحى إلى نبى فأمره النبى به أو كان إلهاما خـير بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسنا بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان (قَالَ) ذو القرنين (أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ) بالقتل (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا) فى القيامة يعنى أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب فى الدارين (وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا) أى عمل ما يقتضيه الإيمان (فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ) فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة. جزاءُ الحسنى كوفى غير أبى بكر أى فله الفعلة الحسنى جزاء (وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) أى ذا يسر أى لا نأمره بالصعب الشاق ولـكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغـير ذلك (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ) هم الزنج (لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا) من دون الشمس (سِتْرًا) أى أبنية عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهـل الأرض (كَذَٰلِكَ) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خُبْرًا) نصب على المصدر لأن فى أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل

ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بين الجبلين وهما جبلان سدذو القرنين ما بينهما. السَّدين وسَدا مكى وأبو عمرو وحفص السُّدين وسُدا حمزة وعلى وبضمهما غيرهم قيل ما كان مسدوداً خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على أنه مفعول به لبلغ كما انجر بالإضافة فى هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا) من ورائهما (قَوْمًا) هم الترك (لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أى لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها. يُفقهون حمزة وعلى أن لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) خراجا حمزة وعلى أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي) بالإدغام وبفكه مكى (فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) أى ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى إليه (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) جداراً وحاجزاً حصينا موثقا والردم أكبر من السد (ءاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سدما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلدا وصلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ (حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) بفتحتين جانبى الجبلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان. الصُّدُفين مكى وبصرى وشامى. الصُّدْفين أبو بكر

(قَالَ انفُخُوا) أى قال ذو القرنين للعملة انفخوا فى الحديد (حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ) أى المنفوخ فيه وهو الحديد (نَارًا) كالنار (قَالَ ءَاتُونِىٓ) أعطونى (أُفْرِغْ) أصب (عَلَيْهِ قِطْرًا) نحاسا مذابا لأنه يقطر وهو منصوب بأفرغ وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثانى عليه قال ائتونى بوصل الألف حمزة وإذا ابتدأ كسر الألف أى جيئونى (فَمَا اسْطَٰعُوٓا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء (أَن يَظْهَرُوهُ) أن يعلوا السد (وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى) أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى) فإذا دنى مجىء يوم القيامة وشارف أن يأتى (جَعَلَهُۥ) أى السد (دَكَّآءَ) أى مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ماانبسط بعد ارتفاع فقد اندك. دكاء كوفى أى أرضا مستوية (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا) آخر قول ذى القرنين (وَتَرَكْنَا) وجعلنا (بَعْضَهُمْ) بعض الخلق (يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ) يختلط (فِى بَعْضٍ) أى يطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ) لقيام الساعة (فَجَمَعْنَٰهُمْ) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب (جَمْعًا) تأكيد (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى) عن آياتى التى ينظر إليها أو عن القرآن فأذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أى وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ) أى أفظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ماظنوا وقيل أن بصلتها سد مسد مفعولى أحسب وعبادى أولياء مفعولا أن يتخذوا وهذا أوجه يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء (إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَـٰلًا) أعمالا تميز وإنما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الأهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ) هى عطف بيان لجزاؤهم (بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَـٰلِدِينَ فِيهَا) حال (لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا) تحولا إلى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح مائل الطرف إلى أرفع منه أو المراد نفى التحول وتأكيد الخلود (قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ) أى ماء البحر (مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ) بمثل البحر (مَدَدًا) لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تميز نحو لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. ينفد حمزة وعلى، وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرءون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا) خالصا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحى منه (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا) هو نهى عن الشرك أو عن الرياء قال ﷺ «اتقوا الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر قال «الرياء» قال ﷺ «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن يخرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومن قرأ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إلى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى

مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نوريتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ » .

﴿ سورة مريم عليها السلام مكية، وهى ثمان أو تسع وتسعون آية مدنى وشامى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كٓهيعٓصٓ) قال السدى هو اسم الله الأعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ) خبر مبتدأ أى هذا ذكر (عَبْدَهُ) مفعول الرحمة (زَكَرِيَّآ) بالقصر حمزة وعلى وحفص وهو بدل من عبده (إِذْ) ظرف للرحمة (نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا) دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة (قَالَ رَبِّ) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربى فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصارا (إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى) ضعف وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا) تمييز أى فشا فى رأسى الشيب واشتعلت النار إذا تفرقت فى التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى أن أصل الكلام يارب قد شخت إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه إنى وهنت عظام بدنى وأقوى منه إنى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الإجمال والتفصيل وأقوى منه إنى وهنت العظام منى ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه إنى وهن العظم منى لشمول الوهن

العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون
كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى إلى أبلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب
رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة
شمول الاشتعال الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار
فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف فى طريق التمييز
وأبلغ منه واشتعل الرأس منى شيبا للامر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب
إنه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ) مصدر مضاف إلى
المفعول أى بدعائى إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير
شقى فيه يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقى إذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم أن محتاجا
سأله وقال أنا الذى أحسنت إلى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقت حاجته وقضى
حاجته (وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ) هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى إسرائيل نخافهم
أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى
إحياء الدين (مِن وَرَآءِى) بعد موتى وبالقصر وفتح الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق
بخفت لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى
خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائى
(وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا) عقيما لا تلد (فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ) اختراعا منك بلا سبب لأن
امرأتى لا تصلح للولادة (وَلِيًّا) إبنا يلى أمرك بعدى (يَرِثُنِى وَيَرِثُ) برفعهما صفة لوليا
أى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة أنه يصلح لأن يوحى
إليه ولم يرد أن نفس النبوة تورث وبجزمهما أبو عمرو وعلى على أنه جواب للدعاء يقال ورثته
وورثت منه (مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ) يعقوب بن إسحق (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) مرضيا ترضاه
أو راضيا عنك وبحكمك فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ اسْمُهُ
يَحْيَىٰ) تولى الله تسميته تشريفا له. نبشرك بالتخفيف حمزة (لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا)
لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا دليل على أن الاسم الغريب جدير بالأثرة وقيل مثلا وشبيها ولم

يكن له مثل فى أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ) كيف (يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأى طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شابين (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الأوائل حمزة وعلى وحفص إلا فى بكيا (قَالَ كَذَٰلِكَ) الكاف رفع أى الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قَالَ رَبُّكَ) أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أى خلق يحيى من كبيرين سهل (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ) أو جدتك من قبل يحيى. خلقناك حمزة وعلى (وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) لأن المعدوم ليس بشىء (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً) علامة أعرف بها حبل امرأتى (قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح مابك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالى هنا والأيام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بإزائها من الأيام عرفا (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ) أشار بإصبعه (أَن سَبِّحُوا) صلوا وأن هى المفسرة (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) صلاة الفجر والعصر (يَٰيَحْيَىٰ) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خُذِ الْكِتَٰبَ) التوراة (بِقُوَّةٍ) حال أى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صَبِيًّا) حال قيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبى فقال: ما للعب خلقنا (وَحَنَانًا) شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما عطفا على الحكم (مِّن لَّدُنَّا) من عندنا (وَزَكَوٰةً) أى طهارة وصلاحا فلم يعمد بذنب (وَكَانَ تَقِيًّا) مسلما مطيعا (وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ) وبارا بهما لا يعصيهما (وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا) متكبرا (عَصِيًّا) عاصيا لربه (وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ) أمان من الله له (يَوْمَ وُلِدَ) من أن يناله الشيطان (وَيَوْمَ يَمُوتُ) من فتانى القبر (وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) من الفزع الأكبر قال ابن عيينة : إنها أوحش المواطن (وَاذْكُرْ) يا محمد (فِي الْكِتَٰبِ) القرآن (مَرْيَمَ) أى

اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (إِذِ) بدل من مريم بدل اشتمال إذ الأحيان مشتملة على مافيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) أى اعتزلت (مَكَانًا) ظرف (شَرْقِيًّا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أومن دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل عليه السلام والإضافة للتشريف وإنما سمى روحا لأن الدين يحيا به وبوحيه (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر (سَوِيًّا) مستوى الخلق وإنما مثل لها فى صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولاتنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) أى . إن كان يرجى منك أن تتقى الله فإنى عائذة به منك (قَالَ) جبريل عليه السلام (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) أمنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعاذت به (لِأَهَبَ لَكِ) بإذن الله تعالى أو لأكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع . ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غُلَامًا زَكِيًّا) طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير والبركة (قَالَتْ أَنَّىٰ) كيف (يَكُونُ لِى غُلَامٌ) ابن (وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ) زوج بالنكاح (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) فاجرة تبغى الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين، والبغى فعول عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين إتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فى امرأة صبور وشكور وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى مفعولة وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل إن رحمة الله قريب (قَالَ) جبريل (كَذَٰلِكِ) أى الأمر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا أو سفاحا (قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ) أى إعطاء الولد بلا أب على سهل (وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ)تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهاناً على قدرتنا (وَرَحْمَةً مِّنَّا) لمن آمن به (وَكَانَ) خلق عيسى (أَمْرًا مَّقْضِيًّا) مقدراً مسطوراً فى اللوح فلما اطمأنت إلى قوله دنا منها فنفخ

فى جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها (فَحَمَلَتْهُ) أى الموهوب وكانت سنها ثلاث عشرة سنة أو عشراً أو عشرين (فَانتَبَذَتْ بِهِ) اعتزلت وهو فى بطنها والجار والمجرور فى موضع الحال، عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل حملته فى ساعة ووضعته فى ساعة (مَكَانًا قَصِيًّا) بعيداً من أهلها وراء الجبل وذلك لأنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة (فَأَجَآءَهَا) جاء بها وقيل ألجأها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد (ٱلْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب لأنه خرسة النفساء أى طعامها ثم (قَالَتْ) جزعا مما أصابها (يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا) اليوم مِتُّ مدنى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) شيئاً متروكا لا يعرف ولا يذكر. بفتح النون حمزة وحفص بالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشىء الذى حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ) مَن أى الذى تحتها فن فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها. من تحتها مدنى وكوفى سوى أبى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء فى تحتها للنخلة ولشدة مالقيت سليت بقوله (أَلَّا تَحْزَنِى) لا تهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وأن بمعنى أى (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ) بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجرى جرى وإن أمرته أن يقف وقف (سَرِيًّا) نهراً صغيرا عند الجمهور وسئل النبى ﷺ عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيداً كريما يعنى عيسى عليه السلام وروى أن خالد بن صفوان قال له إن العرب تسمى الجدول سرياً فقال الحسن صدقت ورجع إلى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وَهُزِّىٓ) حركى (إِلَيْكِ)

إلى نفسك (بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال أبو على الباء زائدة أى هزى جذع النخلة (تُسَاقِطْ عَلَيْكِ) بإدغام التاء الأولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والأصل تتساقط بإظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رُطَباً) تمييز أو مفعول به على حسب القراءة (جَنِيًّا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل (فَكُلِي) من الجنى (وَاشْرَبِي) من السرى (وَقَرِّي عَيْناً) بالولد الرضى وعينا تمييز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما أحزنك (فَإِمَّا) أصله إن مافضمت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها (تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً) أى فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك فقولى إنى نذرت للرحمن سمتاً وإمساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وإنما أمرت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرىء به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على أن السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقد تسمى الإشارة كلاماً وقولا ألا ترى إلى قول الشاعر فى وصف القبور * وتكلمت عن أوجه تبلى * وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هـــذا القدر بالنطق (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) آدميا (فَأَتَتْ بِهِ) بعيسى (قَوْمَهَا) بعد ما طهرت من نفاسها (تَحْمِلُهُ) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة إياه فلما رأوه معهـا (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا) بديعاً عجيباً والفرى القطع كأنه يقطع العادة (يَا أُخْتَ هَارُونَ) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى إسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا همدان أى يا واحداً منهم

أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به (مَا كَانَ أَبُوكِ) عمران (امْرَأَ سَوْءٍ) زانيا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ) حنة (بَغِيًّا) زانية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) إلى عيسى أن يجيبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وأحيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا و (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ) حدث ووجد (فِى الْمَهْدِ) المهود (صَبِيًّا) حال (قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع إنى عبد الله وفيه رد لقول النصارى (ءَاتَنِىَ الْكِتَابَ) الإنجيل (وَجَعَلَنِى نَبِيًّا) روى عن الحسن أنه كان فى المهد نبياً وكلامه معجزته وقيل معناه أن ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لامحالة كأنه وجد (وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ) نفاعا حيث كنت أومعلما للخير (وَأَوْصَانِى) وأمرنى (بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ) إن ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصانى بأن آمركم بالصلاة والزكاة (مَادُمْتُ حَيًّا) نصب على الظرف أى مدة حياتى (وَبَرًّا بِوَالِدَتِى) عطفاً على مباركا أى باراً بها أكرمها وأعظمها (وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا) متكبراً (شَقِيًّا) عاقا (وَالسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) أى ذلك السلام الموجه إلى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه إلى إن كان حرف التعريف للعهد وإن كان للجنس فالمعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لأنه إذا قال وجنس السلام على فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض (ذَٰلِكَ) مبتدأ (عِيسَى) خبره (ابْنُ مَرْيَمَ) نعته أو خبر ثان أى ذلك الذى قال إنى كذا وكذا عيسى بن مريم لا كما قالت النصارى إنه إله أو ابن الله (قَوْلَ الْحَقِّ) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لأنه ولد بقوله كن بلاواسطة أب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أوخبر مبتدأ محذوف أوبدل من عيسى ونصبه شامى وعاصم على المدح أو على المصدر أى أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإله كما يدعونه (الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) يشكون من المرية الشك أويختلفون من المراء، فقالت اليهود: ساحر كذاب وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة (مَا كَانَ لِلَّهِ) ماينبغى له (أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ)

جيء بمن لتأكيد النفي (سُبْحَٰنَهُۥٓ) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) بالنصب شامي أي كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد (وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ) بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فأنتم عبيده علي وعليكم أن نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم أو علقه بما بعده أي ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه (هَٰذَا) ذكرت (صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا (فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (مِنۢ بَيْنِهِمْ)من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان فقال يعقوب هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه إليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقاً نبيا فتبع كل واحد منهم قوم (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق (مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ماشهدوا به في عيسى (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا قال قتادة: إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم، وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا (لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ) أقيم الظاهر مقام المضمر أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاسماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (فِى ضَلَٰلٍ) عن الحق (مُّبِينٍ) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلهاً معبوداً مع ظهور آثار الحدث فيه إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم (وَأَنذِرْهُمْ) خوفهم (يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ) يوم القيامة لأنه يقع فيه الندم على مافات ، وفي الحديث « إذا رأوا منازلهم

فى الجنة أن لو آمنوا » (إِذْ) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (قُضِيَ الْأَمْرُ) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لا يصدقون به وهم وهم حالان أى وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) أى نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجازون جزاء وفاقاً (وَاذْكُرْ) لقومك (فِي الْكِتَابِ) القرآن (إِبْرَاهِيمَ) قصته مع أبيه (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم فى الأفعال والصديق المستقيم فى الأحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أى كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين إبراهيم وبين ماهو بدل منه وهو (إِذْ قَالَ) جاز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده فى تنزيله (لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الإضافة ولا يقال ياأبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز أن يقدر أى لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) يحتمل أن يكون شيئاً فى موضع المصدر أى شيئا من الإغناء وأن يكون مفعولا به من قولك أغن عنى وجهك أى بعد (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ) الوحى أو معرفة الرب (مَا لَمْ يَأْتِكَ) ما فى مالا يسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ) أرشدك (صِرَاطًا سَوِيًّا) مستقيما (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) لاتطعه فيما سول من عبادة الصنم (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) عاصيا (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ) قيل أعلم (أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) قرينا فى النار تليه ويليك فانظر فى نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر ففى الحديث «أوحى إلى ابراهيم إنك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار» فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأن من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الأنبياء كان محكوما

عليه بالغى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيآت عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معى شيئا من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه ... العاقبة وما يجره ماهو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال إنى أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه وصدر كل نصيحة بقوله ياأبت توسلا إليه واستعطافا وإشعارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا فثم (قَالَ) آزر توبيخا (أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰإِبْرَٰهِيمُ) أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ياأبت يابنى وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ) عن شتم الأصنام (لَأَرْجُمَنَّكَ) لأقتلنك بالرجام أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك (وَاهْجُرْنِى) عطف على محذوف يدل عليه لأرجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى (مَلِيًّا) ظرف أى زمانا طويلا من الملاوة (قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ) سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى) سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام (إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) ملطفا بعموم النعم أو رحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (وَأَعْتَزِلُكُمْ) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام (وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى ما تعبدون من أصنامكم (وَأَدْعُوا) وأعبد (رَبِّى) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ) ولدا (وَيَعْقُوبَ) نافلة ليستأنس بهما (وَكُلًّا) كل واحد منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا) أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا

هى المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم فى الصلوات وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية (عَلِيًّا) رفيعا مشهورا (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) كوفى غير المفضل أى أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أى أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بماله من السعادة بأصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) الرسول الذى معه كتاب من الأنبياء والنبى الذى ينبىء عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع (وَنَادَيْنَاهُ) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (مِن جَانِبِ الطُّورِ) هو جبل بين مصر ومدين (الْأَيْمَنِ) من اليمين أى من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وَقَرَّبْنَاهُ) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نَجِيًّا) حال أى مناجيا كنديم بمعنى منادم (وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أَخَاهُ) مفعول (هَارُونَ) بدل منه (نَبِيًّا) حال أى وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهرون كان أكبر سنا منه (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ) هو ابن إبراهيم فى الأصح (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا إلا أنجزه وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجودا فى غيره من الأنبياء تشريفا له ولأنه المشهور من خصاله (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرهم (نَبِيًّا) مخبرا منذرا (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أمته لأن النبى أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على أنه لم يداهن غيره (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية (وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) قرئ مرضوا على الأصل (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ) هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بنى قابيل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لأنه لو كان أفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو شرف النبوة والزلفى

عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها وعن الحسن إلى الجنة لاشيء أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته إلى الملائكة فقال لملك الموت أذقني الموت يهن عليّ ففعل ذلك بإذن الله فحي وقال أدخلني النار أزدد رهبة ففعل ثم قال أدخلني الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل بإذني فعل وبإذني دخل فدعه (أُوْلَٰٓئِكَ) إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس (ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) من للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم (مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ) من للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح (وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه ولد سام ابن نوح (وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ) إسماعيل وإسحٰق ويعقوب (وَإِسْرَٰٓءِيلَ) أي ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لأن مريم من ذريته (وَمِمَّنْ) يحتمل العطف على من الأولى والثانية (هَدَيْنَا) لمحاسن الإسلام (وَٱجْتَبَيْنَآ) من الأنام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ) أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبراً لأولئك وان جعلته صفة له كان خبراً. يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي (خَرُّوا سُجَّدًا) سقطوا على وجوههم رغبة (وَبُكِيًّا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث « اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا » وعن صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في النام فقال لي ياصالح « هذه القراءة فأين البكاء » ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الأعلى ثلاثا (فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ) فجاء من بعد هؤلاء الفضلين (خَلْفٌ) أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ) تركوا الصلاة المفروضة (وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ) ملاذ النفوس وعن عليّ رضى الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضى الله عنه هو في هذه الأمة (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعدّ للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (إِلَّا مَن تَابَ) رجع عن كفره (وَءَامَنَ) بشرطه (وَعَمِلَ صَٰلِحًا) بعد إيمانه (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ) بضم

الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) أى لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيئاً من الظلم (جَنَّٰتِ) بدل من الجنة لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح (عَدْنٍ) معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة أو علم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة (ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ) أى عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بِٱلْغَيْبِ) أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (إِنَّهُۥ) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كَانَ وَعْدُهُۥ) أى موعوده وهو الجنة (مَأْتِيًّا) أى هم يأتونها (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَغْوًا) فحشاً أو كذباً أو مالا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التى لا تكليف فيها (إِلَّا سَلَٰمًا) أى لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أى يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا إذ لا ليل ولا نهار ثم لأنهم فى النور أبداً وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها والرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التى كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكما (مَن كَانَ تَقِيًّا) عن الشرك * عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى عليه السلام قال «ياجبريل مامنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزل (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا يعنى أن نزولنا فى الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله (لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) أى له ماقدامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم

بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه (رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السموات والأرض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فَاعْبُدْهُ) فاثبت على عبادته (وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِ) أى اصبر على مكافأة الحسود ، لعبادة المعبود، واصبر على المشاق، لأجل عبادة الخلاق، أى لتتمكن من الإتيان بها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أى إذا صح أن لا معبود توجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فتهافت أبيّ بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ماصرنا كذا فنزل (وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) والعامل فى إذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث أى إذا ما مت أبعث وانتصابه بأخرج ممتنع لأن مابعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما فى إذا ما للتوكيد أيضاً فكأنه قال أحقاً إنا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبيّ فأدغمت التاء فى الذال أى أو لا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا) هو دليل على ماينا وعلى أن المعدوم ليس بشيء خلافا للمعتزلة (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) أى الكفار المنكرين للبعث (وَالشَّيَٰطِينَ) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)

حال جمع جاث أى بارك على الركب ووزنه فعول لأن أصله جثوو كسجود وساجد أى يمتلون من المحشر إلى شاطىء جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ) طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا) جراءة أو فجوراً أى لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغى أعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه : أيهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جىء به لأعرب بالنصب، وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصصه فكما أن حذف المضاف إليه فى من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شىء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع، وقال الخليل هى معربة وهى مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتياً ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا) أحق بالنار (صِلِيًّا) تمييز أى دخولا والباء تتعلق بأولى (وَإِن مِّنكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) داخلها والمراد النار والورود: الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجى الذين اتقوا إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام «الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يامؤمن فإن نورك أطفأ لهبى » وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وإن منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام «الحمى حظ كل مؤمن

من النار » وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) أى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الأمير (ثُمَّ نُنَجِّى) وعلى بالتخفيف (الَّذِينَ اتَّقَوا) عن الشرك وهم المؤمنون (وَّنَذَرُ الظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) فيه دليل على دخول الكل لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لامحاله وقالت المرجئة الخبيثة لايعاقب لأن المعصية لاتضر مع الإسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا) أى القرآن(بَيِّنَـٰتٍ) ظاهرات الإعجاز أوحججا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا إذ آيات الله لاتكون إلا واضحة وحججا (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا فى زيهم (لِلَّذِينَ ءَامَنُوآ) للفقراء ورسهم شعثة وثيابهم خشنة (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ) نحن أم أنتم (خَيْرٌ مَّقَامًا) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أى كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هُمْ أَحْسَنُ) فى محل النصب صفة لكم ألاترى أنك لوتركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أَثَٰثًا) هو متاع البيت أوماجد من الفرش (وَرِءْيًا) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام أو من الرى الذى هو النعمة (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَـٰلَةِ) الكفر (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ مَدًّا) جواب من لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أى من كفر مد له الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثما وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) هى متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أى لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (إِمَّا الْعَذَابَ) فى الدنيا وهو تعذيب

المسلمين إياهم بالقتل والأسر ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ أى القيامة وما ينالهم من الخزى والنكال فهما يدلان مما يوعدون ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ منزلا ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ أعوانا وأنصارا أى فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ماقدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لاخير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز أن تتصل بما يليها والمعنى إن الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجمل ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله إذارأوا مايوعدون. فسيعلمون ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موضع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ممايفتخر به الكفار ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ أى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ثم. وبضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى اخبر والفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه، الهمزه للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى أنظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ موثقا أن يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاص بن وائل فقدروى أن خباب بن الأرت صاغ للعاص ابن وائل حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة فأنا أقضيك ثم فإنى أوتى مالا وولدا حينئذ ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبيه على الخطأ أى هو مخطىء فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ أى قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى: مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وهو كقوله

* إذا ماانتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى علم وتبين بالانتساب أنى لست بابن لئيمة (وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ) نزيده من العذاب كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من المدد، يقال مده وأمده (مَدًّا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) أى نزوى عنه مازعم أنه يناله فى الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (وَيَأْتِينَا فَرْدًا) حال أى بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدى عليه تمنيه وتألبه (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) أى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) أى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كَلَّا) ردع لهم عما ظنوا (سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) الضمير للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (وَيَكُونُونَ) أى المعبودون (عَلَيْهِمْ) على المشركين (ضِدًّا) خصما لأن الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا وإن رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون إلى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أى أعداءهم ضدا أى كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى خليناهم وإياهم من أرسلت البعير أطلقته أوسلطناهم عليهم بالإغواء (تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) تغريهم على المعاصى إغراء والأز والهز إخوان ومعناهما التهييج وشدة الإزعاج (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بالعذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) أى أعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام (إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا) عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون، فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالا يوصف أى اذكر يوم نحشر. ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا

فهم والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافا بهم (لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ) حال والواو إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى إلا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً) بأن آمن . فى الحديث «من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد» وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأصحابه ذات يوم «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا» قالوا وكيف ذلك قال «يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السماوت والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وإنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وإنى لا أثق إلا برحمتك فاجعل لى عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أى لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك، والإد العجب أو العظيم المنكر والإدة الشدة وأدنى الأمر أثقلنى وعظم علىّ أدًّا (تَكَادُ السَّمَوَاتُ) تقرب وبالياء نافع وعلىّ (يتفطّرن) وبالنون بصرى وشامى وحمزة وخلف وأبو بكر. الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه (مِنْهُ) من عظم هذا القول (وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ) تنخسف وتنفصل أجزاؤها (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ) تسقط (هَدًّا) كسرا أو قطعا أو هدما، والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهد هدًّا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أى مهدودة (أَن دَعَوْا) لأن سموا ومحله جر بدل من الهاء فى منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) انبغى مطاوع بغى إذ طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لأنه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لأن اتخاذ الولد

لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان له الرحمن وحده لايستحق هذا الاسم غيره لأن أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ماعندك عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (إِن كُلُّ مَن) نكرة موصوفة صفتها (فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) وخبر كل (إِلَّآ ءَاتِى الرَّحْمَٰنِ) ووحد آتى وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أى يأتيه (عَبْدًا) حال أى خاضعاً ذليلا منقاداً والمعنى ما كل من فى السموات والأرض من الملائكة والناس إلاهو يأتى الله يوم القيامة مقراً بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الإضافة (لَّقَدْ أَحْصَٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَرْدًا) أى كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا) مودة فى قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم إلى الناس وفى الحديث يعطى المؤمن مِقَةً فى قلوب الأبرار ومهابة فى قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه وعن كعب مايستقر لعبد ثناء فى الأرض حتى يستقر له فى السماء (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ) سهلنا القرآن (بِلِسَانِكَ) بلغتك حال (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) المؤمنين (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا) شداداً فى الخصومة بالباطل أى الذين يأخذون فى كل لديد أى شق من المراء والجدال جمع ألد يراد به أهل مكة (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) تخويف لهم وإنذار (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ)أى هل تجد أو ترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسة (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتاً خفياً ومنه الركاز أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعنى هلكوا كلهم فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم .

﴿ سورة طه ﷺ مكية، وهى مائة وخمس وثلاثون آية كوفى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه)فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبوعمرو وأمالهما حمزة وعلى وخلف وأبوبكر وفخمهما على الأصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يارجل فإن صح فظاهر وإلا فالحق ماهو المذكور فى سورة البقرة (مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ) إن جعلت طه تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهى فى موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهى قسم (لِتَشْقَىٰٓ) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل فإنه روى أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أى ماأنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة ومابعثت إلا بالحنيفية السمحة (إِلَّا تَذْكِرَةً) استثناء منقطع أى لكن أنزلناه تذكرة أوحال (لِّمَن يَخْشَىٰ) لمن يخاف الله أو لمن يئول أمره إلى الخشية (تَنزِيلاً) بدل من تذكرة إذا جعل حالا ويجوز أن ينتصب بنزل مضمراً أو على المدح أو بيخشى مفعولا أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ) من يتعلق بتنزيلا صلة له (الْعُلَى) جمع العليا تأنيث الأعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرَّحْمَٰنُ) رفع على المدح أى هو الرحمن (عَلَى الْعَرْشِ) خبر مبتدأ محذوف (اسْتَوَىٰ) استولى. عن الزجاج، ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أى ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أى جواد وإن لم يكن له يد رأساً، والمذهب قول على رضى الله عنه: الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خبر ومبتدأ ومعطوف (وَمَا بَيْنَهُمَا) أى ذلك كله ملكه (وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ) ماتحت سبع الأراضين أوهو الصخرة التى تحت الأرض السابعة (وَإِن

تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ) ترفع صوتك (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ) ما أسررته إلى غيرك (وَأَخْفَىٰ) منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك وما ستسره فيها (اللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ) أى هوواحدبذاته وإن افترقت عبارات صفاته ردلقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الأحسن (وَهَلْ) أى وقد (أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (إِذْ رَءَا) ظرف لمضمر أى حين رأى (نَارًا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى أن موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك ناراً فى زعمه وكان نوراً (فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوٓا) أقيموا فى مكانكم (إِنِّىٓ ءَانَسْتُ)أبصرت (نَارًا) والإيناس رؤية شىء يؤنس به (لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا) بنى الأمر على الرجاء لئلا يعد ماليس يستيقن الوفاء به (بِقَبَسٍ) نار مقتبسة فى رأس عود أو فتيلة(أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) ذوى هدى أو قوما يهدوننى الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها (فَلَمَّآ أَتَـٰهَا)أى النار وجد ناراً بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحداً وروى أنه كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه فثم (نُودِىَ)موسى (يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ) بكسر الهمزة أى نودى فقيل ياموسى إنى أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته، وبالفتح مكى وأبوعمرو أى نودى بأنى (أَنَا رَبُّكَ) أنا مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال مَن المتكلم فقال الله عز وجل: أنا ربك. فعرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس أو لأنها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء الوادى (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المطهر أو المبارك (طُوًى) حث كان منوّن شامى وكوفى لأنه

اسم علم للوادى وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) اصطفيتك للنبوة، وإنا اخترناك حمزة (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) إليك الذى يوحى أو للوحى واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) وحدنى وأطعنى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأنى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء أو لذكرى خاصة لاتشوبه بذكر غيرى أو لتكون لى ذاكرا غيرناس أو لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة لقوله: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ) لا محالة (أَكَادُ) أريد عن الأخفش وقيل صلة (أُخْفِيهَا) قيل هو من الأضداد أى أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هى آتية لإرادتى إخفاءها ولولا مافى الأخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما أخبرت به (لِتُجْزَىٰ) متعلق بآتية (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) بسعيها من خير أو شر (فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا) لا يصدق بها (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى مخالفة أمره (فَتَرْدَىٰ) فتهلك (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ) مامبتدأ وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الإشارة أى قارة أومأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية أو للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) أعتمد عليها إذا أعييت أووقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي) أخبط ورق الشجر على غنمى لتأكل (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ)ـ وَلِيَ ـ حفص جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أُخْرَىٰ) والقياس أخر وإنما قال أخرى ردا إلى الجماعة أو لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجمل الباقى حياء من التطويل أوليسأل عنها الملك العلام فيزيد فى الإكرام والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها

فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أو لأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال هى عصاى قيل له ماتصنع بها فأخذ يعدد منافعها (قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ) اطرح عصاك لتفزع مما تتكىء عليـه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المـآرب فتعتمد علينا فى المطالب (فَأَلْقَىٰهَا) فطرحها (فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ) تمشى سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآها تبتلع كل شىء خاف وإنما وصفت بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق فى غيرها لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أو لأنها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا ولما (قَالَ) له ربه (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (سَنُعِيدُهَا) سنردها (سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ) تأنيث الأول، والسيرة: الحالة التى يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة وهى فى الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عنـد فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ) إلى جنبك تحت العضد وجناحا الإنسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما أى يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك (تَخْرُجْ بَيْضَآءَ) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ) برص (ءَايَةً أُخْرَىٰ) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غـير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز أن ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى) أى خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ) جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى وعرف أنه كلف أمراً عظيما يحتاج إلى صـدر فسيح (قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى) وسعه ليحتمل الوحى والمشاق وردىء الأخلاق من فرعون وجنده (وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى) وسهل

على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة إلى فرعون واشرح لى صدرى آكد من اشرح صدرى لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الإجمال والتفصيل لأنه يقول اشرح لى ويسرلى علم أن ثمة مشروحا وميسراً ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر (وَاحْلُلْ) افتح (عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي) وكان فى لسانه رتة للجمرة التى وضعها على لسانه فى صباه وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة فى صغره فأراد قتله فقالت آسية أيها الملك إنه صغير لايعقل فجعلت فى طشت ناراً وفى طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أى رب تدعونى قال إلى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن لسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يَفْقَهُوا قَوْلِي) عند تبليغ الرسالة (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا) ظهيراً أعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه فى أموره أو معينا من الموازرة وهى المعاونة فوزيرا مفعول أول لاجعل والثانى (مِّنْ أَهْلِي) أولى أوزيرا مفعولاه وقوله (هَارُونَ) عطف بيان لوزيراً وقوله (أَخِي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيراً وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) قو به ظهرى وقيل الأزر القوة (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة. اشدد وأشركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كَيْ نُسَبِّحَكَ) نصلى لك وننزهك تسبيحا (كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) فى الصلوات وخارجها (إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) عالماً بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ) أعطيت مسئولك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز. سولك بلا همز أبوعمرو (وَلَقَدْ مَنَنَّا) أنعمنا (عَلَيْكَ مَرَّةً) كرة (أُخْرَىٰ) قبل هذه ثم فسرها فقال (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ) إلهاما أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك وإذ ظرف لمننا ثم فسر مايوحى بقوله (أَنِ اقْذِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ) وإن مفسرة لأن الوحى بمعنى القول (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) الجانب وسمى ساحلا لأن الماء يسحله أى يقشره والصيغة أمر ليناسب ماتقدم ومعناه الإخبار

أى يلقيه اليم بالساحل (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُ) يعنى فرعون والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يفضى إلى تنافر النظم والمقذوف فى البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى أنها جعلت فى التابوت قطنا محلوجاً فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا بصبي أصبح الناس وجها فأحبه فرعون حبا شديداً فذلك قوله (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى) يتعلق منى بألقيت يعنى إنى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه (وَلِتُصْنَعَ) معطوف على محذوف تقديره وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (عَلَىٰ عَيْنِىٓ) أى لتربى بمرأى منى وأصله من صنع الفرس أى أحسن القيام عليه يعنى أنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشىء بعينه إذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على أنه أمر منه (إِذْ تَمْشِىٓ) بدل من إذ أوحينا لأن مشى أخته كان منة عليه (أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ) روى أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الأم وتذكير الفعل للفظ من، فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله (فَرَجَعْنَٰكَ) فرددناك (إِلَىٰٓ أُمِّكَ) كما وعدناها بقولنا إنا رادوه إليك (كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (وَلَا تَحْزَنَ) على فراقك (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) قبطياً كافراً (فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ) من القود. قيل الغم: القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين (وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا) ابتليناك ابتلاء بإيقاعك فى المحن وتخليصك منها، والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن، والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (وَٱصْطَنَعْتُكَ

لِنَفْسِي) اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على إرادتي ومحبتي قال الزجاج اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي) بمعجزاتي (وَلَا تَنِيَا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (فِي ذِكْرِي) أي اتخذا ذكرى جناحا تطيران به أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد (إِنَّهُ طَغَىٰ) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه شباباً لايهرم بعده وملكا لاينزع عنه إلا بالموت أو هو قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) أي يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أَوْ يَخْشَىٰ) أي يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة وإنما قال لعله يتذكر مع علمه أنه لايتذكر لأن الترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لايقطع أمراً دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الإله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل (أَوْ أَن يَطْغَىٰ) يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا) أي حافظكما وناصركما (أَسْمَعُ) أقوالكما (وَأَرَىٰ) أفعالكما قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى مايراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فَأْتِيَاهُ) أي فرعون (فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) إليك (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) بتكليف المشاق (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك

مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لاتثبت إلا ببينتها وهى المجىء بالآى قال فرعون وما هى فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ) أى سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ) فى الدنيا والعقبى (عَلَىٰ مَن كَذَّبَ) بالرسل (وَتَوَلَّىٰ) أعرض عن الإيمان وهى أرجى آى القرآن لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شىء فأتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمرا به (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ) خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل فى النبوة وهارون تابعه (قَالَ رَبُّنَا الَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ) خلقه أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شىء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق النفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الإبصار والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلَقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أى أعطى كل شىء مخلوق عطاء (ثُمَّ هَدَىٰ) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة فى الدنيا والسعادة فى العقبى (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ) فما حال الأمم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد (قَالَ) موسى مجيبا (عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى) مبتدأ وخبر (فِى كِتَٰبٍ) أى اللوح خبر ثان أى هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لاأعلم منه إلا ماأخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ (لَّا يَضِلُّ رَبِّى) أى لا يخطىء شيئا يقال ضللت الشىء إذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له أى لايخطىء فى سعادة الناس وشقاوتهم (وَلَا يَنسَى) ثوابهم وعقابهم وقيل لاينسى ماعلم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه (الَّذِى) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) كوفى وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وَسَلَكَ) أى جعل (لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً) طرقا (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) أى مطرا (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ) بالماء نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أى فأخرجنا

نحن بالحراثة والغرس (أَزْوَاجاً) أصنافا (مِّن نَّبَاتٍ) هو مصدر سمى به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شَتَّىٰ) صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كريض ومرضى أى إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى أن أرزاقنا تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجاتنا مما لانقدر على أكله قائلين (كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَـٰمَكُمْ) حال من الضمير فى فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بهـا مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) فى الذى ذكرت (لَآيَـٰتٍ) لدلالات (لِّأُوْلِى النُّهَىٰ) لذوى العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحظور أو ينتهى إليها فى الأمور (مِنْهَا) من الأرض (خَلَقْنَـٰكُم) أى أباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشىء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لأن النطفة من الأغذية وهى من الأرض (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) إذا متم فدفنتم (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً أُخْرَىٰ) مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم إذا ماتوا (وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ) أى فرعون (ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا) وهى تسع آيات العصا واليـد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل (فَكَذَّبَ) الآيات (وَأَبَىٰ) قبول الحق (قَالَ) فرعون (أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر (بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ) فيه دليـل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل وإلا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملـكا من أرضه (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعد والضمير فى (لَّا نُخْلِفُهُ) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَاناً) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لايقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سُوًى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت

مكانا أى منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة (وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ) أى تجمع فى موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضُحًى) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ) أدبر عن موسى معرضا (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا (ثُمَّ أَتَىٰ) للموعد (قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ) أى للسحرة (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فَيُسْحِتَكُم) كوفى غير أبى بكر يهلككم وبفتح الياء والحاء غيرهم، والسحت والإسحات بمعنى الإعدام وانتصب على جواب النهى (بِعَذَابٍ) عظيم (وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ) من كذب على الله (فَتَنَازَعُوا) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذباً الآية (أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ) أى تشاوروا فى السر وقالوا إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعنى (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) يعنى موسى وهٰرون قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للإمام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة إن هذان لساحران بتخفيف إن مثل قولك إن زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى إلا أى ماهذان إلا ساحران دليله قراءة أبىّ إن ذان إلا ساحران وغيرهم إن هذان لساحران قيل هى لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية فى لغتهم بالألف أبدا فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب كعصا وسعدى قال :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وقال الزجاج: إن بمعنى نعم، قال الشاعر :

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

أى نعم والهاء للوقف وهذان مبتدأ وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر كما يدخل فى المبتدأ قال : * خالى لأنت ومن جرير خاله * قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو علىّ (يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم) مصر (بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ) بدينكم وشريعتكم (الْمُثْلَىٰ) الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل (فَأَجْمِعُوا) فأحكموا أى اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجمعوا أبو عمرو ويعضده فجمع كيده (كَيْدَكُمْ) هو ما يكاد به (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) مصطفين حال أمروا بأن يأتوا صفا لأنه أهيب فى صدور الرائين (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قَالُوا) أى السحرة (يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ) عصاك أولا (وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ) ما معنا وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار إلقائهم أولا حتى (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) أنتم أولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فألقوا (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) يقال فى إذا هذه: إذا المفاجأة والتحقيق أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها وخصت فى بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعى (يُخَيَّلُ) وبالتاء ابن ذكوان (إِلَيْهِ) إلى موسى (مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ) رفع بدل اشتمال من الضمير فى يخيل أى يخيل الملقى روى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ) أضمر فى نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ) الغالب القاهر وفى ذكر إن وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقّف

ابن ذكوان، الباقون تلقف (مَاصَنَعُوٓا) زوراً وافتعلوا أى اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها أى لاتحتفل بما صنعوا فإن مافى يمينك أعظم منها أو تحقيرا أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذى فى يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ) كوفى غير عاصم سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم لتوغلهم فى السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدريه وإنما وحد ساحر ولم يجمع لأن القصد فى هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ) أى هذا الجنس (حَيْثُ أَتَىٰ) أينما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فلعظم مارأوا من الآية وقعوا إلى السجود فذلك قوله (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) قال الأخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين روى أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رءوسهم ثم (قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ) وإنما قدم هٰرون هنا وأخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيبا (قَالَ ءَامَنتُمْ) بغير مد حفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) لعظيمكم أو لمعلمكم، تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ) القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشىء من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ) وخص النخل لطول جذوعها (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا) أنا على ترك إيمانكم بى أو رب موسى على ترك الإيمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان فى كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وَأَبْقَىٰ) أدوم (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ) لن نختارك (عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ) القاطعة

الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال: * وعليهما مسرودتان قضاهما * أى صنعهما أو احكم ماأنت حاكم (إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَآ) أى فى هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أى إنما تحكم فينا مدة حياتنا (إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (مِنَ السِّحْرِ)) حال من ما، روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا: ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (وَاللَّهُ خَيْرٌ) ثوابا لمن أطاعه (وَأَبْقَىٰ) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (إِنَّهُ) هو ضمير الشأن (مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا (فَإِنَّ لَهُ) للمجرم (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح بالموت (وَلَا يَحْيَىٰ) حياة ينتفع بها (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا) مات على الإيمان (قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحَٰتِ) بعد الإيمان (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَٰتُ الْعُلَىٰ) جمع العليا (جَنَّٰتُ عَدْنٍ) بدل من الدرجات (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) دائمين (وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ) تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما (يَبَسًا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لَّا تَخَٰفُ) حال من الضمير فى فاضرب أى اضرب لهم طريقا غير خائف. لا تخف حمزة على الجواب (دَرَكًا) هو اسم من الإدراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك (وَلَا تَخْشَىٰ) الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف أى وأنت لا تخشى أو يكون الألف للإطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) هو

حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ) أصابهم من البحر (مَا غَشِيَهُمْ) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم مالا يعلم كنهه إلا الله عز وجل (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ) عن سبيل الرشاد (وَمَا هَدَىٰ) وما أرشدهم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله وماأهديكم إلا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) أى أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يابنى إسرائيل (قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ) أى فرعون (وَوَٰعَدْنَٰكُمْ) بإيتاء الكتاب (جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وإنما نسب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والأيمن نصب لأنه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ) فى التيه وقلنا لكم (كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ) حلالات (مَا رَزَقْنَٰكُمْ) أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفى غير عاصم(وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها فى المعاصى أولا يظلم بعضكم بعضا (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى) عقوبتى (وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ) هلك أو سقط سقوطا لانهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان إلى حفرة من حفر النيران. قرأ على فيحل ويحلل والباقون بكسرها فالمكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه والمضموم فى معنى النزول (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ) عن الشرك (وَءَامَنَ) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وَعَمِلَ صَٰلِحًا) أدى الفرائض (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح (وَمَا أَعْجَلَكَ) أى وأى شىء عجل بك (عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ) أى عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أى أى شىء أوجب عجلتك استفهام إنكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى) أى هم خلفى يلحقون بى وليس بينى وبينهم إلا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ)

أى إلى الموعد الذى وعدت (لِتَرْضَىٰ) لتزداد عنى رضاوهذا دليل على جواز الاجتهاد (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ) ألقيناهم فى فتنة (مِن بَعْدِكَ) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له وهومنسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلاواسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فَرَجَعَ مُوسَىٰ) من مناجات ربه (إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) شديد الغضب أو حزينا (قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونوروكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملاولاوعد أحسن من ذلك (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) أى مدةمفارقتى إياكم، والعهد الزمان، يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي) وعدوه أن يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتخاذالعجل (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) بفتح الميم مدنى وعاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامرى وكيده (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا) بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص، وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ) أثقالا من حلى القبط أوأرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا غدا عيدا فقال السامرى إنما حبس موسى لشؤم حرمها لأنهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فأحرقوها نخبأ فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح فى مجار منه أشباه العروق وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيى فخار ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه (فَقَذَفْنَاهَا) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى (فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ما معه من الحلى فى النار أو ما معه من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه

السلام (فَأَخْرَجَ لَهُمْ) السامرى من الحفرة (عِجْلاً) خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتلاء (جَسَدًا) مجسداً (لَهُ خُوَارٌ) صوت وكان يخوز كما تخور العجاجيل (فَقَالُوا) أى السامرى وأتباعه (هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ) فأجاب عامتهم إلا اثنى عشر ألفا (فَنَسِيَ) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر أو نسى السامرى الاستدلال على أن العجل لا يكون إلها بدليل قوله (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ) أى أنه لا يرجع فأن مخففة من الثقيلة (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أى لا يجيبهم (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلها وقيل إنه ماخار إلا مرة (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ) لمن عبدوا العجل (هَٰرُونُ مِن قَبْلُ) من قبل رجوع موسى إليهم (يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ) لا العجل (فَاتَّبِعُونِي) كونوا على دينى الذى هو الحق (وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي) فى ترك عبادة العجل (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامرى أم لا فلما رجع موسى (قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا) بعبادة العجل (أَلَّا تَتَّبِعَنِ) بالياء فى الوصل والوقف مكى وافقه أبو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلا ياء أى ما دعاك إلى ألا تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشىء وبين الداعى إلى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أى شىء منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى أو ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهداً (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكاراً عليه لأن الغيرة فى الله ملكته (قَالَ يَبْنَؤُمَّ) وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لأبيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الأم استعطافا وترفيقاً (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ) ثم ذكر عذره فقال (إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ) إن قاتلت بعضهم ببعض (فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) أو خفت أن تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق: فرقت بين بنى إسرائيل (وَلَمْ تَرْقُبْ) ولم تحفظ (قَوْلِي) اخلفنى فى قومى وأصلح وفيه دليل على جواز

الاجتهاد ثم أقبل موسى على السامرى منكراً عليه حيث (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) ما أمرك الذى تخاطب عليه (يَٰسَٰمِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) وبالتاء حمزة وعلى ، وقال الزجاج بصر علم وأبصر نظر أى علمت مالم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وماذاك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره فما ألقيته على شىء إلا صار له روح ولحم ودم (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً) القبضة المرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرىء فقبصت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع (مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) أى من أثر فرس الرسول وقرىء بها (فَنَبَذْتُهَا) فطرحتها فى جوف العجل (وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) أن أفعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطأ واعتذار (قَالَ) له موسى (فَاذْهَبْ) من بيننا طريداً (فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ) ماعشت (أَن تَقُولَ) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لَا مِسَاسَ) أى لايمسنى أحد ولا أمسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته وإذا اتفق أن يماس أحدا حم الماس والممسوس وكان يهيم فى البرية يصيح لامساس ويقال إن ذلك موجود فى أولاده إلى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ) أى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الأرض ينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك بذلك فى الدنيا لن تخلفه مكى وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا (وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ) وأصله ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفاً (عَاكِفًا) مقيما (لَّنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار (ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ) لنذرينه (فِي الْيَمِّ نَسْفًا) فحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز أى وسع علمه كل شىء ومحل الكاف فى (كَذَٰلِكَ) نصب أى مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ) من أخبار الأمم الماضية تكثيراً لبيناتك وزيادة فى معجزاتك (وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ) أى أعطيناك (مِن لَّدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) عن

هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم (خَالِدِينَ) حال من الضمير فى يحمل وإنما جمع على المعنى ووحد فى فإنه حملا على لفظ من (فِيهِ) فى الوزر أى فى جزاء الوزر وهو العذاب (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يَوْمَ يُنفَخُ) بدل من يوم القيامة، ننفخ أبو عمرو (فِي الصُّورِ) القرن أو هو جمع صورة أى ننفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يَتَخَافَتُونَ) يتسارون (بَيْنَهُمْ) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (إِن لَّبِثْتُمْ) ما لبثتم فى الدنيا (إِلَّا عَشْرًا) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار أو لأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لأنها أبدا يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم بقوله (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أعدلهم قولا (إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) سألوا النبى ﷺ ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره إن سألوك (فَقُلْ) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير. يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير. يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى . ويسئلونك عن الروح قل الروح. ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو لأنها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء،

﴿ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فيذر مقارها أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ مستوية ملساء ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ انخفاضا ﴿ وَلَا أَمْتًا ﴾ ارتفاعا والعوج بالكسر إن كان فى المعانى كما أن المفتوح فى الأعيان والأرض عين ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وإن دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعانى ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال أى يوم إذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ إلى المحشر أى صوت الداعى وهو إسرافيل حين ينادى على صخرة بيت القدس أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمى إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون عنه ﴿ لَا عِوَجَ لَهُ ﴾ أى لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته ﴿ وَخَشَعَتِ ﴾ وسكنت ﴿ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ هيبة وإجلالا ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ صوتا خفيفا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أى لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أى أذن الشافع فى الشفاعة ﴿ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ أى رضى قولا لأجله بأن يكون المشفوع له مسلما أو نصب على أنه مفعول تنفع ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أى يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ أى بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى ما أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط به ﴿ وَعَنَتِ ﴾ خضعت وذلت ومنه قيل للأسير: عان ﴿ الْوُجُوهُ ﴾ أى أصحابها ﴿ لِلْحَيِّ ﴾ الذى لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهى كأن لم تكن ﴿ الْقَيُّومِ ﴾ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ يئس من رحمة الله ﴿ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ من حمل إلى موقف القيامة شركا لأن الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ﴾ الصالحات الطاعات ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها ﴿ فَلَا يَخَافُ ﴾ أى فهو لا يخاف

فلا يخف على النهى مكى (ظُلْمًا) أن يزداد فى سيئاته (وَلَا هَضْمًا) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وَكَذَٰلِكَ) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الإنزال (أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) بلسان العرب (وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يجتنبون الشرك (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ) الوعيد أو القرآن (ذِكْرًا) عظة أو شرفا بإيمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فَتَعَـٰلَى اللَّهُ) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام (الْمَلِكُ) الذى يحتاج إليه الملوك (الْحَقُّ) المحق فى الألوهية ولما ذكر القرآن وإنزاله قال استطرادا وإذا لقنك جبريل مايوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ) بقراءته (مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شىء إلا فى العلم (وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ) أى أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد، والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة (مِن قَبْلُ) من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهى عنه كما أنهم يخالفون يعنى أن أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فَنَسِىَ) العهد أى النهى والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لو تكلفوا لحفظوه (وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا) قصدا إلى الخلاف لأمره أولم يكن آدم من أولى العزم. والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى نقيض العدم أى وعد مناله عزما وله متعلق بنجد (وَإِذْ قُلْنَا) منصوب باذكر (لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِءَادَمَ) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه (فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن: الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم وإنما صح استثناؤه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (أَبَىٰ) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف (فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ

ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ) فلا يكونن سببا لإخراجكما (فَتَشْقَىٰ) فتتعب فى طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة لرءوس الآى أو دخلت تبعا أو لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا) فى الجنة (وَلَا تَعْرَىٰ) عن الملابس لأنها معدة أبدا فيها (وَأَنَّكَ) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على إن الأولى وغيرهما بالفتح عطفا على الا تجوع ومحله نصب بأن وجاز للفصل كما تقول إن فى على أنك جالس (لَا تَظْمَؤُا فِيهَا) لا تعطش لوجود الأشربة فيها (وَلَا تَضْحَىٰ) لا يصيبك حر الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها فى ظل ممدود (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) أى أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ) لا يفنى (فَأَكَلَا) أى آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) عوراتهما (وَطَفِقَا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـكاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا إلا أنه للشروع فى أول الأمر وكاد للدنو منه (يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ) أى يلزقان الورق بسوءاتهما للتستر وهوورق التين (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ) ضل عن الرأى وعن ابن عيسى خاب، والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لان الغى خلاف الرشد وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلاتتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) قربه إليه واصطفاه وقرىء به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى إلى كذا فاجتبيته (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (وَهَدَىٰ) وهداه إلى الاعتذار والاستغفار (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا) يعنى آدم وحواء (بَعْضُكُمْ) ياذرية آدم (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى) كتاب وشريعة (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ) فى الدنيا (وَلَا يَشْقَىٰ) فى العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة

يعنى أن الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى) من القرآن (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) ضيقا وهومصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لايعرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا. وهو الوجه (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا) فى الدنيا (قَالَ كَذَٰلِكَ) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ) أى أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أى للحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) أى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ) حال من الضمير المجرور فى لهم (فِى مَسَاكِنِهِمْ) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِى النُّهَىٰ) لذوى العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل مافعلوا (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ (لَكَانَ لِزَامًا) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فيك (وَسَبِّحْ) وصل (بِحَمْدِ رَبِّكَ) فى موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) يعنى صلاة الفجر (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) يعنى الظهر والعصر لأنهما واقعتان فى النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس

وغروبها (وَمِنْ ءَانَآىِٕ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) أى وتعهد آناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقدتناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت فى قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) لعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسر قلبك. وتُرضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعددالفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لاتنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذى متعنابه وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أولنعذبهم فى الآخرة بسببه (وَرِزْقُ رَبِّكَ) ثوابه وهو الجنة أوالحلال الكافى (خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)مما رزقوا (وَأْمُرْ أَهْلَكَ) أمتك أوأهل بيتك (بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ) أنت داوم (عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نَّحْنُ نَرْزُقُكَ) وإياهم فلا تهتم لأمر الرزق وفرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذارأى ماعندالسلاطين قرأ: ولاتمدن عينيك. الآية ثم ينادى الصلاة، الصلاة رحمكم الله. وكان بكر بن عبد الله المزنى إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله، وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) أى وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين (وَقَالُوا) أى الكافرون (لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ) هلايأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته

(أَوَلَمْ تَأْتِهِم) أو لم تأتهم مدنى وحفص وبصرى (بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الأُولَىٰ) أى الكتب المتقدمة يعنى أنهم اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية على النبوة فقيل لهم أو لم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الإعجاز يعنى القرآن من قبل أن القرآن برهان ماقى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة إلى شهادته على صحة مافيها (وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ) من قبل الرسول أو القرآن (لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ) بنزول العذاب (وَنَخْزَىٰ) فى العقبى (قُلْ كُلٌّ) أى كل واحد مناومنكم (مُّتَرَبِّصٌ) منتظر للعاقبة وبما يؤول إليه أمرنا وأمركم (فَتَرَبَّصُوا) أنتم (فَسَتَعْلَمُونَ) إذا جاءت القيامة (مَنْ أَصْحَٰبُ) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ) المستقيم (وَمَنِ اهْتَدَىٰ) إلى النعيم المقيم. قال رسول الله ﷺ «لايقرأ أهل الجنة إلا سورة طه ويس» والله أعلم بالصواب

﴿ سورة الأنبياء مكية ، وهى مائة واثنتا عشرة آية كوفى وإحدى عشرة آية مدنى وبصرى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقْتَرَبَ) دنا (لِلنَّاسِ) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن مايتلوه من صفات المشركين (حِسَابُهُمْ) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وإنما وصفه بالاقتراب لقلة مابقى بالإضافة إلى مامضى ولأن كل آت قريب (وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (مُّعْرِضُونَ) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه وإعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لايفيق إلا برؤية المولى والأول إنما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل أن تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ) شىء من القرآن (مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ) فى التنزيل إتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف

فى حدوثها (إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ) من النبي عليـه السلام أو غيره ممن يتلوه (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون به (لَاهِيَةً) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولا هية حالان من الضمير فى استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبراً بعد خبر لقوله: وهم. وارتفعت (قُلُوبُهُمْ) بلاهية وهى من لها عنه إذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يرادبها، ومنها قال أبو بكر الوارق القلب اللاهى المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وَأَسَرُّوا) وبالغوا فى إخفاء (النَّجْوَى) وهى اسم من التناجى ثم أبدل (الَّذِينَ ظَلَمُوا) من واو وأسروا إيذاناً بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلونى البراغيث أو هو مجرور المحـل لـكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليـه اى والذين ظلموا أسروا النجوى (هَلْ هَـٰذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُم تُبْصِرُونَ) هذا الـكلام كله فى محل النصب بدل من النجوى اى وأسروا هـذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا وإن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنـكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (قَـٰلَ رَبِّى) حمزة وعلى وحفص أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء أو الأرض سراً كان أو جهراً (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بما فى ضمائرهم (بَلْ قَالُوٓا أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ بَلِ افْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها فى نومه فتوهمها وحيا من الله إليه ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا إن كان صادقا فى دعواه وليس الأمر كما يظن (فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ) بمعجزة (كَمَآ أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى، وصحة التشبيه فى قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم

مِّن قَرْيَةٍ) من أهل قرية (أَهْلَكْنَٰهَآ) صفة لقرية عند مجىء الآيات المقترحة لأنهم طلبوها تعنتاً (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء مايقترحون لنكثوا أيضاً (وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا) هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ) نوحى حفص (فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك ثم بين أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله (وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا) وحد الجسد لإرادة الجنس (لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) صفة لجسدا يعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين (وَمَا كَانُوا خَٰلِدِينَ) كأنهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم المتدوحياتهم المتطاولة خلودا (ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ الْوَعْدَ) بإنجائهم والأصل فى الوعد مثل واختار موسى قومه أى من قومه (فَأَنجَيْنَٰهُمْ) مما حل بقومهم (وَمَن نَّشَآءُ) هم المؤمنون (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المجاوزين الحد بالكفر ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ) يامعشر قريش (كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) شرفكم إن عملتم به أو لأنه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أى فيه ذكركم صفة لكتابا (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) مافضلتكم به على غيركم فتؤمنوا (وَكَمْ) نصب بقوله (قَصَمْنَا) أى أهلكنا (مِن قَرْيَةٍ) أى أهلها بدليل قوله (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم فإنه كسر بلا إبانة (وَأَنشَأْنَا) خلقنا (بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ) فسكنوا مساكنهم (فَلَمَّآ أَحَسُّوا) أى المهلكون (بَأْسَنَا) عذابنا أى علموا علم حس ومشاهدة (إِذَا هُم مِّنْهَا) من القرية وإذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر (يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لَا تَرْكُضُوا) والقائل بعض الملائكة (وَارْجِعُوٓا إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ) نعمتم

فيه من الدنيا ولين العيش. قال الخليل: المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ) أى يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودى من السماء يالثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم (قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فَمَا زَالَت تِّلْكَ) هى إشارة إلى ياويلنا (دَعْوَىٰهُمْ) دعاءهم وتلك مرفوع على أنه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خَٰمِدِينَ) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أى جعلته جامعاً للطعمين (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له، ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وإنما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازى المحسن والمسىء على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا) أى ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال: عيسى ابنه ومريم صاحبته (لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ) من الولدان أو الحور (إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ) أى إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا وقيل هو نفى كقوله وإن أدرى أى ما كنا فاعلين (بَلْ نَقْذِفُ) بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو بل من سنتنا أن نقذف أى نرمى ونسلط (بِٱلْحَقِّ) بالقرآن (عَلَى ٱلْبَٰطِلِ) الشيطان أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فَيَدْمَغُهُ) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ فى الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار

له عقلى فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوى الضعيف (فَإِذَا هُوَ) أى الباطل (زَاهِقٌ) هالك ذاهب (وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) الله به من الولد ونحوه (وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خلقاً وملكا فأنى يكون شىء منه ولداً له وبينهما تناف ويوقف على الأرض لأن (وَمَنْ عِندَهُ) منزلة ومكانة لامنزلا ولا مكانا يعنى الملائكة مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) لا يتعظمون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) ولا يعيون (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) حال من فاعل يسبحون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لاتتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكراً عليهم وموبخاً فجاء بأم التى بمعنى بل والهمزة فقال (أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ) يحيون الموتى ومن الأرض صفة لآلهة لأن آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر أوتعبد فى الأرض فنسبت إليها كقولك فلان من المدينة أى مدنى أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفى قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيى الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار لأن العاجز عنه لايصح أن يكون إلها إذ لايستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أى أحياها (لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أى غير الله وصفت آلهة بإلا كما وصفت بغير لوقيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لأن لو بمنزلة إن فى أن الكلام معه موجب والبدل لايسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منكراً لايجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لوكان يدبر أمر السموات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما (لَفَسَدَتَا) لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه فى أصول الكلام ثم نزه ذاته فقال (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) من الولد والشريك (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) لأنه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الأرباب وفعله صواب كله أولى

بأن لا يعترض عليه (وَهُمْ يُسْئَلُونَ) لأنهم مملوكون خطاءون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم فى كل شيء فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع إلى المسيح والملائكة أى هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافى الجنسية والمسئولية (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً) الإعادة لزيادة الإفادة فالأول للإنكار من حيث العقل والثانى من حيث النقل أى وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد (قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ) حجتكم على ذلك وذا عقلى وهو يأباه كما مر أو نقلى وهو الوحى وهو أيضا يأباه فإنكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن الأنداد (هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ) يعنى أمته (وَذِكْرُ مَن قَبْلِي) يعنى أمم الأنبياء من قبلى وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه. معى حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أى القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فَهُم) لأجل ذلك (مُّعْرِضُونَ) عن النظر فيما يجب عليهم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ) إلا نوحى كوفى غير أبى بكر وحماد (أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) وحدونى فهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) نزلت فى خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافى الولادة (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) أى بقولهم فأنيبت اللام مناب الإضافة والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أى كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لا يعملون عملا لم يأمروا به (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماقدموا وأخروا من أعمالهم (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) أى لمن رضى الله عنه وقال لا إله إلا الله (وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) خائفون (وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ) من الملائكة (إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ) من دون الله إنىَ مدنى وأبو عمرو (فَذَٰلِكَ) مبتدأ أى فذلك القائل خبره (نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) وهو جواب الشرط (كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) الكافرين الذين وضعوا الإلهية فى غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق

الوعيد في إبليس فإنه ادعى الالهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ألم ير مكي (أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا) أى جماعة السماوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل كن (رَتْقًا) بمعنى المفعول أى كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع مرتوقتين (فَفَتَقْنَاهُمَا) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فإن قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا إنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فقام مقام المرئى المشاهد ولأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لابد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل إن السماء كانت لاصقة بالأرض لافضاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السماوات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الإنسان من عجل (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) يصدقون بما يشاهدون (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت من رسا إذا ثبت (أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى لئلا يعلم أهل الكتاب (وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سُبُلًا) متقدمة فإن قلت أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثانى لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا) فى موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وَهُمْ) أى الكفار (عَنْ آيَاتِهَا) عن الأدلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ) لتسكنوا فيه (وَالنَّهَارَ) لتتصرفوا فيه (وَالشَّمْسَ) لتكون

سراج النهار (وَٱلْقَمَرَ) ليكون سراج الليل (كُلٌّ) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فِى فَلَكٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يَسْبَحُونَ) يسيرون أى يدورون والجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ) البقاء الدائم (أَفَإِيْن مِّتَّ) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ) والفاء الأول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله أن لا يخلد فى الدنيا بشر أفإن مت أنت أيبقى هؤلاء (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم) ونختبركم سمى ابتلاء وإن كان عالما بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه فى صورة الاختبار (بِالشَّرِّ) بالفقر والضر (وَٱلْخَيْرِ) الغنى والنفع (فِتْنَةً) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ) ما يتخذونك (إِلَّا هُزُوًا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبى ﷺ فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ) يعيب (ءَالِهَتَكُمْ) والذكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم (وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ) أى بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هُمْ كَٰفِرُونَ) لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أى بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزوا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله تعالى وكررهم للتأكيد أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ (خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر ابن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشىء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته

فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل *
وإنما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه
القوة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أى عجلا (سَأُورِيكُمْ ءايٰتِى)
نقماتى (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) بالإتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش فى الوصل
(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ) إتيان العذاب أو القيامة (إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) قيل هو أحد
وجهى استعجالهم (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن
ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت
الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا
يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من
الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم (بَلْ تَأْتِيهِم) الساعة
(بَغْتَةً) فجأة (فَتَبْهَتُهُمْ) فتحيرهم أى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا)
فلا يقدرون على دفعها (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ) فحل ونزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم) جزاء (مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) سلى رسول
الله ﷺ عن استهزائهم به بأن له فى الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق
بالمستهزئين بالأنبياء مافعلوا (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم) يحفظكم (بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ)
أى من عذابه إن أتاكم ليلا أونهارا (بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ) أى بل هم معرضون
عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من
الكالىء وصلحوا للسؤال عنه والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالىء ثم بين أنهم لا
يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أَمْ لَهُمْ ءالِهَةٌ
تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا) لما فى أم من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استأنف بقوله (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ) فبين أن
ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم قال (بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰؤُلَاءِ وَءابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أى ماهم فيه من

الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام، وذكر نأتى يشير بأن الله يجريه على أيدى المسلمين وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله ﷺ وأصحابه بنصرنا (قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ) أخوفكم من العذاب بالقرآن (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ) بفتح الياء والميم ورفع الصم ، ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبى ﷺ (إِذَا مَا يُنذَرُونَ) يخوفون واللام فى الصم للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا ما أنذروا (وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ) دفعة يسيرة (مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ) صفة لنفحة (لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) أى ولئن مسهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شىء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم واقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية: رضخه بها مع أن بناءها للمرة وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشىء فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الأعمال فى قول (الْقِسْطَ) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى نفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) لأهل يوم القيامة أى لأجلهم (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من الظلم (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ) وإن كان الشىء مثقال حبة مثقالُ بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (مِّنْ خَرْدَلٍ) صفة لحبة (أَتَيْنَا بِهَا) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض

أصابه (وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ) مالين حافظين عن ابن عباس رضى الله عنهما لأن من حفظ شيئا حسبه وعلمه (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا) قيل هذه الثلاثة هى التوراة فهى فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة وذكر أى شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس إليه فى مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (لِّلْمُتَّقِينَ) ومحل (الَّذِينَ) جر على الوصفية أو نصب على المدح أورفع عليه (يَخْشَوْنَ رَبَّهُم) يخافونه (بِالْغَيْبِ) حال أى يخافونه فى الخلاء (وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ) القيامة وأهوالها (مُشْفِقُونَ) خائفون (وَهَٰذَا) القرآن (ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ) كثير الخير غزير النفع (أَنزَلْنَٰهُ) على محمد(أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)استفهام توبيخ أى جاحدون أنه منزل من عند الله (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ) هداه (مِن قَبْلُ) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وَكُنَّا بِهِ) بابراهيم أو برشده (عَٰلِمِينَ) أى علمنا أنه أهل لما آتيناه (إِذْ) إما أن تتعلق بآتينا أوبرشده (قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ) أى الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (الَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ) أى لأجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك (قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ) فقلدناهم (قَالَ) إبراهيم (لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) أرادأن المقلدين والمقلدين منخرطون فى سلك ضلال ظاهر لايخفى على عاقل وأكد بأنتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع (قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) بالجد (أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّٰعِبِينَ) أى أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم إنكاره عليهم واستبعادا لأن يكون ماهم عليه ضلالا ثم أضرب عنهم مخبراً بأنه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الأصنام بقوله (قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ) أى التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم) المذكور من التوحيد شاهد (مِّنَ الشَّٰهِدِينَ وَتَاللَّهِ) أصله والله وفى التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطة نمرود (لَأَكِيدَنَّ

أَصْنَامَكُم) لأ كسرنها (بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحدفمرض بقوله إنىسقيم أى سأسقم ليتخلف فرجع إلى بيت الأصنام (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا) قطعاً من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على، جمع جذيذ أى مجذوذ كخفيف وخفاف (إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ) للأصنام أو للكفار أى فكسرها كلها بفأس فى يده إلا كبيرها فعلق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو إلى إبراهيم يحتج عليهم أو إلى الله لما رأوا عجز آلهتهم (قَالُوا) أى الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) أى إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) الجملتان صفتان لفتى إلا أن الأول وهو يذكرهم أى يعيبهم لابد منه لسمع لأنك لاتقول سمعت زيداً وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع إبراهيم بأنه فاعل يقال فالمراد الاسم لاالمسمى أى الذى يقال له هذا الاسم (قَالُوا) أى نمرود وأشراف قومه (فَأْتُوا بِهِ) أحضروا ابراهيم (عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهداً أى بمرأى منهم ومنظر (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة أويحضرون عقوبتنالهفلما أحضروه (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ) إبراهيم (بَلْ فَعَلَهُ) عن الكسائى إنه يقف عليه أى فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وإنه لايجوز وجازأن يكون الفاعل مستنداً إلى الفتى المذكور فى قوله سمعنا فتى يذكرهم أو إلى إبراهيم فى قوله ياإبراهيم ثم قال (كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) وهو مبتدأ وخبر والأكثر أنه لا يقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أوبدل ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى تبكيتا لهم وإلزاما للحجة عليهم لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنه لا يصلح إلها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أنيق أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمى لأن إثباته للعاجز منكما والأمر دائر بينكما استهزاء به وإثبات

القادر ويمكن أن يقال غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما
رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل
عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله
كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلٰها أن يقدر على هذا ويحكى أنه قال غضب أن تعبد
هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن أوهو متعلق بشرط لايكون وهو نطق الأصنام
فيكون نفيا للمخبر عنه أى بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل
عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم فى الحضور (فَسْئَلُوهُمْ) عن
حالهم (إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) وأنتم تعلمون عجزهم عنه (فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) فرجعوا
إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم (فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ) على الحقيقة
بعبادة مالاينطق لامن ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فإن من لايدفع
عن رأسه الفاس، كيف يدفع عن عابديه الباس (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ) قال أهل التفسير
أجرى الله تعالى الحق على لسانهم فى القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة أى ردوا إلى الكفر
بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه أى استقاموا حين رجعوا
إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة
وقالوا (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى
علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قَالَ) محتجا عليهم (أَفَتَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا) هو فى موضع المصدر أى نفعا (وَلَا يَضُرُّكُمْ) إن لم
تعبدوه (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أف صوت إذا صوت به علم أن صاحبه
متضجر، ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف
بهم واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف، أف مدنى وحفص، أفَ مكى وشامى
أفٍّ غيرهم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن من هذا وصفه لايجوز أن يكون إلٰها فلما لزمتهم الحجة وعجزوا
عن الجواب (قَالُوا حَرِّقُوهُ) بالنار لأنها أهول مايعاقب به وأفظع (وَانصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ)
بالانتقام منه (إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ) أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له
أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلا فرطتم فى نصرتها والذى أشار بإحراقه نمرود أو رجل

من أكراد فارس وقيل إنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً بكوثى وجمعوا شهراً أصناف الخشب ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالى علمه بحالى وما أحرقت النار إلا وثاقه وعن ابن عباس إنما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل (قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كأن ذاتها برد وسلام (عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ) أراد ابردى فيسلم منك إبراهيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شىء قدير (وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا) إحراقاً (فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة فى دماغ نمرود فأهلكته (وَنَجَّيْنَٰهُ) أى ابراهيم (وَلُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ) أى أرض الشام وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت فى العالمين آثارهم الدينية وهى أرض خصب يطيب فيها عيش الغنى والفقير وقيل مامن ماء عذب فى الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس، روى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة. وقال عليه السلام «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم» (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أى وهبنا له هبة وقيل هى ولد الولد وقد سأل ولداً فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال وهى حال من يعقوب (وَكُلًّا) أى إبراهيم وإسحق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله (جَعَلْنَا) والثانى (صَٰلِحِينَ) فى الدين والنبوة (وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً) يقتدى بهم فى الدين (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) بوحينا (وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ) وهى جميع الأعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ) والأصل وإقامة الصلاة إلا أن المضاف إليه جعل بدلا من الهاء (وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ) لا للأصنام فأنتم يامعشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه فى ذلك (وَلُوطًا) انتصب بفعل يفسره (ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا) حكمة وهى مايجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم

أو نبوة (وَعِلْمًا) فقها (وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ) من أهلها وهى سدوم (ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ)اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها(إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ)خارجين عن طاعة الله (وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة (إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) أى جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (وَنُوحًا) أى واذكر نوحا (إِذْ نَادَىٰ) أى دعا على قومه بالهلاك (مِن قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ)أى دعاءه (فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ) أى المؤمنين من ولده وقومه (مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ) منعناه منهم أى من أذاهم (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ) أى واذكرهما (إِذْ) بدل منهما (يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ) فى الزرع أو الكرم (إِذْ) ظرف ليحكمان (نَفَشَتْ) دخلت (فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ) ليلا فأكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ) أرادهما والمتحاكمين إليهما (شَٰهِدِينَ) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا (فَفَهَّمْنَٰهَا) أى الحكومة أو الفتوى (سُلَيْمَٰنَ) وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ماقضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان فى شريعتهم فأما فى شريعتنا فلا ضمان عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه السلام «العجماء جبار» وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير (وَكُلًّا) من داود وسليمان (ءَاتَيْنَا حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) معرفة بموجب الحكم (وَسَخَّرْنَا) وذللنا (مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (وَٱلطَّيْرَ) معطوف

على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل فى الإعجاز لأنها جماد روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تتجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وَكُنَّا فَٰعِلِينَ) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبا عندكم (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لِتُحْصِنَكُم) شامى وحفص أى الصنعة، وبالنون أبو بكر وحماد أى الله عز وجل، وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عزوجل (مِّنۢ بَأْسِكُمْ) من حرب عدوكم (فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ) استفهام بمعنى الأمر أى فاشكروا الله على ذلك (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ) أى وسخرنا له الريح (عَاصِفَةً) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لأنها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته (تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ) بأمر سليمان (إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا) بكثرة الأنهار والأشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الأرض إليها (وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ) وقد أحاط علمنا بكل شىء فتجرى الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ) أى وسخرنا منهم (مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ) فى البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها (وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ) أى دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان (وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ) أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وَأَيُّوبَ) أى واذكر أيوب (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى) أى دعا بأنى (مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ) الضر بالفتح الضرر فى كل شىء وبالضم الضرر فى النفس من مرض أو هزال (وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ) ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذى مسه عن أنس رضى الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له إنا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل إنما شكا إليه تلذذا بالنجوى لا منه تضررا بالشكوى والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ) أجبنا دعاءه (فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ) فكشفنا ضره إنعاما عليه (وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) روى أن أيوب عليه السلام كان روميا من ولد إسحٰق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة

عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا) هو مفعول له (وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ) يعنى رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (وَإِسْمَـٰعِيلَ) بن ابراهيم (وَإِدْرِيسَ) بن شيث بن آدم (وَذَا الْكِفْلِ) أى اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمى به لأنه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كُلٌّ مِّنَ الصَّـٰبِرِينَ) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر (وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَا) نبوتنا أو النعمة فى الآخرة (إِنَّهُم مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ) اى ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وَذَا النُّونِ) أى اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف إليه (إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا) حال أى مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى أنه برم بقومه لطول ماذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت (فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ) نضيق (عَلَيْهِ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا إلا بك قال وما هى يامعاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فَنَادَىٰ فِى الظُّلُمَـٰتِ) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أَن) أى بأنه (لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ) أو بمعنى أى (سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ) لنفسى فى خروجى من قومى قبل أن تأذن لى فى الحديث مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن مانجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم (فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ الْغَمِّ) غم الزلة والوحشة والوحدة (وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى الْمُؤْمِنِينَ) إذا دعونا واستغاثوا بنا. نجى شامى وأبوبكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل إلى المصدر

ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لايجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجى من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين فى تنزل الملائكة (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولايدعه وحيدا بلاوارث ثم ردأمره إلى الله مستسلما فقال (وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) أى فإن لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فإنك خير وارث أى باق (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ) ولدا (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) جعلناها صالحة للولادة بعدالعقار أى بعدعقرها أوحسنة وكانت سيئه الخلق (إِنَّهُمْ) أى الأنبياء المذكورين (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أى أنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) أى طمعاوخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران فى موضع الحال أو المفعول له أى للرغبة فينا والرهبة منا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) متواضعين خائفين (وَالَّتِي) أى واذكر التى (أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من الحلال والحرام (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً) مفعول ثان (لِّلْعَالَمِينَ) وإنما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لأن حالها بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها إياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام وهى ملة جميع الأنبياء وأمة واحدة حال أى متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الإشارة أى أن ملة الإسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) أى ربيتكم اختيارا فاعبدونى شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ) أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) فنجازيهم على أعمالهم (فَمَن

يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ) شيئا (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) بما يجب الإيمان به (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ)أى فإن سعيه مشكور مقبول والكفران مثل فى حرمان الثواب كما أن الشكر مثل فى إعطائه وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ (وَإِنَّا لَهُ) للسعى أى الحفظة بأمرنا (كَٰتِبُونَ) فى صحيفة عمله فنثيبه به (وَحَرَٰمٌ) وحِرم كوفى غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) والمعنى وممتنع على مهلك غير ممكن أن لايرجع إلى الله بالبعث أوحرام على قرية أهلكناها أى قدرنا إهلاكهم أوحكمنا بإهلاكهم ذلك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور أنهم لايرجعون من الكفر إلى الإسلام (حَتَّىٰٓ) هى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى (إِذَا) وما فى حيزها (فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) أى فتح سدها فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى قرية فتّحت شامى وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وَهُم) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (مِّن كُلِّ حَدَبٍ) نشز من الأرض أى ارتفاع (يَنسِلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أى القيامة وجواب إذا (فَإِذَا هِيَ) وهى إذا المفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو إذا هى شاخصة كان سديدا وهى ضمير مبهم يوضحه الأبصار ويفسره (شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى مرتفعة الأجفان لاتكاد تطرف من هول ماهم فيه (يَٰوَيْلَنَا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ) بوضعنا العبادة فى غير موضعها (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) يعنى الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم (حَصَبُ) حطب وقرىء حطب (جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ) فيها داخلون (لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً) كما زعمتم (مَّا وَرَدُوهَا) مادخلوا النار (وَكُلٌّ) أى العابد والمعبود (فِيهَا) فى النار (خَٰلِدُونَ لَهُمْ) للكفار (فِيهَا زَفِيرٌ) أنين وبكاء

وعويل (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئاً مالأنهم صاروا صما وفى السماع نوع أنس فلم يعطوه (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الأحسن وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة فنزلت جواباً لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش إنكم وماتعبدون من دون الله إلى قوله خالدون أليس اليهود عبد واعزيراً والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على إن قوله وماتعبدون لايتناولهم لأن مالمن لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد فى البيان (أُوْلَٰٓئِكَ) يعنى عزيراً والمسيح والملائكة (عَنْهَا) عن جهنم (مُبْعَدُونَ) لأنهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى إن علياً رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وقال الجنيد رحمه الله: سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الإبعاد عنها أى لايقربونها حتى لايسمعوا صوتها وصوت من فيها (وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ) من النعيم (خَٰلِدُونَ) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ) النفخة الأخيرة (وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) أى تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا. العامل فى (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ) لايحزنهم أو تتلقاهم. تطوى السماء يزيد، وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر تجمعها ونطويها (كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ) أى الصحيفة (لِلْكُتُبِ) حمزة وعلى وحفص أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب أى كما يطوى الطومار للكتابة أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل: ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله ﷺ والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف إلى الفاعل وعلى الأول إلى المفعول (كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وماموصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده ، وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ماخلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى وأول الخلق إيجاده أى فكما أوجده أولا يعيده ثانياً تشبيها للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لهما على السواء والتنكير

فى خلق مثله فى قولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع (وَعْدًا) مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة للإعادة (عَلَيْنَا) أى وعدا كائنا لا محالة (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ذلك أى محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) كتاب داود عليه السلام (مِن بَعْدِ الذِّكْرِ) التوراة (أَنَّ الْأَرْضَ) أى الشأم (يَرِثُهَا عِبَادِيَ) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصَّالِحُونَ) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أى المكتوب يعنى ما أنزل على الأنبياء من الكتب. والذكر أم الكتاب يعنى اللوح لأن الكل أخذوا منه. دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة (إِنَّ فِي هَٰذَا) أى القرآن أو فى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لَبَلَاغًا) لكفاية وأصله ما تبلغ به البغية (لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً) قال عليه السلام «إنما أنا رحمة مهداة» (لِّلْعَالَمِينَ) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن لم يتبع فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها. وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها. وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف. ورحمة مفعول له أو حال أى ذا رحمة (قُلْ إِنَّمَا) إنما لقصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم نحو إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد. وفاعل (يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) والتقدير يوحى إلى وحدانية إلهى ويجوز أن يكون المعنى أن الذى يوحى إلى فتكون ما موصولة (فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) استفهام بمعنى الأمر أى أسلموا (فَإِن تَوَلَّوْا) عن الإسلام (فَقُلْ آذَنتُكُمْ) أعلمتكم ما أمرت به (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال أى مستوين فى الإعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ) أى لا أدرى متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعنى عليه ولكنى أعلم بأنه كائن لا محالة أو لا أدرى متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) إنه عالم بكل شىء يعلم ما تجاهروننى به من الطعن فى الإسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وَإِنْ أَدْرِي

لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ) وما أدرى لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر. قال رب حفص على حكاية قول رسول الله ﷺ : رب احكم يزيد ربى أحكم زيد عن يعقوب (وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ) العاطف على خلقه (الْمُسْتَعَانُ) المطلوب منه المعونة (عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله ﷺ والمؤمنين وخذلهم أى الكفار وهو المستعان على ما يصفون .

﴿ سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى يؤمنهم من تلك الأفزاع. والزلزلة شدة التحريك والإزعاج وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هى التى تزلزل الأرض على المجاز الحكمى أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيئا فإن هذا اسمها حال وجودها وانتصب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا) أى الزلزلة أو الساعة بقوله (تَذْهَلُ) تغفل. والذهول: الغفلة (كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) عن إرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هى التى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أى حبلى (حَمْلَهَا) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع

الحامل مافى بطنها لغير تمام (وَتَرَى النَّاسَ) أيها الناظر (سُكَٰرَىٰ) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي: نفسى نفسى (وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ) على التحقيق (وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ) فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه. وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب. سكرى فيهما بالإمالة حمزة وعلى وهو كمطشى فى عطشان. روى أنه نزلت الآيتان ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ) فى دين الله (بِغَيْرِ عِلْمٍ) حال نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة: بنات الله. والقرآن: أساطير الأولين. والله غير قادر على إحياء من بلى أو هى عامة فى كل من يخاصم فى الدين بالهوى (وَيَتَّبِعُ) فى ذلك (كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ) عات مستمر فى الشر ولا وقف على مريد لأن ما بعده صفته (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ) تبعه أى تبع الشيطان (فَأَنَّهُۥ) فأن الشيطان (يُضِلُّهُۥ) عن سواء السبيل (وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ) النار. قال الزجاج: الفاء فى فأنه للعطف وأن مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال إن من إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وإن كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالأمر أنه يضله قال والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول والمعنى كتب على الشيطان إضلال من تولاه وهدايته إلى النار ثم ألزم الحجة على منكرى البعث فقال (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ) يعنى إن ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم) أى أباكم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ) خلقتم (مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) أى قطعة دم جامدة (ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ) أى لحمة صغيرة قدر مايمضغ (مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كأن الله عز وجل يخلق المضغة متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ماهو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلنا كم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق

البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقه والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على إعادة ما بدأه (وَنُقِرُّ) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف. أى نحن نثبت (فِي الْأَرْحَامِ مَانَشَاءُ) ثبوته (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى وقت الولادة ومالم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من الرحم (طِفْلًا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أَشُدَّكُمْ) كمال عقلكم وقوتكم وهو من ألفاظ الجموع التى لا يستعمل لها واحد (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ) عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أخسه يعنى الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) أى لكيلا يعلم شيئاً من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) ميتة يابسة (فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ) تحركت بالنبات (وَرَبَتْ) وانتفخت. وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) حسن سار للناظرين إليه (ذَٰلِكَ) مبتدأ خبره (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم وإحياء الأرض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو أن الله هو الحق أى الثابت الوجود (وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ) كما أحيا الأرض (وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قادر (وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) أى أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفى بما وعد (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي اللَّهِ) فى صفاته فيصفه بغير ما هو له . نزلت فى أبى جهل (بِغَيْرِ عِلْمٍ) ضرورى (وَلَا هُدًى) أى استدلال لأنه يهدى إلى المعرفة (وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ) أى وحى والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثَانِيَ عِطْفِهِ) حال أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثانى عَطفه بفتح العين أى مانع تعطفه إلى غيره (لِيُضِلَّ) تعليل للمجادلة. ليَضل مكى وأبو عمرو (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أى القتل يوم بدر (وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى جمع له عذاب الدارين (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) أى السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لأن اليد آلة الكسب (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) فلا يأخذ أحدا بغير

ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أى وبأن الله . وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولأن قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أى مضطربا (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطْمَأَنَّ) سكن واستقر (بِهِ) بالخير الذى أصابه أو بالدين فعبد الله (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) شر وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) جهته أى ارتد ورجع إلى الكفر كالذى يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. قالوا نزلت فى أعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب عن دينه (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى النار (ذَٰلِكَ) أى خسران الدارين (هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الظاهر الذى لا يخفى على أحد (يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ) يعنى الصنم فإنه بعد الردة يفعل كذلك (مَا لَا يَضُرُّهُ) إن لم يعبده (وَمَا لَا يَنفَعُهُ) إن عبده (ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الصواب (يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه أنه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه (لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ) أى الناصر الصاحب (وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) المصاحب وكرر يدعوا كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) المعنى أن الله ناصر رسوله

فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بحبل (إِلَى السَّمَآءِ) إلى سماء بيته (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. وبكسر اللام بصرى وشامى (فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) أى الذى يغيظه أو مامصدرية أى غيظه والمعنى فليصور فى نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ) ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله (ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ) واضحات (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ) أى ولأن الله يهدى به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيَّنا (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـِٔينَ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) قيل لأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلاتكون ستة (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) فى الأحوال والأماكن فلايجازيهم جزاء واحدا ولايجمعهم فى موطن واحد وخبران الذين آمنوا إن الله يفصل بينهم كما تقول إن زيدا إن أباه قائم (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد(أَلَمْ تَرَ) ألم تعلم يامحمد علما يقوم مقام العيان (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ) قيل إن الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لانقف على تسبيحها قال الله تعالى: وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه (وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ) أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) أى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ) بالشقاوة (فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ) بالسعادة (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَايَشَآءُ) من الإكرام والإهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتى قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل مايشاء (هَٰذَانِ خَصْمَانِ) أى فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف

بها الفريق وقوله (اخْتَصَمُوا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضى الله عنهما رجع إلى أهل الأديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (فِي رَبِّهِمْ) فى دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فَالَّذِينَ كَفَرُوا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة (قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضى لأنه كائن لامحالة فهو كالثابت المتحقق (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الْحَمِيمُ) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يُصْهَرُ) يذاب (بِهِ) بالحميم (مَافِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) أى يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر فى الظاهر والباطن (وَلَهُم مَّقَامِعُ) سياط مختصة بهم (مِنْ حَدِيدٍ) تضربون بها (كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا) من النار (مِنْ غَمٍّ) بدل الاشتمال من منها بإعادة الجار أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعنى كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أُعِيدُوا فِيهَا) بالقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً والمراد إعادتهم إلى معظم النار لأنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها (وَذُوقُوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عَذَابَ الْحَرِيقِ) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) جمع أسورة جمع سوار (مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) بالنصب مدنى وعاصم وعلى ويؤتون لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الأولى فى كل القرآن أبوبكر وحماد (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) إبريسم (وَهُدُوٓا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) أى أرشد هؤلاء فى الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى صراط الحميد أى الإسلام أو هداهم الله فى الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أى يمنعون عن الدخول فى الإسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن إلى الفقراء فإنه يراد به إستمرار وجود الإحسان منه فى الحال والاستقبال (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لاتباع دور مكة وإن أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس (سَوَآءً) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أى جعلناه مستويا (الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) وغير المقيم بالياء مكى وافقه أبو عمرو فى الوصل وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أى العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال (وَمَن يُرِدْ فِيهِ) فى المسجد الحرام (بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا مّا عادلا عن القصد ظالما فالإلحاد العدول عن القصد (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) فى الآخرة وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) واذكر يامحمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أَن) هى المفسرة للقول المقدر أى قائلين له (لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ) من الأصنام والأقذار: وبفتح الياء مدنى وحفص (لِلطَّآئِفِينَ) لمن يطوف به (وَالْقَآئِمِينَ) والمقيمين بمكة (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) المصلين جمع راكع وساجد (وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ إلى مقصد منيع وروى أنه صعد أبا قبيس فقال ياأيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع والأول أظهر وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ) حال معطوفة على رجال كأنه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان إظهارا لفضيلة المشاة كما ورد فى الحديث (يَأْتِينَ) صفة لكل ضامر لأنه فى معنى الجمع وقرأ عبدالله يأتون

صفة للرجال والركبان (مِن كُلِّ فَجٍّ) طريق (عَمِيقٍ) بعيد قال محمد بن ياسين قال لى شيخ فى الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال :

زر من هويت وإن شطت بك الدار　　وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعنك بعدٌ عن زيارته　　إن المحب لمن يهواه زوّار

واللام فى (لِّيَشْهَدُوا) ليحضروا متعلق بأذن أو بيأتوك (مَنَٰفِعَ لَهُمْ) نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادة وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده فكذا المرء إذا خرج من شاطىء الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى فى معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما يأتى عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملفقاً فى كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذى من دخله كان آمناً من الإيذاء والقتال أنموذج لدار السلام التى هى من نزلها بقى سالما من الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية فرحباً بمن جاوز مهالك البوادى شوقاً إلى اللقاء يوم التنادى (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) عند الذبح (فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ) هى عشر ذى الحجة عند أبى حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله

وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما (عَلَىٰ مَارَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَـٰمِ) أى على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالأنعام وهى الإبل والبقر والضأن والمعز (فَكُلُوا مِنْهَا) من لحومها والأمر للإباحة ويجوز الأكل من هدى التطوع والمتعة والقران لأنه دم نسك فأشبه الأضحية ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا (وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ) الذى أصابه بؤس أى شدة (الْفَقِيرَ) الذى أضعفه الإعسار (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ والمراد قضاء إزالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما قضاء التفث مناسك الحج كلها (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه: وفى بنذره وإن لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر فى حجهم، وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وَلْيَطَّوَّفُوا) طواف الزيارة الذى هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل. اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبى عمرو (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده إبراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو لأنه أعتق من الغرق لأنه رفع زمن الطوفان أو من أيدى الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدى الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء فإن الطالب إذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فإذا عاين البيت لم يزده التسلى به إلا اشتياقاً ولم يفده التشفى باستلام الحجر إلا احتراقاً فيرده الأسف لهفان ويردده اللهف حوله فى الدوران . طواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ماهو محظور فيه ويبقى عقده مع مايفسده وينافيه كما أن عقد الإسلام لا ينحل بازدحام الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال فى صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال (ذَٰلِكَ) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ اللَّهِ) الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل

أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فَهُوَ) أى التعظيم (خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ) ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ) أى كلها (إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى أن الله تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بيّن فى كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئاً مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرها ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور بقوله (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها حظراً ومن الأوثان بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شىء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان وسمى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لأن الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة (حُنَفَاءَ لِلَّهِ) مسلمين (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) حال كحنفاء (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) سقط (مِنَ السَّمَاءِ) إلى الأرض (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أى تسلبه بسرعة فتخطّفه أى تتخطفه مدنى (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه والهوى السقوط (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء المردية بالطير المتخطفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة (ذَٰلِكَ) أى الأمر ذلك (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ) تعظيم الشعائر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا ثمانا غالية الأثمان (فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الركوب

عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن تنحر (ثُمَّ مَحِلُّهَا) أى وقت وجوب نحرها منتهية (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت إذالحرم حريم البيت ومثله فىالاتساع قولك بلغت البلدوإنما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلهاوتعظيمها إتمامها ومحلها إلىالبيت العتيق يأباه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) جماعة مؤمنة قبلكم (جَعَلْنَا مَنسَكًا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وجهة أى موضع قربان وغيرها بالفتح على المصدر أى إراقة الدماء وذبح القرابين (لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) دون غيره (عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) أى عند نحرها وذبحها (فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك وقوله (فَلَهُ أَسْلِمُوا) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أى خالصا لا تشوبوه بإشراك (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) المطمئنين بذكر الله أوالمتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره مابعده أى (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) خافت منه هيبة (وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من المحن والمصائب (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فىأوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفى الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثانى مفعولى جعلنا (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) النفع فى الدنيا والأجر فىالعقبى (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافَّ) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أى إذاسقطت جنوبها علىالأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فَكُلُوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته قنوعا (وَالْمُعْتَرَّ) الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ) أى كما أمرناكم

بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى دللناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتتمكنوا من نحرها (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) لكى تشكروا إنعام الله عليكم (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ) أى البدن (لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) على ما أرشدكم إليه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) الممتثلين أوامره بالثواب(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ) ـيدفع ـمكى وبصرى وغيرهما يدافع أى يبالغ فى الدفع عنهم (عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فى أمانة الله (كَفُورٍ) لنعمة الله أى لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونه الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (أُذِنَ) مدنى وبصرى وعاصم (لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه(بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ) على نصر المؤمنين (لَقَدِيرٌ) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الَّذِينَ) فى محل جر بدل من للذين أو نصب بأعنى أو رفع بإضمارهم (أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم) بمكة (بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ومحل أن يقولوا جر بدل من حق

والمعنى ماأخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ) دفاع مدنى ويعقوب (النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ) وبالتخفيف حجازى (صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ) أى لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون فى أمة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجوداً أولقربها من التهديم (يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم (وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ) أى ينصر دينه وأوليائه (إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ) على نصر أوليائه (عَزِيزٌ) على انتقام أعدائه (الَّذِينَ) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ) هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم فى الأرض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عزوجل أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد ﷺ (وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ الْأُمُورِ) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته (وَإِن يُكَذِّبُوكَ) هذه تسلية لمحمد ﷺ من تكذيب أهل مكة إياه أى لست بأوحدى فى التكذيب (فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قومك (قَوْمُ نُوحٍ) نوحا (وَعَادٌ) هودا (وَثَمُودُ) صالحا (وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ) إبراهيم (وَقَوْمُ لُوطٍ) لوطا (وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ) شعيبا (وَكُذِّبَ مُوسَىٰ) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) عاقبتهم على كفرهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى وتغييرى حيث أبدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا. نكيرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا)

أهلكتها بصرى (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) حال أى وأهلها مشركون (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة من خوى النجم إذا سقط (عَلَىٰ عُرُوشِهَا) يتعلق بخاوية والمعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولامحل لفهى خاوية من الاعراب لأنهامعطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا إذاجعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ) أى متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أى تركت لايستقى منها لهلاك أهلها (وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والأظهر أن البئر والقصر على العموم (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون مايجب سماعه من الوحى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) الضمير فى فإنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الأبصار أى فما عميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل إنسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فإذا أبصر ما فى القلب وعمى مافى الرأس لم يضره وإن أبصر ما فى الرأس وعمى مافى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال إن القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) الآجل استهزاء (وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) كأنه قال: ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وماوعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) يعدون مكى وكوفى غير عاصم أى كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد طوال (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أى وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قدأنظرتهم حينا (ثُمَّ أَخَذْتُهَا)

بالعذاب (وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) أى المرجع إلى فلا يفوتنى شىء وإنما كانت الأولى أى فكأين معطوفة بالفاء وهذه أى وكأين بالواو لأن الأولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير وأماهذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك (قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا أو تقديره نذير مبين وبشير فبشر أولا فقال (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) أى حسن ثم أنذر فقال (وَالَّذِينَ سَعَوْا) سعى فى أمر فلان إذا أفسده بسعيه (فِى ءَايَـٰتِنَا) أى القرآن (مُعَـٰجِزِينَ) حال. معجزين حيث كان مكى وأبوعمرو. وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما فى طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم (أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ) أى النار الموقدة (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) من لابتداء الغاية (مِن رَّسُولٍ) من زائدة لتأكيد النفى (وَلَا نَبِىٍّ) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى بخلاف مايقول البعض إنهما واحد وسئل النبى ﷺ عن الأنبياء فقال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» فقيل فكم الرسل منهم فقال «ثلثمائة وثلاثة عشر» والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره (إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ) قرأ ، قال :

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

(أَلْقَى الشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ) تلاوته قالوا إنه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلوا إما أن يتكلم النبى عليه السلام بها

عمدا وإنه لايجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعنا للأصنام لامادحا لها أوأجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرا بحيث لايقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لايقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى: إن عبادى ليس لك عليهم سلطان. ففى حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لأنه لايجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولأنه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الأخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي ﷺ فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا إلقاء فى قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى أنه نادى يوم أحد ألا إن محمدا قد قتل وقال يوم بدر : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم (فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ) أى يذهب به ويبطله ويخبر أنه من الشيطان (ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِ) أى يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان (حَكِيمٌ) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله (لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً) محنة وابتلاء (لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق (وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ) أى المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لَفِى شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق (وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ) بالله وبدينه وبالآيات (أَنَّهُ) أى القرآن (ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ) بالقرآن (فَتُخْبِتَ) فتطمئن (لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) فيتأولون مايتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الأصول المحكمة حتى لاتلحقهم حيرة ولاتعتريهم شبهة (وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ) شك (مِّنْهُ) من القرآن أومن الصراط المستقيم (حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً) فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) يعنى يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو

راحة كالريح العقيم لاتأتى بخير. أوشديد لا رحمة فيه أو لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته (ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أى يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لِّلَّهِ) فلا منازع له فيه (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة فقال (وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثُمَّ قُتِلُوٓا) فى الجهاد قتلوا شامى (أَوْ مَاتُوا) حتف أنفهم (لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا (وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) لأنه المخترع للخلق بلامثال، المتكفل للرزق بلا ملال (لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يَرْضَوْنَهُ) لأن فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين (وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا، وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حَلِيمٌ) بإمهال من قاتلهم معاندا روى أن طوائف من أصحاب النبى ﷺ قالوا يانبى الله: هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين (ذَٰلِكَ) أى الأمر ذلك ومابعده مستأنف (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ) أى من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله أن ينصره (إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ) يمحو آثار الذنوب (غَفُورٌ) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله: فمن عفا وأصلح فأجره على الله. وأن تعفوا أقرب للتقوى. فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره فى الكرة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغى، وعرف مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أودل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) أى ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته

أنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يزيد من هذا فى ذلك ومن ذلك فى هذا أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والإنصاف وأنه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت فى النهار الأصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شىء بشىء فى الليالى وإن توالت الظلمات (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) عراقى غير أبى بكر (مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجرى فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه لا شىء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً (فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول أنعم علىّ فلان فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وإنما رفع فتصبح ولم ينصب جواباً للاستفهام لأنه لو نصب لبطل الغرض وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفى الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم ترانى أنعمت عليك فتشكر، إن نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وإن رفعته أثبت شكره (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) واصل عمله أو فضله إلى كل شىء (خَبِيرٌ) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير والخبير المحيط بكل قليل وكثير (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكاً وملكاً (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ) المستغنى بكمال قدرته بعد فناء ما فى السماوات وما فى الأرض (الْحَمِيدُ) المحمود بنعمته قبل ثناء من فى السماوات ومن فى الأرض (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ) من البهائم مذللة للركوب فى البر (وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) أى ومن المراكب جارية فى البحر، ونصب الفلك عطفاً على ما وتجرى حال لها أى وسخر لكم الفلك فى حال جريها (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) أى يحفظها من أن تقع (إِلَّا بِإِذْنِهِ) بأمره أو بمشيئته (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ) بتسخير ما فى الأرض (رَّحِيمٌ) بإمساك السماء لئلا تقع على الأرض عدد آلاءه مقرونة بأسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه بأسمائه وعن أبى حنيفة رحمه الله أن اسم الله الأعظم فى الآيات

الثمانية يستجاب لقرائها البتة (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ) فى أرحام أمهاتكم (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)
عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) لإيصال جزائكم (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ) لجحود لما
أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أولا يعرف نعمة الإنشاء المبدى
للوجود ولا الإفناء المقرب إلى الموعود ولا الإحياء الموصل إلى المقصود (لِّكُلِّ أُمَّةٍ) أهل
دين (جَعَلْنَا مَنسَكًا) مر بيانه وهو رد لقول من يقول إن الذبح ليس بشريعة الله إذ هو
شريعة كل أمة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت
إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (فِى ٱلْأَمْرِ) أمر الذبائح أو الدين. نزلت حين قال المشركون
للمسلمين: مالكم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنى الميتة (وَٱدْعُ) الناس (إِلَىٰ
رَبِّكَ) إلى عبادة ربك (إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ) طريق قويم ولم يذكر الواو فى لكل
أمة بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت
على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا (وَإِن جَٰدَلُوكَ) مراء وتعنتا
كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون
عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل
متعنت (ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)هذا خطاب من الله
للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله ﷺ مما كان
يلقى منهم (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) أى كيف يخفى عليه ما تعملون
ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث فى السماوات والأرض (إِنَّ ذَٰلِكَ) لموجود فيهما
(فِى كِتَٰبٍ) فى اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) أى علمه بجميع ذلك عليه يسير
ثم أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِۦ) ينْزل مكى وبصرى (سُلْطَٰنًا) حجة وبرهانا (وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ) أى لم
يتمسكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا حملهم عليها دليل عقلى (وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم

(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ) يعنى القرآن (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمُنكَرَ) الإنكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يَكَادُونَ يَسْطُونَ) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا) هم النبي ﷺ وأصحابه (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمْ) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلى عليكم (ٱلنَّارُ) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار (وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) استئناف كلام (وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الأمثال المسيرة قال الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ) بين (مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ) لضرب هذا المثل (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ) يدعون سهل ويعقوب (مِن دُونِ ٱللَّهِ) آلهة باطلة (لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا) لن تأكيد نفى المستقبل وتأكيده هنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لأنه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره (وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ) لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل فى تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلٰهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا) شيئا ثانى مفعولى يسلبهم (لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ) أى هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ) أى الصنم بطلب ما سلب منه (وَٱلْمَطْلُوبُ) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له (إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) أى إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به أو لقوى بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (ٱللَّهُ يَصْطَفِى) يختار (مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (وَمِنَ ٱلنَّاسِ) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد

وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولهم (بَصِيرٌ) بمن يختاره لرسالته أو سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأمم فى الرد والقبول (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) مامضى (وَمَا خَلْفَهُمْ) مالم يأت أو ما عملوه وما سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أى إليه مرجع الأمور كلها والذى هو بهذه الصفات لايسئل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شامى وحمزة وعلى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) فى صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لاللتلاوة (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لاالصنم (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكرى ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أى كى تفوزوا أوافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وَجَاهِدُوا) أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (فِي اللَّهِ) أى فى ذات الله ومن أجله (حَقَّ جِهَادِهِ) وهو أن لايخاف فى الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته إليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه ونصرته (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)ضيق بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) أى اتبعوا ملة أبيكم أونصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وإن لم يكن أبا للأمة كلها لأنه أبو رسول الله ﷺ فكان أبا لأمته لأن

أمة الرسول فى حكم أولاده قال عليه السلام «إنما أنا لكم مثل الوالد» (هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ) أى الله بدليل قراءة أبىّ: الله سماكم المسلمين (مِن قَبْلُ) فى الكتب المتقدمة (وَفِى هَـٰذَا) أى فى القرآن أى فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ) بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة (فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ) بواجباتها (وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ) بشرائطها (وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هُوَ مَوْلَـٰكُمْ) أى مالككم وناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب .

﴿ سورة المؤمنون مكية وهى مائة وثمان عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ) قد نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهى الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ماتوقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أى فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والإيمان فى اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفى الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام «خلق الله الجنة فقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مراء» لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع فى الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وأن لايجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبى الدرداء هو إخلاص المقال وإعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام. وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلى له لانتفاع المصلى بها

وحده وهى عدته وذخيرته وأما المصلى له فغنى عنها (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)
اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعنى أن لهم من الجد ماشغلهم
عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل
والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ) مؤدون
ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو
القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب إلى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكى الذى هو التزكية
وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما
تقول للضارب والقاتل والمزكى فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين
ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل فى العمل
فإنك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ)
الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ) فى موضع الحال أى الا والين على
أزواجهم أوقوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أى واليا عليها والمعنى أنهم لفروجهم
حافظون فى جميع الأحوال إلا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه
غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم
فإنهم غير ملومين عليه وقال الفراء إلا من أزواجهم أى زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ)
أى امائهم ولم يقل من لأن المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم (فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ) أى لالوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم (فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ) الكاملون فى العدوان
وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ)
لأمانتهم مكى وسهل سمى الشىء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إن الله
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإنما تؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم فى كل
ماائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (رَٰعُونَ) حافظون والراعى
القائم على الشىء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ) صلاتهم كوفى
غير أبى بكر (يُحَافِظُونَ) يداومون فى أوقاتها وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم ولأن الخشوع

فيها غير المحافظة عليها أو لأنها وحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخراً ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أُوْلَٰئِكَ) الجامعون لهذه الأوصاف (هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ) الأحقاء بأن يسموا ورّاثاً دون من عداهم ثم ترجم الوارثون بقوله (ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ) من الكفار فى الحديث « مامنكم من أحد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزلة» (ٱلْفِرْدَوْسَ) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) أنث الفردوس بتأويل الجنة (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ) أى آدم (مِن سُلَٰلَةٍ) من للابتداء والسلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وقيل إنما سمى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لأنه سل من كل تربة (مِّن طِينٍ) من للبيان كقوله من الأوثان (ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ) أى نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأن آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نُطْفَةً) ماء قليلا (فِى قَرَارٍ) مستقر يعنى الرحم (مَّكِينٍ) حصين (ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ) أى صيرناها بدلالة تعديه إلى مفعولين والخلق يتعدى إلى مفعول واحد (عَلَقَةً) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحم قدر مايمضغ (فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا) فصيرناها عظاما (فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا) فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظماً العظم شامى وأبو بكر عظماً العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة (ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ) الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور (خَلْقًا ءَاخَرَ) أى خلقاً مبايناً للخلق الأول حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وسميعاً وبصيراً وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أَحْسَنُ) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من من (ٱلْخَٰلِقِينَ) المقدرين

أى أحسن المقدرين تقديراً فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل إن عبد الله بن سعد ابن أبى سرح كان يكتب للنبى عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله ﷺ «اكتب هكذا نزلت» فقال عبدالله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد ما ذكرنا من أمركم (لَمَيِّتُونَ) عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ) تحيون للجزاء (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ) جمع طريقة وهى السموات لأنها طرق للملائكة ومتقلباتهم (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَٰفِلِينَ) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) مطراً (بِقَدَرٍ) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم (فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ) كقوله فسلكه ينابيع فى الأرض وقيل جعلناه ثابتا فى الأرض فماء الأرض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ) أى كما قدرنا على انزاله نقدر على إذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر (فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ) بالماء (جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا) فى الجنات (فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ) سوى النخيل الأعناب (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى من الجنات أى من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها أى أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وَشَجَرَةً) عطف على جنات وهى شجرة الزيتون (تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ) طور سيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرىء القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازى وأبى عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء (تَنبُتُ بِالدُّهْنِ) قال الزجاج الباء للحال أى تنبت ومعها الدهن تُنبت مكى وأبو عمرو إما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل أو لأن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها

وفيه الدهن (وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) أى إدام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى فى هذه إداما ودهنا فالإدام الزيتون والدهن الزيت وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) جمع نعم وهى الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مِّمَّا فِي بُطُونِهَا) أى نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) سوى الألبان وهى منافع الأصواف والأوبار والأشعار (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى لحومها (وَعَلَيْهَا) وعلى الأنعام فى البر (وَعَلَى الْفُلْكِ) فى البحر (تُحْمَلُونَ) فى أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد ناقته (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحده (مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ) معبود (غَيْرُهُ) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شىء (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) أى أشرافهم لعوامهم (مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) يأكل ويشرب (يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) أى يطلب الفضل عليكم ويترأس (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) إرسال رسول (لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً) لأرسل ملائكة (مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) أى بإرسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلى أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) فلما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياى إذ فى نصرته إهلاكهم أو انصرنى بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أى بدل ذاك والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) أى أجبنا دعاءه فأوحينا إليه (أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) أى تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك أو بحفظنا وكلاءتنا كأن معك من الله حفاظا يكلئونك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم

عليه من الله عين كالئة (وَوَحْيِنَا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا) أى عذابنا بأمرنا (وَفَارَ التَّنُّورُ) أى فار الماء من تنــور الخبز أى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ فى الانذار والاعتبار روى أنه قيل لنو ح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الـكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فَاسْلُكْ فِيهَا) فأدخل فى السفينة (مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ) من كلٍّ أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثْنَيْنِ) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (وَأَهْلَكَ) ونساءك وأولادك (إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) من الله بإهلاكه وهو ابنه وإحدى زوجتيه فجىء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فإنى أغرقهم (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ) فإذا تمكنتم عليها راكبين (فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وإن كان فإذا استويت أنت ومن معك فى معنى إذا استويتم لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة (وَقُل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً) أى إنزالا أو موضع إنزال منزلا أبو بكر أى مكانا (مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (إِنَّ فِي ذَلِكَ) فيم فعل بنوح وقومه (لَآيَاتٍ) لعبرا ومواعظ (وَإِن) هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثُمَّ أَنشَأْنَا) خلقنا (مِن بَعْدِهِمْ) من بعد

قوم نوح (قَرْنًا ءاخَرِينَ) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح فى الأعراف وهود والشعراء (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ) الإرسال يعدى بإلى ولم يعد بفى هنا وفى قوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية ولكن الأمة والقرية جعلت موضعا للإرسال كقول رؤبة :

* أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام * (رَسُولًا) هو هود (مِّنْهُمْ) من قومهم (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) أن مفسرة لأرسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الأعراف وهود بغير واو لأنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لأنه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي ﷺ متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وجيء بالفاء فى قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عقيبه (الَّذِينَ كَفَرُوا) صفة للملأ أو لقومه (وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أى بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) ونعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بكثرة الأموال والأولاد (مَا هَٰذَا) أى النبي (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) أى منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أى من أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ) فيما يأمركم به وينهاكم عنه (إِنَّكُمْ إِذًا) واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم (لَّخَاسِرُونَ) بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ) بالكسر نافع وحمزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى أنكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الأول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الأول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أى بعد التصديق أو الوقوع (لِمَا تُوعَدُونَ) من العذاب أو فاعلها ماتوعدون واللام زائدة أى بعد ماتوعدون من البعث (إِنْ هِيَ) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا

الدُّنْيَا) ثم وضع هى موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحياة إلا هذه الحياة التى نحن فيها ودنت منا وهذا لأن إن النافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى لنفى الجنس (نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتى قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) بعد الموت (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أى ماهو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه وفيما يعدنا من البعث (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) بمصدقين (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) فأجاب الله دعاء الرسول بقوله (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شىء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم لمحذوف (لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) إذا عاينوا مايحل بهم (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) أى صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بِالْحَقِّ) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أى بالعدل (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسودّ من الورق والعيدان (فَبُعْدًا) فهلا كا يقال بعد بعدا أو بعدا أى هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها (لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ) من صلة أى ماتسبق أمة (أَجَلَهَا) المكتوب لها والوقت الذى حد لهلا كها وكتب (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) لا يتأخرون عنه (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا) فعلى والألف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لاينون لأنه غير منصرف. تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى وهو نصب على الحال فى القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها فيهما بدل من الواو والأصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ) الرسول يلابس المرسل والمرسل إليه والإضافة تكون بالملابسة فتصح إضافته إليهما (فَأَتْبَعْنَا) الأمم والقرون (بَعْضَهُم بَعْضًا) فى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أخبارا يسمع بها ويتعجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للأحدوثة وهو مايتحدث به الناس

تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ)
بدل من أخاه (بِـَٔايَٰتِنَا) التسع (وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) وحجة ظاهرة (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَاسْتَكْبَرُوا) امتنعوا عن قبـول الإيمان ترفعا وتكبرا (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) متكبرين
مترفعين (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف
بهما الاثنان والجمـع والمذكر والمؤنث (وَقَوْمُهُمَا) أى بنو إسرائيل (لَنَا عَٰبِدُونَ) خاضعون
مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ)
بالغرق (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ) أى قوم موسى (الْكِتَٰبَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يعملون
بشرائعها ومواعظها (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ ءَايَةً) تدل على قدرتنا على مانشاء لأنه خلق
من غير نطفة وحد . لأن الأعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت
الأولى لدلالة الثانية عليها (وَءَاوَيْنَٰهُمَا) جعلنا مأواهما أى منزلهما (إِلَىٰ رَبْوَةٍ) شامى وعاصم
رُبوة غيرهما أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذَاتِ قَرَارٍ)
مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء يعنى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها
(وَمَعِينٍ) وماء ظاهر جار على وجه الأرض وهو مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من
عانه إذا أدركه بعينه أو فعيل لأنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة (يَٰأَيُّهَا الرُّسُلُ
كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَٰتِ) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين فى أزمنة
مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا
نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لمحمد عليه
الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم أو لعيسى عليه السلام
لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ماحل
والأمر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفية والإباحة (وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا) موافقا
للشريعة (إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم على أعمالكم (وَإِنَّ هَٰذِهِۦ) كوفى على الاستئناف
وأن حجازى وبصرى بمعنى ولأن أى فاتقون لأن هذه. أو معطوف على ماقبله أى بما تعملون
عليم وبأن هذه. أو تقديره واعلموا أن هذه (أُمَّتُكُمْ) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها

(أُمَّةً وَاحِدَةً) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب أمة على الحال والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله إن الدين عند الله الاسلام (وَأَنَا رَبُّكُمْ) وحدى (فَاتَّقُونِ) فخافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا أمر دينهم (زُبُرًا) جمع زبور أى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبَرا جمع زبرة أى قطعا (كُلُّ حِزْبٍ) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) من الكتاب والدين أو من الهوى والرأى (فَرِحُونَ) مسرورون معتقدون أنهم على الحق (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ) جهالتهم وغفلتهم (حَتَّىٰ حِينٍ) أى إلى أن يقتلوا أو يموتوا (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ) ما بمعنى الذى وخبر أن (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) والعائد من خبر أن إلى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له فى الدين وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا أصلح (بَل لَّا يَشْعُرُونَ) بل استدراك لقوله أيحسبون أى أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك أنه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) أى خائفون (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) أى بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) كمشركى العرب (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ما أتوا بالقصر أى يفعلون ما فعلوا (وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) الجمهور على أن التقدير لأنهم وخبر إن الذين (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) أى لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها يعنى أن الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من

جواز تكليف مالا يطاق (وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ) أى اللوح أوصحيفة الأعمال (يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ماهو صدق وعدل لازيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف مالا وسع له به (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا) بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ) أى ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم) متنعميهم (بِالْعَذَابِ) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبى عليه الصلاة والسلام أوقتلهم يوم بدر وحتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ) يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ) فإن الجؤار غير نافع لكم (إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ) أى من جهتنا لايلحقكم نصر أومعونة (قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) أى القرآن (فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ) ترجعون القهقرى والنكوص أن يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ماوراءه (مُسْتَكْبِرِينَ) متكبرين على المسلمين حال من تنكصون (بِهِ) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذى سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أوبآياتى لأنها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا. ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أويتعلق الباء بقوله (سَٰمِرًا) تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا. أو بقوله (تَهْجُرُونَ) وهو من الهجر الهذيان تهجرون. نافع من أهجر فى منطقه إذا أفحش (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ) محمدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق

أى عرفوه بهذه الصفات (فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) بغيا وحسدا (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ) الأبلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه إلى الجنون (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) وفيه دليل على أن أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبى طالب (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ) أى الله (أَهْوَآءَهُمْ) فيما يعتقدون من الآلهة (لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ) كما قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (وَمَن فِيهِنَّ) خص العقلاء بالذكر لأن غيرهم تبع (بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين الآية (فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ) بسوء اختيارهم (أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) حجازى وبصرى وعاصم، خرجا فخرج شامى، خراجا فخراج على وحمزة وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الأولى يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق الكثير من الخالق خير (وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) أفضل المعطين (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال «بلى» فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية، والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (لَّلَجُّوا) أى تمادوا (فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون يعنى لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين

يديه (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعدذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله ومايتضرعون عبارة عن دوام حالهم أى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال (حَتَّىٰ إِذَآ فَتَحْنَا) فتّحنا يزيد (عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) أى باب الجوع الذى هوأشد من الأسر والقتل (إِذَاهُم فِيهِ مُبْلِسُونَ) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد ليستعطفك أومحناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذاعذبوا بنارجهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصهما بالذكر لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى إنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا (وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ) خلقكم وبثكم بالتناسل (فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وَهُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ) أى يحيى النسم بالإنشاء ويميتها بالإفناء (وَلَهُ اخْتِلَفُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى مجىء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بَلْ قَالُوا) أى أهل مكة (مِثْلَ مَاقَالَ الْأَوَّلُونَ) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) متنا نافع وحمزة وعلى وحفص (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَذَا) أى البعث (مِن قَبْلُ) مجىء محمد (إِنْ هَذَا إِلَّآ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطار جمع سطر وهى ما كتبه الأولون مما لاحقيقة له وجمع أسطور أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين بقوله (قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ) فإنهم (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) لأنهم مقرون بأنه الخالق فإذا قالوا (قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية. أفلاتذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص، وبالتشديد غيرهم (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) الملكوت الملك والواو و لتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولايغيث أحدمنه أحد (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ) تخدعون عن الحق أوعن توحيده وطاعته، والخادع هو الشيطان والهوى الأول لله بالإجماع إذ السؤال لمن وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على لمعنى لأنك إذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر :

إذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد

أى لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذاقلت من رب هذا فجوابه فلان (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قولهم اتخذ الله ولدا ودعائهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ) لأنه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ) وليس معه شريك فى الألوهية (إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذى خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شىء، ولا يقال إذاً لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وههناوقع لذهب جزاءوجوابا ولم يتقدمه شرط ولاسؤال سائل لأن الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من إله عليه وهوجواب لمن حاجه من المشركين (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) من الأنداد والأولاد (عَالِمِ) بالجر صفة لله، وبالرفع مدنى و كوفى

غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ) السر والعلانية (فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) من الأصنام وغيرها (قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ) ما والنون مؤكدان أى إن كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ) أى فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم ، عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فأمر أن يدعو هـذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم ﷺ ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه، واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ) كانوا ينكرون الوعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الانكار (ادْفَعْ بِالَّتِى) بالخصلة التي (هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة: الشرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة إذ المداراة محثوث عليها مالم تؤد إلى ثلم دين (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَٰطِينِ) من وساوسهم ونخساتهم، والهمزة: النخس ، والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند النزع (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) حتى تتعلق بيصفون أى لايزالون يشركون إلى وقت مجيء الموت أو لايزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) أى ردونى إلى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) في الموضع الذى تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى المقبى، قال قتادة ماتمنى أن يرجع

إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك مافرط. لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب (كَلَّا) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد (إِنَّهَا كَلِمَةٌ) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله: رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هُوَ قَائِلُهَا) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (وَمِن وَرَآئِهِم) أى أمامهم والضمير للجماعة (بَرْزَخٌ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة (فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ) قيل إنها النفخة الثانية (فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) وبالإدغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وإنما يكون بالأعمال (وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لأن كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ) جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ) بالسيئات والمراد الكفار (فَأُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ) غبنوها (فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تَلْفَحُ) أى تحرق (وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ) عابسون فيقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى) أى القرآن (تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) فى الدنيا (فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) وتزعمون أنها ليست من الله تعالى (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا) ملكتنا (شِقْوَتُنَا) شقاوتنا حمزة وعلى وكلاهما مصدر أى شقينا بأعمالنا السيئة التى عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذى علم أنه يختاره فلا يكون مغلوباً ومضطرا فى الفعل وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول

اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى أمره فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم
(وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الحق والصواب (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) أى من النار (فَإِنْ عُدْنَا)
إلى الكفر والتكذيب (فَإِنَّا ظَالِمُونَ) لأنفسنا (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا) اسكتوا سكوت ذلة
وهوان (وَلَا تُكَلِّمُونِ) فى رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام
يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير أن يحضرونى. ارجعونى ولا تكلمونى
بالياء فى الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء (إِنَّهُ) إن الأمر والشأن (كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا) مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن فى ياء
النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا
وتشاغلتم بهم ساخرين (حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذِكْرِي) فتركتموه
أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ) استهزاء بهم
(إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم (أَنَّهُمْ) أى لأنهم (هُمُ الْفَائِزُونَ) ويجوز
أن يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين وجزاهم بما صبروا
جنة. إنهم حمزة وعلى على الاستئناف أى إنهم هم الفائزون لا أنتم (قَالَ) أى الله أو المأمور
بسؤالهم من الملائكة. قل مكى وحمزة وعلى أمر لما لك أن يسألهم (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ)
فى الدنيا (عَدَدَ سِنِينَ) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من
عذابها لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر مامر عليه من أيام الدعة (فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ)
أى الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسل بلا همز مكى وعلى (قَالَ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) أى ما لبثتم إلا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) صدقهم الله
تعالى فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها. قل إن حمزة وعلى (أَفَحَسِبْتُمْ
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) حال أى عابثين أو مفعول له أى للعبث (وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)

بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب وهو معطوف على أنما خلقناكم أو على عبثا أى للعبث ولنتركـكم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ) عن أن يخلق عبثاً (ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ) الذى يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذى لايزول ولايزول ملـكه (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ) وصف العرش بالـكرم لأن الرحمة تنزل منه أولنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرئ شاذا برفع الـكريم صفة للرب تعالى (وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ) أى لاحجة (لَهُۥ بِهِۦ) اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لاأحق بالإحسان منه فإن الله مثيبه أوصفة لازمة جيء بها للتوكيد كقولك يطير بجناحيه لا أن يكون فى الآلهة مايجوز أن يقوم عليه برهان (فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ) أى جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عِندَ رَبِّهِۦٓ) أى فهو يجازيه لامحالة (إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها إنه لايفلح الـكافرون فشتان مابين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ) ثم قال (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ) لأن رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لاتغنيه عن رحمته .

﴿سورة النور مدنية وهى ستون وأربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سُورَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة (أَنزَلْنَٰهَا) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أوعلى اتل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وَفَرَضْنَٰهَا) أى فرضنا أحكامها التى فيها . وأصل الفرض القطع أى جعلناها مقطوعاً بها . وبالتشديد مكى وأبو عمرو للمبالغة فى الإيجاب وتوكيده أولأن فيها فرائض شتى أو لـكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ) أى دلائل واضحات (لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) لـكى تتعظوا . وبتخفيف الذال حمزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما أوالخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لـكون الألف واللام

بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى: فاجلدوه. وكقوله: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم. وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الألم إلى اللحم والخطاب للأئمة لأن إقامة الحد من الدين وهى على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن إذ حكم المحصن الرجم وشرائط إحصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافى والتغريب المروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى فى قوله فأمسكوهن فى البيوت وقوله فآذوهما بهذه الآية (وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ) أى رحمة والفتح لغة وهى قراءة مكى وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى إيصال المحبوب والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فِى دِينِ اللهِ) أى فى طاعة الله أو حكمه (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أى فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على أنه عقوبة (طَائِفَةٌ) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شىء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة إلى أربعين رجلا (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) من المصدقين بالله (الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين فالآية تزهيد فى نكاح البغايا إذ الزنا عديل الشرك فى القبح والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل: كان نكاح الزانية محرما فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله: وأنكحوا الأيامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزانى يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح

لكنه يؤدى إلى قولك الزانى لايزنى إلا بزانية والزانية لا يزنى بها إلا زان وسئل ﷺ عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال «أوله سفاح وآخره نكاح» ومعنى الجملة الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للإعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا لأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ماجنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهى وفى المرفوع أيضاً معنى النهى ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لايدخل نفسه تحت هذه المادة ويتصون عنها (وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبيه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) وبكسر الصاد على أى يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقول يازانية لذكر المحصنات عقيب الزوانى ولاشتراط أربعة شهداء بقوله (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) أى ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يافاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط إحصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) إن كان القاذف حراً ونصب ثمانين نصب المصادر كانصب مائة جلدة. وجلدة نصب على التميز (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) نكر شهادة فى موضع النفى فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو ببعضه على ماعرف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) كلام مستأنف غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية

وقوله (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) أى القذف (وَأَصْلَحُوا) أحوالهم استثناء من الفاسقون ويدل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أى يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية أن يكون مجروراً بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم قذف الأجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) أى يقذفون زوجاتهم بالزنا (وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (إِلَّا أَنفُسُهُمْ) يرتفع على البدل من شهداء (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ) بالرفع كوفى غير أبى بكر على أنه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه فى حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رماها به الزنا (وَالْخَامِسَةُ) لاخلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ) فهى مبتدأ وخبر (إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ) ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ (أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ) إن الزوج (لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رمانى به من الزنا وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ) أى الزوج (مِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمانى به من الزنا، ونصب حفص الخامسة عطفاً على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وأن غضب الله خبره وخفف نافع أن لعنة الله وأن غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة وأن غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب فى جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن والأصل أن اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالإيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لأن الله تعالى سماه شهادة فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما وإذا التعنا كما بين فى النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما، وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند أبى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال بن أمية أو عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبى ﷺ بينهما

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ ﴾ تفضله ﴿ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ نعمته ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ جواب لولامحذوف أىلفضحكم أولعاجلكم بالعقوبة ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ هوأبلغ مايكون من الكذب والافتراء، وأصله الأفكُ وهوالقلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ماأفك بهعلى عائشة رضىاللهعنهاقالتعائشة: فقدت عقدا فىغزوةبنىالمصطلقفتخلفت ولميعرف خلو الهودج لخفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد مانزلوا فهلك فىّ من هلكفاعتللتشهرا وكانعليهالصلاةوالسلام يسأل « كيفأنت» ولاأرى منه لطفا كنت أراهحتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعسمسطح فأنكرت عليهافأخبرتنى بالإفك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لايرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمعفالق كبدى حتى قال عليهالصلاةوالسلام «ابشرى ياحميراء فقد أنزل اللهبراءتك» فقلت بحمد الله لا بحمدك ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ﴿ مِّنكُمْ ﴾ من جماعة المسلمين وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ ﴾ أى الإفك ﴿ شَرًّا لَّكُم ﴾ عند الله ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن الله أثابكم عليه وأنزل فى البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله ﷺ وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ أى على كل امرىء من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحاك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ ﴾ أى عظمه عبد الله بن أبىّ ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أى من العصبة ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أى جهنم يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولا نجا منها ثم وبخ الخائضين فقال ﴿لَّوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أى الافك ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم ﴿خَيْرًا﴾ عفافا وصلاحا وذلك نحومايروى أنعمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أناقاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك منوقوع الذباب على جلدك لأنه يقع علىالنجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لايعصمك عن صحبة من تكون متلطخة

بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان: إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال على رضى الله عنه: إن جبريل أخبرك أن على نعليك قذرا وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش وروى أن أبا أيوب الأنصارى قال لامرأته ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوأ فقال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير منى وصفوان خير منك وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه (وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) كذب ظاهر لا يليق بهما (لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ) الأربعة (فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ) أى فى حكمه وشريعته (هُمُ الْكَاذِبُونَ) أى القاذفون لأن الله تعالى جعل التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت الشهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى ولولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع (إِذْ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تَلَقَّوْنَهُ) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى أن بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ) إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن

الشيء المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يدور فى فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وَتَحْسَبُونَهُ) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هَيِّنًا) صغيرة (وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ) كبيرة. جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم (وَلَوْلَا) وهلا (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لأن للظروف شأنا وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها مالا يتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم إذ سمعتم الإفك مايصح لنا أن نتكلم بهذا (سُبْحَانَكَ) للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبى مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هَٰذَا بُهْتَانٌ) زور يبهت من يسمع (عَظِيمٌ) وذكر فيما تقدم هذا إفك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرى (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا) فى أن تعودوا (لِمِثْلِهِ) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أَبَدًا) مادمتم أحياء مكلفين (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصاد عن كل قبيح (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بكم وبأعمالكم (حَكِيمٌ) يجزى على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا) أى ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بالحد ولقد ضرب النبى ﷺ ابن أبى وحسانا ومسطحا الحد (وَالْآخِرَةِ) بالنار وعدها إن لم يتوبوا (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) بواطن الأمور وسرائر الصدور (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أى أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) لعجل لكم العذاب

وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ لهم (وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب (رَّحِيمٌ) بغفرانه جناية القاذف إذا تاب (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ) أى آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الافك والقول فيه (وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ) فإن الشيطان (يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ) ما أفرط قبحه (وَٱلْمُنكَرِ) ماتنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الافك (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ) يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها (وَٱللَّهُ سَمِيعٌ) لقولهم (عَلِيمٌ) بضمائرهم وإخلاصهم (وَلَا يَأْتَلِ) ولا يحلف من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية أولا يقصر من الألو (أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ) فى الدين (وَٱلسَّعَةِ) فى الدنيا (أَن يُؤْتُوا) أى لا يؤتوا إن كان من الالية (أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أولا يقصروا فى أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ) فليفعلوا بهم مايرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا، نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبى ﷺ على أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد إلى مسطح نفقته (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ) العفائف (ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور (ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبى عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لُعِنُوا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة إن لم يتوبوا والعامل فى (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ) يعذبون

وبالياء حمزة وعلى (أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى بما أفكوا أوبهتوا والعامل فى (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذى هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفةلله كقراءة أبى يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بأن ينتصب على المدح (وَيَعْلَمُونَ) عند ذلك (أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شىء من المعاصى تغليظه فى إفك عائشة رضى الله عنها فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك إلا لأمر وعن ابن عباس رضى الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بإنطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محله ﷺ وعلى آله (الْخَبِيثَاتُ) من القول تقال (لِلْخَبِيثِينَ) من الرجال والنساء (وَالْخَبِيثُونَ) منهم يتعرضون (لِلْخَبِيثَاتِ) من القول وكذلك (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) أى فيهم وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها ومارميت به من قول لايطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرءون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) مستأنف أوخبر بعدخبر (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافى لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرحا بما تلاوقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة، نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام إن يتزوجنى وتزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى [1] وينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه وأنا ابنة

---

(١) فى بعض النسخ زيادة « ولقد حفته الملائكة فى بيتى » وهى زائدة عن التسع .

خليفته وصديقه ونزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما
وقال حسان معتذرا فى حقها :

حصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَن بريبة — وتسبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا — نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حيّ من لؤى بن غالب — كرام المساعى مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها — وطهرها من كل شين وباطل

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس فى الأصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشىء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع وقيل إن تلاقيا يقدم التسليم وإلا فالاستئذان (ذَٰلِكُمْ) أى الاستئذان والتسليم (خَيْرٌ لَّكُمْ) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكأن الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما أمرتم به فى باب الاستئذان (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا) فى البيوت (أَحَدًا) من الآذنين (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف فى ملك الغير لابد من أن يكون برضاه (وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا) أى إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فَارْجِعُوا) ولا تلحوا فى إطلاق الإذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط (هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة

أوأنفع وأنمى خيرا (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وعيدللمخاطبين بأنه عالم بماياأتون وما يذرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا) فى أن تدخلوا (بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها فى رواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذَٰلِكَ) أى غض البصر وحفظ الفرج (أَزْكَىٰ لَهُمْ) أى أطهر من دنس الاثم (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيه ترغيب وترهيب يعنى أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبى إلى ماتحت سرته إلى ركبتيه وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الزينة ما تزينت به المرأة من حلى أو كحل أوخضاب والمعنى ولايظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهى فى مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها، ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) إلا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففى سترها حرج بين فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح

وتضطر إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وَلْيَضْرِبْنَ) وليضمن من قولك ضربت بيدى على الحائط إذا وضعتها عليه (بِخُمُرِهِنَّ) جمع خمار (عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) لأزواجهن جمع بعل (أَوْ ءَابَآئِهِنَّ) ويدخل فيهم الأجداد (أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ) فقد صاروا محارم (أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ) ويدخل فيهم النوافل (أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ) فقد صاروا محارم أيضا (أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة (أَوْ نِسَآئِهِنَّ) أى الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ) أى إمائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هـذه المواضع منها خصيا كان أو عنينا أو فحلا وقال سعيد بن المسيب لاتغرنكم سورة النور فإنها فى الإماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها (أَوِ التَّٰبِعِينَ غَيْرِ) بالنصب شامى ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفيه (أُوْلِى الْإِرْبَةِ) الحاجة إلى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصى أو المخنث وفى الأثر أنه المجبوب والأول الوجه (مِنَ الرِّجَالِ) حال (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع (لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ) أى لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ إذا أطلع عليه أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان إذا قوى عليه (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ) كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنهـا ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنـه سمى صوت الحلى وسواسا (وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) أيهُ شامى إتباعا للضمة قبلها بعد حـذف الألف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء لأن بعـدها ألفا فى التقدير (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وإن اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا

وقبن أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافى الإيمان (وأنكِحُوا الأَيَمَىٰ مِنكُمْ) الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكراً كان أو ثيبا وأصله أيائم فقلبت (وَالصَّٰلِحِينَ) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ) أى من غلمانكم وجواريكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه (إن يَكُونُوا فُقَرَآءَ) من المال (يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفى الحديث «التمسوا الرزق بالنكاح» وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) غنى ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق (عَلِيمٌ) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل فى الآية دليل على أن تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أن تزوج العبيد والإماء إلى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الأيم إلا بإذنه فكذا لا يلى على المرأة إلا بإذنها لأن الأيم ينتظمها (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ) وليجتهدوا فى العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف (لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فانظر كيف رتب هذه الأوامر فأمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعه المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الأمارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فَكَاتِبُوهُمْ) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لإطلاق الأمر (إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط (وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة

لقوله تعالى :وفى الرقاب وعند الشافعى رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعاً وهذا عندنا على وجه الندب والأول الوجه لأن الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم أن العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون فى التجارة ومكاتب وآبق فمثال الأول ولى العزلة الذى حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة والثانى ولى العشرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله ﷺ يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه والعز مفزعه ومنحاه والقرآن كتاب الإذن من مولاه هو كائن فى الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم فى الله باطناً ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهراً :

وما هو منهمو بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

يأكل مايأكلون ويشرب مايشربون ومايدريهم أنه ضيف الله يرى السموات والأرض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه .

فان تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الأول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتى درهم خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفاً من البقاء فى ربقة العبودية وطمعاً فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بمبتغاه ويفعل مايشاؤه وبهواه والرابع الإباق فما أكثرهم فنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لايفعل مايقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فمنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام: «إن الله لينصر هذا الدين بقوم لاخلاق لهم فى الآخرة» ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾

كان لابن أبيّ ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر لبغت (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) تعففاً عن الزنا وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها ولأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغبن في التحصن فأنتم أحق بذلك (لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) أي لتبتغوا بإكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن (وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي لهن وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة أو لهم إذا تابوا (وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ) بفتح الياء حجازي وبصري وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود وجاز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف أي أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها مجازاً أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل * قد بين الصبح لذي عينين * (وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ) ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وَمَوْعِظَةً) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله. لولا إذ سمعتموه. ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا (لِّلْمُتَّقِينَ) أي هم المنتفعون بها وإن كانت موعظة للكل نظير قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض وجاز أن المراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون

به (مَثَلُ نُورِهِ) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الإضاءة (كَمِشْكَوٰةٍ) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فِيهَا مِصْبَاحٌ) أى سراج ضخم ثاقب (الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ) فى قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبوبكر وحمزة شبه فى زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما(يُوقَدُ) ـ توقد ـ بالتخفيف حمزة وعلى وأبوبكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامى ونافع وحفص وتوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (مِن شَجَرَةٍ) أى ابتدأ ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت زبالته بزيتها (مُبَارَكَةٍ) كثيرة المنافع أو لأنها نبتت فى الأرض التى بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام (زَيْتُونَةٍ) بدل من شجرة نعتها (لَّاشَرْقِيَّةٍ وَلَاغَرْبِيَّةٍ) أى منبتها الشام يعنى ليست من المشرق ولامن المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أوغروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية (يَكَادُ زَيْتُهَا) دهنها (يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلألئه يكاد يضىء من غير نار (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ) أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوى النور وهذا لأن المصباح إذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شىء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنىء محسوس معهود لابعلى غير معاين ولا مشهود فأبو تمام لما قال فى المأمون .

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ۝ فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قيل له إن الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا :

لاتنكروا ضربى له من دونه ۝ مثلا شروداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

(يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ) أى لهذا النور الثاقب (مَن يَشَآءُ) من عباده أى يوفق لإصابة الحق من يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظره فى الدليل (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ) تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) فيبين كل شىء بما يمكن أن يعلم به وقال ابن عباس رضى الله عنـه مثل نوره أى نور الله الذى هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبىّ مثل نور المؤمن (فِى بُيُوتٍ) يتعلق بمشكاة أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أى توقد فى بيوت أو بيسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف أى سبحوا فى بيوت (أَذِنَ اللَّهُ) أى أمر (أَن تُرْفَعَ) تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) يتلى فيها كتابه أوهو عام فى كل ذكر (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أى يصلى له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وإنما وحد الغدو لأن صلاته صلاة واحدة وفى الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى (رِجَالٌ) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أى يسبح له (لَّا تُلْهِيهِمْ) لاتشغلهم (تِجَارَةٌ) فى السفر (وَلَا بَيْعٌ) فى الحضر وقيل التجارة الشراء إطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ما عم لأنه أوغل فى الإلهاء من الشراء لأن الربح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون (عَن ذِكْرِ اللَّهِ) باللسان والقلب (وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ) أى وعن إقامة الصلاة التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت (وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ) أى وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثاقلين كأولياء العشرة (يَخَافُونَ يَوْمًا) أى يوم القيامة ويخافون حال من

الضمير فى تلهيهم أوصفة أخرى لرجال (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ) ببلوغها إلى الحناجر (وَالْأَبْصَارُ) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) أى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون فى قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ) هو ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى (بِقِيعَةٍ) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض كجيرة فى جار (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ) يظنه العطشان (مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ) أى جاء إلى ما توهم أنه ماء (لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) كما ظنه (وَوَجَدَ اللهَ) أى جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أى يجد مغفرته ورحمته (عِندَهُ) عند الكافر (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار (وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم: عاملة ناصبة. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا للدين فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ) أو هنا كأو فى أو كصيب (لُّجِّيٍّ) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر (يَغْشَاهُ) يغشى البحر أو من فيه أى يعلوه ويغطيه (مَوْجٌ) هو ما ارتفع من الماء (مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ) أى من فوق الموج موج آخر (مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ) من فوق الموج الأعلى سحاب (ظُلُمَاتٌ) أى هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة

البحر (بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ) أى الواقع فيه (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج فى الحديث «خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل» (أَلَمْ تَرَ) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الإيقان (أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ) عطف على من (صَٰفَّٰتٍ) حال من الطير أى يصففن أجنحتهن فى الهواء (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) الضمير فى علم لكل أو لله وكذا فى صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) لا يعزب عن علمه شىء (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ) لأنه خالقها ومن ملك شيئا فبتمليكه إياه (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) مرجع الكل (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي) يسوق إلى حيث يريد (سَحَاباً) جمع سحابة دليله (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) وتذكيره للفظ أى يضم بعضه إلى بعض (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً) متراكما بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِ) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل (وَيُنَزِّلُ) وينزل مكى ومدنى وبصرى (مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء (مِن جِبَالٍ) من للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى (فِيهَا) فى السماء (مِن بَرَدٍ) للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فَيُصِيبُ بِهِ) بالبرد (مَن يَشَاءُ)

أى يصيب الانسان وزرعه (وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشَآءُ) فلا يصيبه أو يعذب بهمن يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ) ضوئه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ) يخطفها به يُذهب يزيد على زيادة الباء (يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يصرفهما فى الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فى إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَٰرِ) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السماوات والأرض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر فهى براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ) خالق كل حمزة وعلى (دَآبَّةٍ) كل حيوان يدب على وجه الأرض (مِّن مَّآءٍ) أى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أومن ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها أناسى وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل وهذا دليل على أن لها خالقا ومدبرا وإلالم تختلف لاتفاق الأصل وإنما عرف الماء فى قوله: وجعلنا من الماء كل شىء حى. لأن المقصود ثم أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط. قالوا إن أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الأرض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر أوعلى طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ) كالبهائم وقدم ماهو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ) كيف يشاء (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لايتعذر عليه شىء (لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ) بلطفه ومشيئته (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى دين

الإسلام الذى يوصل إلى جنته والآيات لإلزام حجتة لما ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهراً وكذبت باطناً وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون على هـــذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ) بألسنتهم (وَأَطَعْنَا) الله والرســول (ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ) أى من بعــد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) أى المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا لا إلى الفريق المتولى وحده وفيــه إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم مايعتقد هؤلاء والاعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ) أى إلى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (لِيَحْكُمَ) الرســول (بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ) أى فاجأ من فريق منهــم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره إلى رسول الله ﷺ والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمداً يحيف علينا (وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ) أى إذا كان الحق لهم على غيرهم (يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ) إلى الرســول (مُذْعِنِينَ) حال أى مسرعين فى الطاعة طلباً لحقهم لارضا بحكم رسولهم قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحــداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمة الخصم (أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ) قسم الأمر فى صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهــم حيفه بقوله (بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) أى لايخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك شىء لايستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أو غل بخلاف

قول المؤمنين (إِذَا دُعُوآ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ) النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بَيْنَهُمْ) بحكم الله الذى أنزل عليه (أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا) قوله (وَأَطَعْنَا) أمره (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَن يُطِعِ اللهَ) فى فرائضه (وَرَسُولَهُ) فى سننه (وَيَخْشَ اللهَ) على مامضى من ذنوبه (وَيَتَّقْهِ) فيما يستقبل (فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لأسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبوعمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الركاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم (لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ) أى لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قُل لاَّ تُقْسِمُوا) لاتحلفوا كاذبين لأنه معصية (طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ) أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يعلم مافى ضمائركم ولا يخفى عليه شىء من سرائركم وإنه فاضحكم لامحالة ومجازيكم على نفاقكم (قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ فى تبكيتهم (فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ) يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) أى وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر فى توليكم والنفع عائدان إليكم (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ) وما على الرسول إلا أن يبلغ ماله نفع فى قلوبكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ)الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ) أى أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام «ليدخلن هذا الدين على مادخل عليه الليل» (كَمَا اسْتَخْلَفَ) استخلف أبو بكر (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم) وليبدلنهم بالتخفيف مكى وأبوبكر (مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام «لاتغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة» فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (يَعْبُدُونَنِى) إن جعلته استئنافا فلا محل له كأنه قيل مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى وإن جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب (لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا) حال من فاعل يعبدون أى يعبدوننى موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى (وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ) أى بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى: فكفرت بأنعم الله (فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه

النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف، والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وإن طال (وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أى لكى ترحموا فإنها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ) أى فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين. وبالياء شامى وحمزة والفاعل النبى ﷺ لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أى المرجع النار (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) أمر بأن يستأذن العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ) أى الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار، وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ) فى اليوم والليلة وهى (مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ) لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ) وهى نصف النهار فى القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة (وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَآءِ) لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ) أى هى أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف. وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يختل تستره فيها، والعورة: الخلل ومنها الأعور المختل العين. دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات إلا بالإذن فانطلق إلى النبى ﷺ وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ) أى لا إثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة فى ترك الاستئذان

فى هذه الأوقات بقوله (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) أى هم طوافون بحوائج البيت (بَعْضُكُمْ) مبتدأ خبره (عَلَى بَعْضٍ) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التى قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعنى أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان فى كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْأَيَٰتِ) أى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التى احتجتم إلى بيانها (وَاللهُ عَلِيمٌ) بمصالح عباده (حَكِيمٌ) فى بيان مراده (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَلُ مِنكُمُ) أى الأحرار دون المماليك (الْحُلُمَ) أى الاحتلام أى إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا) فى جميع الأوقات (كَمَا اسْتَـْٔذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله: يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلا فى العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا فى جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن والناس عن هذا غافلون، وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله: إن أكرمكم عندالله أتقاكم. وإذا حضر القسمة. وعن سعيدبن جبير يقولون هى منسوخة والله ماهى بمنسوخة وقوله (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ) بمصالح الأنام (حَكِيمٌ) فيما يبين من الأحكام (وَالْقَوَاعِدُ) جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (مِنَ النِّسَاءِ) حال (الَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لايطمعن فيه وهى فى محل الرفع صفة للمبتدأ وهى القواعد والخبر (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ) إثم ودخلت الفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام (أَن يَضَعْنَ) فى أن يضعن (ثِيَابَهُنَّ) أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غَيْرَ) حال (مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ) أى غير مظاهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أى لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ)

أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهــو مبتدأ خبره (خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ) لما يعلن (عَلِيمٌ) بما يقصدن (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبى ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لاتكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) أى حرج (أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ) أى بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد فى الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام «أنت ومالك لأبيك» أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ) لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة (أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ) جمع مفتح وهو مايفتح به الغلق، قال ابن عباس رضى الله عنه: هو وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لأن العبد ومافى يده لمولاه (أَوْ صَدِيقِكُمْ) يعنى أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدقه فى مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ماشاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا) مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شت نزلت فى بنى ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو فى قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الأكل وزيادة بعضهم على بعض (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا) من هذه البيوت لتأكلوا (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) أى فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تَحِيَّةً) نصب بسلموا لأنها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (مِّنْ

عِندِ اللهِ) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أولأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله (مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تعقلوا وتفهموا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين (لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ) وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فَإِذَا اسْتَـْٔذَنُوكَ) فى الانصراف (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أمرهم (فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذن قالوا وينبغى أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا بإذن، قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان (لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا) أى إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعى أولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ) يخرجون قليلا قليلا (مِنكُمْ لِوَاذًا) حال أى ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل

اللاوذة واستتار بعضهم ببعض (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون. يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه والضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجا (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة والآية تدل على أن الأمر للإيجاب (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ألا تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما فى السماوات والأرض (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد والمعنى أن جميع ما فى السماوات والأرض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون فى سترها (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أى ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فَيُنَبِّئُهُمْ) يوم القيامة (بِمَا عَمِلُوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فلا يخفى عليه خافية وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر فى الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم .

﴿ سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَبَارَكَ) تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شىء وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله وهى كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضى فحسب (الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الإنزال ألا ترى إلى قوله: وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس

على مكث ونزلناه تنزيلا (عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد عليه الصلاة والسلام (لِيَكُونَ) العبد أوالفرقان (لِلْعَـٰلَمِينَ) للجن والإنس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نَذِيراً) منذرا أى مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر (الَّذِى) رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف أوعلى الإبدال من الذى نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح (لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) على الخلوص (وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) كما زعم اليهود والنصارى فى عزير والمسيح عليهما السلام (وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ) كما زعمت الثنوية (وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ) أى أحدث كل شىء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول إن الله شىء ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على أن لفظ شىء اختص بما يصح أن يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) مهيأه لما يصلح له بلاخلل فيه كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا أوقدره للبقاء إلى أمد معلوم (وَاتَّخَذُوا) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أولدلالة نذيرا عليهم لأنهم المنذرون (مِن دُونِهِ ءَالِهَةً) أى الأصنام (لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أى أنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شىء وهم يخلقون (وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولاجلب نفع إليها (وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا) إماتة (وَلَا حَيَوٰةً) أى إحياء (وَلَا نُشُورًا) إحياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا) ماهذا القرآن (إِلَّا إِفْكٌ) كذب (افْتَرَىٰهُ) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر بن الحارث (فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا) هذا إخبار من الله رد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أى بظلم وزور وظلمهم إن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برىء منه إليه

(وَقَالُوا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أى هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع أسطار وأسطورة كأحدوثة (اكْتَتَبَهَا) كتبها لنفسه (فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ) أى تلقى عليه من كتابه (بُكْرَةً) أول النهار (وَأَصِيلًا) آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا (قُلْ) يا محمد (أَنزَلَهُ) أى القرآن (الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى يعلم كل سر خفى فى السماوات والأرض يعنى أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب (إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا أى شىء لهذا الزاعم إنه رسول (يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) حال والعامل فيها هذا (لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) أى إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا فى الإنذار والتخويف ثم نزلوا إلى أن يكون مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا إلى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة على وحمزة. وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله (وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ) إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا) سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا) بينوا (لَكَ الْأَمْثَٰلَ) الأشباه أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور (فَضَلُّوا) عن الحق (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) فلا يجدون طريقا إليه (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا) أى تكاثر خير الذى إن شاء

يهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ماوعدك فى الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيراء، ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (إِذَا رَأَتْهُم) أى النار أى قابلتهم (مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أى إذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أو إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا) من النار (مَكَانًا ضَيِّقًا) ضيقا مكى فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السماوات والأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مُّقَرَّنِينَ) أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرّنون فى السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الأصفاد (دَعَوْا هُنَالِكَ) حينئذ (ثُبُورًا) هلاكا أى قالوا واثبوراه أى تعال ياثبور فهذا حينك فيقال لهم (لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) أى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير (قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ) أى المذكور من صفة النار خير (أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) أى وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف وإنما قال: أذلك خير، ولا خير فى النار توبيخا للكفار (كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً) ثوابا (وَمَصِيرًا) مرجعا وإنما قيل كانت لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل أن خلقهم (لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) أى ما يشاءونه (خَالِدِينَ) حال من الضمير فى يشاءون والضمير فى (كَانَ) لما يشاءون (عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا) أى موعودا (مَّسْئُولًا) مطلوبا أو حقيقا أن يسئل أو قد سأله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) ــ ويوم نحشرهم ــ للبعث عند الجمهور وبالياء مكى ويزيد

ويعقوب وحفص (وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونَ اللهِ) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزيز وعن الكلبي يعني الأصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم (فَيَقُولُ) وبالنون شامي (ءأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وإنما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلابد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسئول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا (مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) أى ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك. نُتخذ يزيد واتخذ يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتخذ وليا وإلى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى: أم اتخذوا آلهة من الأرض. وقال: واتخذ الله إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والأصل أن تتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفى والقراءة الثانية من المتعدى إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء لأن من لا تزاد في المفعول الثانى بل فى الأول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولى (وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ) بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ) أى ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع (وَكَانُوا) عند الله (قَوْمًا بُورًا) أى هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فَقَدْ كَذَّبُوكُم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول

ونظيرها: ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل :

قالوا خراسان أقصى ما يرادبنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(بِمَا تَقُولُونَ) بقولكم فيهم إنهم آلهة والباء على هذا كقوله: بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بماتقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم: سبحانك ما كان ينبغى لناأن نتخذ من دونك من أولياء. والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) ـ فما يستطيعون ـ أى فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أوينصروكم. وبالتاء حفص أى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ) أى يشرك لأن الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم (نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) فسر بالخلود فى النار وهو يليق بالشرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) كسرت إن لأجل اللام فى الخبر والجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أى من المرسلين ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم أى وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله ﷺ عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الأسواق يعنى أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء (أَتَصْبِرُونَ) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لاتصبرون فيزداد غمكم وحكى أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجراً فرأى خصياً فى مواكب ومراكب فخطر بباله شىء فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أو جعلتك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أوممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك

خالصة لنا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) لا يأملون (لِقَاءَنَا) بالخير لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا إما لأن الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أو لأن الرجاء فى لغة تهامة الخوف (لَوْلَا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ) رسلا دون البشر أو شهوداً على نبوته ودعوى رسالته (أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وَعَتَوْ) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عُتُوًّا كَبِيرًا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى إفراطه أى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) أى يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه (لَا بُشْرَىٰ) أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يَوْمَئِذٍ) مؤكد ليوم يرون أو بإضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لأن المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ولا يبشرى لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا (لِّلْمُجْرِمِينَ) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الأسماء يتناول أكمل المسميات (وَيَقُولُونَ) أى الملائكة (حِجْرًا مَّحْجُورًا) حراماً محرماً عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراماً عليكم إنما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها ومحجوراً لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جمله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا) تمييز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون

(وَأَحْسَنُ مَقِيلاً) مكانا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى لفظ الأحسن تهكم بهم (وَيَوْمَ) واذكر يوم (تَشَقَّقُ السَّمَآءُ) والأصل تتشقق فحذف التاء كوفى وأبو عمرو وغيرهم أدغموها فى الشين (بِالْغَمَـٰمِ) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (وَنُزِّلَ الْمَلَـٰئِكَةُ تَنزِيلاً) ونزل الملائكة مكى، وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد (الْمُلْكُ) مبتدأ (يَوْمَئِذٍ) ظرفه (الْحَقُّ) نعته ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه (لِلرَّحْمَـٰنِ) خبره (وَكَانَ) ذلك اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا) شديداً يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين ففى الحديث «يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا» (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه ، واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما تبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى اتَّخَذْتُ) فى الدنيا (مَعَ الرَّسُولِ) محمد عليه الصلاة والسلام (سَبِيلاً) طريقاً إلى النجاة والجنة وهو الإيمان (يَـٰوَيْلَتَىٰ) وقرئ ياويلتى بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى (لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً) فلان كناية عن الأعلام فإن أريد بالظالم عقبة لما روى أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبى بن خلف وهو خليله وجهى من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد فالمعنى ياليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لَّقَدْ أَضَلَّنِى

عَنِ الذِّكْرِ) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي) من الله (وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ) أى خليله سماه شيطانا لأنه أضله كما يضله الشيطان أو إبليس لأنه الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (لِلْإِنسَـٰنِ) المطيع له (خَذُولًا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وَقَالَ الرَّسُولُ) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى) قريشا (اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا فى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) أى كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قريش أو اليهود (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً) حال من القرآن أى مجتمعا (وَاحِدَةً) يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحد فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقة ونزل هنا بمعنى أنزل والإلكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة وبذلوا المهج وما مالوا إلى الحجج (كَذَٰلِكَ) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك إشارة إلى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فأعلم أن ذلك (لِنُثَبِّتَ بِهِ) بتفريقه (فُؤَادَكَ) حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه، أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه اى قدرناه اية بعد آية ووقفة بعد وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى: ورتل القرآن ترتيلا. أى اقراه بترسل وتثبت

أو بيناه تبيينا، والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) إلا أتيناك بالجواب الحق الذى لا محيد عنه (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وإنما حذف من مثلهم لأن فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وإن عمرا أحسن وجها كان فيه دليل على أنك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة ألا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك فى حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شىء منها أدخل فى الإعجاز من أن ينزل كله جملة (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع شر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مَكَانًا) أى مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أى وأخطأ طريقا وهو من الإسناد المجازى والمعنى إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبى ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم» قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام «الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم» (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة كما آتيناك القرآن (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (وَزِيرًا) هو فى اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما (فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) التدمير الإهلاك بأمر عجيب

أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعنى إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى ودمرنا قوم نوح (لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) يعنى نوحا وإدريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أَغْرَقْنَاهُمْ) بالطوفان (وَجَعَلْنَاهُمْ) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم (لِلنَّاسِ ءَايَةً) عبرة يعتبرون بها (وَأَعْتَدْنَا) وهيأنا (لِلظَّالِمِينَ) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمهم فأظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عَذَابًا أَلِيمًا) أى النار (وَعَادًا) دمرنا عادا (وَثَمُودَ) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما، وثمودا على تأويل الحى أو لأنه اسم الأب الأكبر (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم، وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أو هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود (وَقُرُونًا) وأهلكنا أمما (بَيْنَ ذَٰلِكَ) المذكور (كَثِيرًا) لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) أى أهلكنا إهلاكا، وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لأنه فارغ له (وَلَقَدْ أَتَوْا) يعنى أهل مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى أن قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء، ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى إمطار السوء (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا (بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ) إن نافية (إِلَّا هُزُوًا) اتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوءا به (أَهَٰذَا الَّذِي) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء أى قائلين أهذا الذى (بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) والمحذوف حال والعائد إلى الذى محذوف أى بعثه

(إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله ﷺ فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الامهال (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) هو كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله ﷺ إلى الضلال إذ لايضل غيره إلا من هو ضال فى نفسه (أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ) أى من أطاع هواه فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل متبع هواه (أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة مايهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه أن إليه التبليغ فقط (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أم منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التى تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهى كونهم مسلوبى الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسىء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولايطلبون الثواب الذى هو أعظم النافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى، وقالوا للملائكة: روح وعقل وللبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وإنما ذكر الأكثر لأن فيهم من لم يصده عن الاسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولأن فيهم من آمن (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ

رَبِّكَ) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته (كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) أى بسطه فعم الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لأنه ظل ممدود لاشمس معه ولا ظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود إذ لاشمس معه ولا ظلمة (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً) أى دائما لايزول ولا تذهبه الشمس (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ) على الظل (دَلِيلًا) لأنه بالشمس يعرف الظل ولولاالشمس لماعرف الظل فالأشياء تعرف بأضدادها (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أى أخذنا ذلك الظل الممدود (إِلَيْنَا) إلى حيث أردنا (قَبْضًا يَسِيرًا) سهلا غير عسير أو قليلاقليلاأى جزءا فجزءا بالشمس التى تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل مابين الأمور فكأن الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم من الثانى شبه تباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد مابين الحوادث فى الوقت (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً) جعل الظلام الساتر كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتاً) راحةلأبدانكم وقطعالأعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَـحَ) الريح مكى والمراد به الجنس (بُشْرًا) تخفيف بشر جمع بشور (بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) أى قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (طَهُوراً) بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسناومنه قوله عليه الصلاة والسلام «لاصلاة إلابطهور» أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل فى شىء وقياسه على ماهو مشتق من الأفعال

المتعدية كمقطوع وممنوع غير سديد لأن بناء الفعول للمبالغة فإن كان الفعل متعديا فالفعول متعد وإن كان لازما فلازم (لِّنُحْيِيَ بِهِ) بالمطر (بَلْدَةً مَّيْتاً) ذكّر ميتا على إرادة البلد أو المكان (وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) أى ونسق الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسى أى أنعاما وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمى ونَسقيه والأناسى جمع إنسى على القياس ككرسى وكراسى أو إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت وقدم إحياء الأرض على سقى الأنعام والأناسى لأن حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسى متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقى الإنعام كالأنعام بسقيهم وتنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء (وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) ليذكُروا حمزة وعلى يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً) فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما مامن عام أقل مطراً من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لأنه لايختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والأنعام والأناسى ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هى والأنواء من خلق الله تعالى كفر وإن رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً فَلَا تُطِعِ الْكَـٰفِرِينَ) أى لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا

فى كل قرية نبيا ينذرها ولـكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به فتكون وحدك كـكلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد فلاتطع الـكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائى على جميع الأهواء وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وَجَٰهِدْهُم بِهِ) أى بالله يعنى بعونه وتوفيقه أوبالقرآن أى جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جِهَادًا كَبِيرًا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير فى به إلى مادل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافةالقرى جهادا كبيرا جامعا لـكل مجاهدة (وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ) خلاّهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة إذا خليتها ترعى وسمى الماءين الـكثيرين الواسعين بحرين (هَٰذَا) أى أحدهما (عَذْبٌ فُرَاتٌ) صفة لعذب أى شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة (وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) صفة لملح أى شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلطان وفى الحقيقة منفصلان (وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) وسترا ممنوعا عن الأعين كقوله حجابا مستورا (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ) اى النطفة (بَشَرًا) إنسانا (فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أى قرابة وصهرا مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ) إن عبدوه (وَلَا يَضُرُّهُمْ) إن تركوه (وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ) على معصية ربه (ظَهِيرًا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالمعين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى أن الـكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على

معصية الرحمن (وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) للمؤمنين (وَنَذِيرًا) منذرا للكافرين (قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ (مِنْ أَجْرٍ) جعل (إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا) والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه من الأجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول إن حفظت مالك اعتدّ حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب بالثواب ولعمرى إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقه وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رضاء ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا اتخاذ المدعو سبيلا إلى ربه بطاعته فذلك أجرى لأن الله يأجرنى عليه (وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ) اتخذ من لا يموت وكيلا لايكلك إلى من يموت ذايلا يعنى ثق به وأسند أمرك إليه فى استكفاء شرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه فى كل أمر (وَسَبِّحْ) من لا يكل إلى غيره من توكل عليه (بِحَمْدِهِۦ) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى أنه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) أى فى مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار روى عن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وإنما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره (فَسْـَٔلْ) بلا همزة مكى وعلى (بِهِۦ) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أوصلة (خَبِيرًا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك

برحمته أوفاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون مانعرف الرحمن إلا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) أى إذا قال محمد عليه الصلاة والصلام للمشركين (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ) صلوا لله واخضعوا له (قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ) أى لانعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أوعن معناه لأنه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يامحمد من غير علم منابه. يأمرنا على وحمزة كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولانعرف ماهو فقدعاندوا لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول رجل عطشان إذا كان فى نهاية العطش (وَزَادَهُمْ) قوله اسجدوا للرحمن (نُفُوراً) تباعداعن الإيمان (تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً) هى منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشترى، والجدى والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج: فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سميت المنازل بالبروج التى هى القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره، وقال الحسن وقتادة ومجاهد: البروج هى النجوم الكبار لظهورها (وَجَعَلَ فِيهَا) فى السماء (سِرَاجاً) يعنى الشمس لتوقدها. سرجا حمزة وعلى أى نجوما (وَقَمَراً مُنِيراً) مضيئا بالليل (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه فى قضاء مافاته من الورد

(لِمَنْ أَرَادَ أَن يذَّكَّرَ) يتدبر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما. يذكُر حمزة وخلف أى يذكر الله أو النسى فيقضى (أَوْ أَرَادَ شُكُوراً) أى يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ) مبتدأخبره (الَّذِينَ يَمْشُونَ) أوأولئك يجزون والذين يمشون ومابعدهما صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل . وصف أولياءه بعدما وصف أعداءه (عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) حال أو صفة للمشى أى هينين أومشيا هينا والهون الرفق واللين أى يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلايضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق ولقوله: ويمشون فى الأسواق (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) أى السفهاء بما يكرهون (قَالُوا سَلَاماً) سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإفك أوتسلما منكم نتاركـكم ولانجاهلـكم فأقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولاحاجة إلى ذلك فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاومروءة هذاوصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً) جمع ساجد (وَقِيَاماً) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهى أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوامن قرأشيئامن القرآن فى صلاة وإن قل فقد بات ساجداوقائما وقيل هما الركعتان بعدالمغرب والركعتان بعدالعشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) هلاكا لازما ومنه الغريم. لملازمته. وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله فى صرف العذاب عنهم (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً) أى إن جهنم. وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تميز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أولم يأ كلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالإسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الإسراف فقال لاإسراف فى الخير ، وقال عليه الصلاة والسلام «من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف» (وَلَمْ يَقْتُرُوا)

بضم التاء كوفى وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الإسراف (وَكَانَ) إنفاقهم (بَيْنَ ذَٰلِكَ) أى الإسراف والإقتار (قَوَاماً) أى عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية. وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيئا إلا أكله (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً اخَرَ) أى لا يشركون (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ) أى حرمها يعنى حرم قتلها (إِلاَّ بِالْحَقِّ) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الأرض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (وَلَا يَزْنُونَ) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أى المذكور (يَلْقَ أَثَاماً) جزاء الإثم (يُضَاعَفْ) بدل من يلق لأنهما فى معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هى لقاء الآثام كقوله .

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فجزم تلمم لأنه بمعنى تأتنا إذ الإتيان هو الإلمام. يضعَّفْ مكى ويزيد ويعقوب. يضعَّفُ شامى يضاعفُ أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) أى يعذب على مرور الأيام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل إذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (وَيَخْلُدْ) جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لأنه معطوف عليه (فِيهِ) فى العذاب. فيهى مكى وحفص بالإشباع وإنما خص حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل فى هاء الكناية الإشباع (مُهَاناً) حال أى ذليلا (إِلاَّ مَن تَابَ) عن الشرك وهو استثناء

عن الجنس فى موضع النصب (وَءامَنَ) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا) بعدتوبته (فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ) أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ماذكرنا. يبدل مخففا البرجمى (وَكَانَ اللهُ غَفُوراً) يكفر السيئات (رَّحِيماً) يبدلها بالحسنات (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أى الكذب يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة إلى مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفى مواعظ عيسى عليه السلام: إياكم ومجالسة الخاطئين. أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لايشهدون اللهو والغناء (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) بالفحش وكل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به (مَرُّوا كِرَاماً) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه. وعن الباقر رضى الله عنه إذا ذكروا الفروج كنوا عنها (وَالَّذِينَ إِذَاذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَانًا) هذا ليس بنفى الخرور بل هو إثبات له ونفى الصمم والعمى ونحوه لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء يعنى أنهم إذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون واعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى: وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا) من للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا (وَذُرِّيَّٰتِنَا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقربه عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا. أبو عمر وكوفى غير حفص لإرادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) وإنما نكر لأجل تنكير القرة لأن المضاف

لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى: وقليل من عبادى الشكور. ويجوز أن يقال فى تنكير أعين إنها أعين خاصة وهى أعين المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا إماما قيل فى الآية ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله: وهم فى الغرفات آمنون . (بِمَا صَبَرُوا) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغيرذلك (وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا) ويلقون كوفى غير حفص (تَحِيَّةً) دعاء بالتعمير (وَسَلَٰماً) ودعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال (حَسُنَتْ) أى الغرفة (مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً) موضع قرار وإقامة وهى فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب ومعناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الاسلام أو لولا عبادتكم له أى أنه خلقكم لعبادته كقوله: وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. أى الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، وهو كقوله تعالى : مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) رسولى يا أهل مكة (فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَاماً) أى ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل، وقال الضحاك مايعبأ مايبالى بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلها آخر .

﴿ سورة الشعراء مكية وهى مائتان وعشرون وسبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) طس ويس وحم ممالة كوفى غير الأعشى والبرجمى وحفص ويظهر النون عندالميم يزيد وحمزة. وغيرهما يدغمها (تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ) الظاهر إعجازه، وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ) قاتل ولعل للإشفاق (نَّفْسَكَ) من الحزن يعنى أشفق على نفسك إن تقتلها حسرة وحزنا على مافاتك من إسلام قومك (أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (إِن نَّشَأْ) إيمانهم (نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً) دلالة واضحة (فَظَلَّتْ) أى فتظل لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل تقول إن زرتنى أكرمتك أى أكرمك كذا قاله الزجاج (أَعْنَٰقُهُمْ) رؤساؤهم ومقدموهم أوجماعاتهم يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم (لَهَا خَٰضِعِينَ) منقادين وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعدصعوبة ويلحقهم هوان بعدعزة (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (فَقَدْ كَذَّبُوا) محمدا ﷺ فيما أتاهم به (فَسَيَأْتِيهِمْ) فسيعلمون (أَنبَٰؤُا) أخبار (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذامسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشىء الذى كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا) كم نصب بأنبتنا (فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف من النبات (كَرِيمٍ) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) أى إن فى إنبات تلك الأصناف لآية على أن مبنتها قادر على إحياء الموتى وقدعلم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى

إيمانهم ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ فى انتقامه من الكفرة ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ لمن آمن منهم ووحد آية مع الإخبار بكثرتها لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا أو المراد إن فى كل واحد من تلك الأزواج لآية أى آية ﴿ وَإِذْ ﴾ مفعول به أى اذكر إذ ﴿ نَادَىٰ ﴾ دعا ﴿ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ ﴾ إن بمعنى أى ﴿ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أنفسهم بالكفر وبنى إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ أى ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهى كلمة حث وإغراء ويحتمل أنه حال من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ﴾ الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيقع ﴿ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ بتكذيبهم إياى مستأنف أو عطف على أخاف ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ بأن تغلبنى الحية على ما أرى من المحال وأسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾ أى أرسل إليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف فى امتثال الأمر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ ﴾ أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ أى يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا ﴾ لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهارون ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك ﴿ إِنَّا مَعَكُم ﴾ أى معكما بالعون والنصرة ومع من أرسلتما إليه بالعلم والقدرة ﴿ مُّسْتَمِعُونَ ﴾ خبر لإن

ومعكم لغو أو هما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان إلى حديثه أى أصغى إليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لم يثن الرسول كما ثنى فى قوله إنا رسولا ربك لأن الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع أو لأنهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد أو أريد إن كل واحد منا (أَنْ أَرْسِلْ) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما فأتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) وإنما حذف فأتيا فرعون فقال اختصارا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن صغيرا فربيناك (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) قيل ثلاثين سنة (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) يعنى قتل القبطى فعرض إذ كان ملكا (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) بنعمتى حيث قتلت خبازى أو كنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا) أى إذ ذاك (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) الجاهلين بأنها تبلغ القتل والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين وإذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لأن قول فرعون وفعلت فعلتك معناه أنك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ) إلى مدين (لَمَّا خِفْتُكُمْ) أن تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) نبوة وعلما فزال عنى الجهل والضلالة (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) من جملة رسله (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله وأبى أن تسمى نعمة لأنها نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح

أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكأن فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه وإخراجه من حجر أبويه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لايدرى ماهى إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى إسرائل نعمة تمنها على (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَٰلَمِينَ) أى إنك تدعى أنك رسول رب العالمين فما صفته لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول مازيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قَالَ) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى ومابين الجنسين (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) أى إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا أو إن كان يرجى منكم الإيقان الذى يؤدى إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع والإيقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قَالَ) أى فرعون (لِمَنْ حَوْلَهُ) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) معجبا قومه من جوابه لأنهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وأن لهما ربا فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ) أى هو خالقكم وخالق آبائكم فإن لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وإنما قال رب آبائكم لأن فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قَالَ) أى فرعون (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) حيث يزعم أن فى الوجود إلها غيرى وكان فرعون ينكر إلهية غيره(قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السماوات والأرض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من

أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى ألاتستمعون فعاد موسى إلى مثل قوله الأول لجننه فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب فعاد ثالثا إلى مثل كلامه الأول مبينا أن الفرد الحقيقى إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال وإليه الاشارة فى قوله تعالى إن كنتم تعقلون أى إن كان لكم عقل علمكم أنه لاتمكن معرفته إلا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى) أى غيرى إلها (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) أى لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولايسمع فكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ) الواو للحال دخلت عليها همزه الاستفهام أى أتفعل بى ذلك ولو جئتك (بِشَىْءٍ مُّبِينٍ) أى جائيا بالمعجزة (قَالَ فَأْتِ بِهِ) بالذى يبين صدقك (إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) أن لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فأحضره (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) ظاهر الثعبانية لاشىء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى أن العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) فيه دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ماهذه؟ قال فرعون: يدك، فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق (قَالَ) أى فرعون (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصب على الحال من الملأ أى كائنين حوله والعامل فيه قال (إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) بالسحر ثم أغوى قومه على

موسى بقوله (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا) منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تَأْمُرُونَ) تشيرون فى أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرهما ولاتباغت قتلهما خوفا من الفتنة (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون إن هذا لساحر عليم بقولهم (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) فجاءوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) أى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى. والميقات ماوقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ) فى دينهم (إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) أى غلبوا موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلى أن لايتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ) وبكسر العين على وهما لغتان (وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم: أئن لنا لأجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله: وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت إذا قارة فى مكانها الذى تقضيه من الجواب والجزاء (قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ) من السحر فسوف ترون عاقبته (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ) سبعين ألف حبل (وَعِصِيَّهُمْ) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصى (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته

بسحرهم ويزوّرونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حياة تسعى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ) عبر عن الخرور بالإلقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الإلقاآت ولأنهم لسرعة ماسجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه وقيل إن فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال إياى عنيتم قالوا رب موسى وهارون (قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) بذلك (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ) من أجل خلاف ظهر منكم (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) كأنه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الإيمان (قَالُوا لَا ضَيْرَ) لاضرر وخبر لا محذوف أى فى ذلك أو علينا (إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَا أَن كُنَّا) لأن كنا (أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) من أهل المشهد أو من رعية فرعون . أراد والاضرر علينا فى ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أولا ضير علينا فيما تتوعدنا به إنه لابد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أولا ضير علينا فى قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا إنقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ) وبوصل الهمزة حجازى (بِعِبَادِى) بنى إسرائيل سماهم عباده لإيمانهم بنبيه أى سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من إيمان السحرة (إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعنى إنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم وروى أنه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإنى سآمر الملائكة أن لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى إلى البحر فيأتيك أمرى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ) أى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) والشرذمة الطائفة

القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل لجعل كل حزب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد أى أنهم لقلتهم
لا يبالى بهم ولاتتوقع غلبتهم وإنمااستقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة
من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ) أى أنهم يفعلون
أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا (وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذى يجدد حذره
وقيل المؤدى فى السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه
معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ)
بساتين (وَعُيُونٍ) وأنهار جارية (وَكُنُوزٍ) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها
كنوزا لأنهم لا ينفقون منها فى طاعة الله تعالى (وَمَقَامٍ) ومنزل (كَرِيمٍ) بهى بهيج
وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كَذَٰلِكَ) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك
الاخراج الذى وصفنا والرفع على أنه خبرمبتدأ محذوف أى الامر كذلك (وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فَأَتْبَعُوهُم) فلحقوهم
فاتبعوهم يزيد (مُّشْرِقِينَ) حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها أدرك
قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ) أى تقابلا بحيث
يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)
أى قرب أن يلحقنا عدونا وأمامنا البحر (قَالَ) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إياه (كَلَّآ)
ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (إِنَّ مَعِىَ) معىَ حفص (رَبِّى سَيَهْدِينِ) أى
سيهدينى طريق النجاة من إدراكهم وإدرارهم سيهدينى بالياء يعقوب (فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ) أى القلزم أو النيل (فَٱنفَلَقَ) أى فضرب فانفلق وانشق
فصار اثنى عشر فرقا على عدد الأسباط (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ) أى جزء تفرق منه (كَٱلطَّوْدِ
ٱلْعَظِيمِ) كالجبل المتطاد فى السماء (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ) حيث انفلق البحر (ٱلْءَاخَرِينَ) قوم فرعون

أى قربناهم من بنى اسرائيل أو من البحر (وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ) من الغرق (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فإنهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم روى أن جبريل عليه السلام كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم بأولكم فلما انتهى موسى إلى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) أى فيما فعلنا بموسى وفرعون (لَآيَةً) لعبرة عجيبة لاتوصف (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم) أى المغرقين (مُّؤْمِنِينَ) قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) بالانتقام من أعدائه (الرَّحِيمُ) بالإنعام على أوليائه (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) على مشركى قريش (نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) قوم ابراهيم أو قوم الأب (مَا تَعْبُدُونَ) أى أى شىء تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليريهم أن مايعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) وجواب ما تعبدون أصناما كيسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وإنما زادوا نعبد فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) فنقيم على عبادتها طول النهار وإنما قالوا فنظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قَالَ) أى ابراهيم (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (إِذْ تَدْعُونَ) عليه (أَوْ يَنفَعُونَكُمْ) إن عبدتموها (أَوْ يَضُرُّونَ) إن تركتم عبادتها (قَالُوا بَلْ) اضراب أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشىء من ذلك ولكن (وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) فقلدناهم (قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ) الأولون (فَإِنَّهُمْ) أى الأصنام (عَدُوٌّ لِّي) العدو والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لو عبدتهم لكانوا أعداء

لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أى فإنى عدوهم وفى قوله عدو لى دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم إلى القبول ولو قال فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة (إِلاَّ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ) استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال لكن رب العالمين (ٱلَّذِى خَلَقَنِى) بالتكوين فى القرار المكين (فَهُوَ يَهْدِينِ) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية لأنه يحتمل يهدينى للأهم الأفضل والأتم الأكمل أو الذى خلقنى لأسباب خدمته فهو يهدينى إلى آداب خلته (وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى) أضاف الإطعام إلى ولى الإنعام لأن الركون إلى الأسباب عادة الأنعام (وَيَسْقِينِ) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه (وَإِذَا مَرِضْتُ) وإنما لم يقل أمرضنى لأنه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف إليه مايقتضى الضر قال ابن عطاء وإذا مرضت برؤية الخلق (فَهُوَ يَشْفِينِ) بمشاهدة الحق قال الصادق إذا مرضت برؤية الأفعال فهو يشفين بكشف منة الإفضال (وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ) ولم يقل إذا مت لأنه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء إلى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الإحياء لتراخيه عن الإفناء وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لأنهما يعقبان الخلق والمرض لامعا معا (وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ) طمع العبيد فى الموالى بالافضال لاعلى الاستحقاق بالسؤال (أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى) قيل هو قوله إنى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للبازغ هى أختى لسارة وماهى إلا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأمم فى طلب المغفرة (يَوْمَ ٱلدِّينِ) يوم الجزاء (رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا) حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لأن النبى عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ) أى الأنبياء ولقد أجابه حيث قال وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ) أى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الأمم التى تجىء بعدى فأعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به (وَٱجْعَلْنِى مِن) يتعلق بمحذوف أى وارثا من (وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ) أى من الباقين فيها (وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ) اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) الكافرين (وَلَا تُخْزِنِى) الاخزاء من الخزى وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) الضمير فيه للعباد لأنه معلوم أو للضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أى ولا تخزنى فى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ) هو بدل من يوم الأول (وَلَا بَنُونَ) أحدا (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى: فى قلوبهم مرض أى إن المال إذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فإنه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون فى معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل إكراما له ثم جعله صفة له فى قوله: وإن من شيعته لابراهيم إذ جاءربه بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) أى قربت عطف جملة على جملة أى تزلف من موقف السعداء فينظرون إليها (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (لِلْغَاوِينَ) للكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ) يوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فَكُبْكِبُوا) أنكسوا وطرح

بعضهم على بعض (فِيهَا) فى الجحيم (هُمْ) أى الآلهة (وَالْغَاوُونَ) وعبدتهم الذين برزت لهم والـكبكبة تكرير الـكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه إذا ألقى فى جهنم ينكب مرة إثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين (تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم) نعدلـكم أيها الأصنام (بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فى العبادة (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سن الشرك (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ) كالمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) كما نرى لهم أصدقاء إذ لا يتصادق فى الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. والحميم -من الاحتمام وهو الاهتمام- الذى يهمه ما يهمك أو من الحامّة بمعنى الخاصة وهـو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لـكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز أن يراد بالصديق الجمع (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فيما ذكر من الأنباء (لَآيَةً) أى لعبرة لمن اعتبر (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) فيه أن فريقا منهم آمنوا (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) المنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم (الرَّحِيمُ) المسلم كل ذى قلب سليم إلى جنة النعيم (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أو لأن من كذب واحدا منهم فقد كذب الـكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل

وكذا جميع مافى هذه السورة (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نسبا لادينا (نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) خالق الأنام فتتركوا عبادة الأصنام (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) كان مشهورا بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام فى قريش (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به وأدعوكم إليه من الحق وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على هذا الأمر (مِنْ أَجْرٍ) جزاء (إِنْ أَجْرِىَ) بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فلذلك أريده (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الأول كونه أمينا فيهما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كأنه قال إذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا الله ثم إذا عرفتم احترازى من الأجر فاتقوا الله (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال (الْأَرْذَلُونَ) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لاتزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا وما زالت أتباع الأنبياء كذلك (قَالَ وَمَا عِلْمِى) وأى شىء أعلم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الصناعات إنما أطلب منهم الايمان وقيل إنهم طعنوا مع استرذالهم فى إيمانهم وقالوا إن الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم ما يظهرونه فقال ماعلى إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ) أن الله يحاسبهم على مافى قلوبهم (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ) أى ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى إيمانكم (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ماعلى إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ) عما تقول (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) من المقتولين بالحجارة (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنهم كذبونى فى وحيك ورسالتك (فَافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أى أى فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات (وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ) معىَ حفص (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

من عذاب حملهم (فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ) الفلك السفينة وجمه فلك فالواحد بوزن غفـل والجمع بوزن أسد (ٱلْمَشْحُونِ) المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ) أى بعد إنجاء نوح ومن آمن (ٱلْبَاقِينَ) من قومه (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) المنتقم بإهانة من جحد وأصر (ٱلرَّحِيمُ) المنعم بإعانة من وحد وأقر (كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ) هى قبيلة وفى الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) فى تكذيب الرسول الأمين (وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) مكان مرتفع (ءَايَةً) برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مربهم (تَعْبَثُونَ) تلعبون (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) مآخذ الماء أو قصورا مشيدة أو حصونا (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) ترجون الخلود فى الدنيا (وَإِذَا بَطَشْتُم) أخذتم أحداً بعقوبة (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب (فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) فى البطش (وَأَطِيعُونِ) فيما أدعوكم إليه (وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ) قرن البنين بالأنعام لأنهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) إن عصيتمونى (قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ) أى لانقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرءوس الآى (إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ) ماهذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابتناء إلا عادة الأولين أو مانحن عليه دين الأولين. إلا خلق الأولين مكى وبصرى ويزيد وعلى أى ماجئت به اختلاق الأولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الأولين أوخلقنا كخلق الأولين نموت ونحيا كما حيوا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) فى الدنيا ولا بعث ولاحساب (فَكَذَّبُوهُ) أى هودا (فَأَهْلَكْنَٰهُمْ) بريح صرصرعاتية (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

أَتُتْرَكُونَ) إنكار لأن يتركوا خالدين فى نعيمهم لايزالون عنه (فِي مَا هَٰهُنَا) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (ءَامِنِينَ) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ) وعطف نخل على جنات مع أن الجنة تتناول النخل أول شىء تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طَلْعُهَا) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هَضِيمٌ) لين نضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره (وَتَنْحِتُونَ) تنقبون (مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ) شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالظلم والكفر (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالإيمان والعدل والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شىء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر (مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ) فى دعوى الرسالة (قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) لاتزاحمكم هى فيه، روى أنهم قالوا : نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لأن قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، من المهايأة (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ) بضرب أو عقر أو غير ذلك (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فَعَقَرُوهَا) عقرها قدار ولكنهم راضون به فأضيف إليهم، روى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ)

على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ) المقدم ذكره (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ) أراد بالعالمين الناس أتطئون الذكور من الناس مع كثرة الإناث أو أتطئون أنتم من بين من عدا كم من العالمين الذكران أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ) عن إنكارك علينا وتقبيح أمرنا (لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنه مساهم لهم فى العلم . والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لأن قلاه من حيث الدين (رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ) من عقوبة عملهم (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ) يعنى بناته ومن آمن معه (إِلَّا عَجُوزًا) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وإن لم تشاركهم فى الإيمان (فِى ٱلْغَابِرِينَ) صفة لها أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كأنه قيل إلا عجوزا غابرة أى مقدرا غبورها إذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا

من حجارة (فَسَآءَ) فاعله (مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ) بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازى وشامى وكذا فى ص علم لبلد قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التجئوا إلى غيضة إذ ألح عليهم الوهج والأصح أنهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففى الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة (الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهى عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شيء عليه (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) وبكسر القاف كوفى غير أبى بكر وهو الميزان أو القبان فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعى (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ) يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه (أَشْيَاءَهُمْ) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) ولا تبالغوا فيها فى الإفساد نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا فى الأرض إذا أفسد وعثى فى الأرض لغة فى عثا (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الْأَوَّلِينَ) الماضين (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم : التسحير والبشرية وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم كرر بكونه بشرا مثلهم (وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) إن مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وإنما تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك فى البابين

فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً) كِسَفا حفص وهما جمع كسفة وهي القطعة وكسفه قطعه (مِّنَ السَّمَآءِ) أى السحاب أو الظلة (إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ) أى إن كنت صادقا أنك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا من السماء عقوبة (قَالَ رَبِّىٓ) بفتح الياء حجازى وأبوعمرو وبسكونها غيرهم (أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) أى إن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) هى سحابة أظلتهم بعدما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختم بما اختتمت به (وَإِنَّهُۥ) أى القرآن (لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) منزل منه (نَزَلَ بِهِ) مخفف والفاعل (الرُّوحُ الْأَمِينُ) أى جبريل لأنه أمين على الوحى الذى فيه الحياة. حجازى وأبوعمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (عَلَىٰ قَلْبِكَ) أى حفظك وفهمك إياه وأثبته فى قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله: سنقرئك فلا تنسى (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ) بلغة قريش وجرهم (مُّبِينٍ) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء إما أن يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام أو بنزل أى نزله بلسان عربى لتنذر به لأنه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهّمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم

يكن قلبه ناظرا إلا إلى معانى الكلام وإن كلم بغيرها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين (وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً) ولم تكن لهم آية شامى جعلت آية اسم كان وخبره (أَن يَعْلَمَهُ) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقيل فى تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وأن يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل آية (عُلَمَٰٓؤُا بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى: وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علماؤا بواو قبل الألف (وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جمع أعجم وهو الذى لا يفصح وكذلك الأعجمى إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الأعجميين وقيل الأعجمين تخفيف الأعجميين كما قالوا الأشعرون أى الأشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء (فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ) والمعنى أنا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن البشارة بإنزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الأعاجم التى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين

الذين علمنامنهم اختيارالكفر والإصرار عليه يعني مثل هذاالسلك سلكناه فيقلوبهم وقررناه فيهافكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلاسبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال: ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين. وهو حجتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثبات كونه مكذبا مجحودا فيقلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لايزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به (حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) المراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك إيمان يأس فلا ينفعهم (فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بإتيانه (فَيَقُولُوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ) يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلايجابون إليها (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ونحو ذلك (أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ) قيل هي سنو مدة الدنيا (ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) به في تلك السنين والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال فيسلامة وأمن فقال الله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون. أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل، ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم * قال يحيى بن معاذ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن إلى مألوفاته والله تعالى يقول: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون، وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فأبلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في: وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم. لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذِكْرَىٰ) منصوبة بمعنى تذكرة

لأن أنذر وأذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير فى منذرون أى ينذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أى ينذرون لأجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على أنها خبرمبتدإ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجمله اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذووذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرةلغيرهم فلايعصوا مثل عصيانهم (وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ) فنهلك قوما غيرظالمين، ولما قال المشركون إن الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) أى القرآن (الشَّيَـٰطِينُ وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ومايتسهل لهم ولا يقدرون عليه (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) لممنوعون بالشهب(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) موردالنهى لغيرهعلى التعريض والتحريك له على زيادة الإخلاص (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خصهم لنفى التهمة إذ الإنسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغنى عنهم من الله شيئا وأن النجاة فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال «يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف ياعباس عم النبى ياصفية عمة رسول الله إنى لاأملك لكم من الله شيئا» (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) وألن جانبك وتواضع وأصله أن الطائر إذاأراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) منعشيرتك وغيرهم(فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) يعنى أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهمبرحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومنغيرهم، والتوكل تفويض: الرجل أمرهإلىمن يملكأمرهويقدر على نفعه وضره، وقالوا المتوكل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عننفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك إليه فى الدارين. فتوكلمدنى وشامىعطف علىفقلأوفلاتدع(الَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ) متهجدا (وَتَقَلُّبَكَ)

أى ويرى تقلبك (فِي السَّٰجِدِينَ) فى المصلين. أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم أنهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم، وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لما تقوله (الْعَلِيمُ) بما تنويه وتعمله هوّن عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له إذلا مشقة على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقولك * بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى * نزل جوابا لقول المشركين إن الشياطين تلقى السمع على محمد ﷺ (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أى هل أخبركم أيها المشركون (عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَٰطِينُ) ثم نبأ فقال (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد ﷺ يشتم الأفاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يُلْقُونَ السَّمْعَ) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم. ويلقون حال، أى تنزل ملقين السمع أوصفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء أواستئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ) فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين ويتلقون وحيهم إليهم أويلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا إليهم والأفاك الذى يكثر الإفك، ولايدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وإنما فرق بين وإنه لتنزيل رب العالمين وماتنزلت به الشياطين، وهل أنبئكم على من تنزل الشياطين، وهن أخوات لأنه إذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع إليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما إذا حدثت

حديثا وفى صدرك اهتمام بشيء فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع إليه * ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كمايقول محمد ﷺ واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (وَالشُّعَرَاءُ) مبتدأ خبره (يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) أى لايتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب ومدح من لايستحق المدح ولايستحسن ذلك منهم إلا الغاوون أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من الكلام (يَهِيمُونَ) خبر أن أى فى كل فن من الكذب يتحدثون أو فى كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لامقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم. عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله .

فبتن بجانبيَّ مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وَانْتَصَرُوا) وهجوا (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) هجوا أى ردوا هجاء من هجا رسول الله ﷺ والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله ﷺ وهجاه وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له «اهجهم فو الذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل» وكان يقول لحسان «قل وروح القدس معك» * ختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وَسَيَعْلَمُ) وما فيه من الوعيد البليغ

وقوله (ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا) وإطلاقه، وقوله (أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) وإبهامه، وقدتلاها أبوبكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد إليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء وسيعلم المعرض عنا ماالذى فاته منا وأىّ منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ماقبلها أى ينقلبون أىّ انقلاب .

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) أى وآيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة، والكتاب المبين : اللوح، وآياته أنه قدخط فيه كل ماهو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته إنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل إنما نكر الكتاب هناوعرفه فى الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لأن القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هُدًى وَبُشْرَىٰ) فى محل النصب على الحال من آيات أى هداية وبشارة فالعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة أو الجر على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هى هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خاصة (ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ) يديمون على فرائضها وسننها (وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) يؤدون زكاة أموالهم (وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقدجملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا

كما قال: أفمن زين له سوء عمـله فرآه حسنا (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ) القتـل والأسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال (وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لـكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ) لتؤتاه وتلقنه (مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) من عند أىّ حكيم وأىّ عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إِذْ) منصوب باذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ) لزوجته ومن معه عند سيره من مدين إلى مصر (إِنِّىٓ ءَانَسْتُ) أبصرت (نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ) بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قَبَسٍ) نار مقبوسة بدل أو صفة. وغيرهم بشهاب قبس على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع أن أحدهما ترج والآخر تيقن لأن الراجى إذا قوى رجاؤه يقـول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وبأو لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ولم يدر أنه ظافر على النار بحاجتيه الـكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الألفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزوج (لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون بالنار من البرد الذى أصابكم والطاء بدل من تاء افتعـل لأجل الصاد (فَلَمَّا جَآءَهَا) أى النار التى أبصرها (نُودِىَ) موسى (أَنۢ بُورِكَ) مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزمخشرى لأن قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة أو مفسرة لأن فى النداء معنى القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) أى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه (وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

هو من جملة ما نودى فقد نزه ذاته عما لايليق به من التشبيه وغيره (يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) الضمير فى إنه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو يرجع إلى مادل عليه ما قبله أى إن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وَأَلْقِ عَصَاكَ) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهوعطف على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ماذكر فى سورة القصص وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى إنى أنا الله على تكرير حرف التفسير (فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك حال من الهاء فى رآها (كَأَنَّهَا جَآنٌّ) حية صغيرة حال من الضمير فى تهتز (وَلَّىٰ) موسى (مُدْبِرًا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (وَلَمْ يُعَقِّبْ) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قد عقب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولى فنودى (يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى إياهم أولا يخاف لدى المرسلون من غيرى (إِلَّا مَن ظَلَمَ) أى لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لايظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الأنبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا) أى أتبع توبة (بَعْدَ سُوٓءٍ) زلة (فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أقبل توبته وأغفر زلته وارحمه فأحقق أمنيته وكأنه تعريض بماقال موسى حين قتل القبطى: رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ) جيب قيصك وأخرجها (تَخْرُجْ بَيْضَآءَ) نيرة تغلب نور الشمس (مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ) برص وبيضاء ومن غير سوء حالان (فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو وألق عصاك وأدخل يدك فى جملة تسع آيات (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ) إلى يتعلق بمحذوف أى مرسلاإلى فرعون وقومه(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ) خارجين عن أمرالله كافرين (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا) أى معجزاتنا (مُبْصِرَةً) حال أى ظاهرة بينة جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لملابستهم إياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصرفتهدى لأن الأعمى لا يقدر

على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى (قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وَجَحَدُوا بِهَا) قيل الجحود لا يكون إلا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر فى شرح التأويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو فى (وَاسْتَيْقَنَتْهَا) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الإيقان (أَنفُسُهُمْ) أى جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم (ظُلْمًا) حال من الضمير فى وجحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا (وَعُلُوًّا) ترفعا عن الإيمان بما جاء به موسى (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) وهو الإغراق هنا والإحراق ثمة (وَلَقَدْ آتَيْنَا) أعطينا (دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الأصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر، وتقديره آتيناهما علما فعملابه وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا، والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وإن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتى النبوة مثل أبيه فكأنه ورثه وإلا فالنبوة لا تورث (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير

المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض . روى أنه صاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال : يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال: يقول استغفروا الله يامذنبين وصاح خطاف فقال: يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وقال : الحدأة تقول كل شىء هالك إلا الله. والقطاة تقول من سكت سلم. والديك يقول اذكروا الله ياغافلين والنسر يقول ياابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس (وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شىء ومثله وأوتيت من كل شىء (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخرا. والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وَحُشِرَ) وجمع (لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ) روى أن معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسةوعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه حر الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنى قد زدت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشىء إلا ألقته الريح فى سمعك ، فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنى جئت إليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف

سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة. والوزع: المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه : ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ) أى ساروا حتى إذا بلغوا وادى النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لأن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قَالَتْ نَمْلَةٌ) عرجاء تسمى طاخية أو منذرة وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضى الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ) ولم يقل ادخلن لأنه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لا يكسرنكم، والحطم الكسر وهو نهى مستأنف وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفى الحقيقة نهى لهن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينك هاهنا أى لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات الشعر (سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) لا يعلمون بمكانكم أى لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل أو فرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لأن تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ) ألهمنى وحقيقته كفنى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ) من النبوة والملك والعلم (وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ) لأن الانعام على الوالدين إنعام على الولد (وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ) فى بقية عمرى (وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بصالح عملى إذ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمته كما جاء فى الحديث (فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم

أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ) مكى وعلى وعاصم، وغيرهم بسكون الياء. والتفقد طلب ماغاب عنك (لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لا أراه على معنى أنه لا يراه وهـو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر أن سليمان عليه السلام لما حج خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قُنَّاقِنَهُ وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض وقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً) بنتف ريشه وإلقائه فى الشمس أو بالتفريق بينه وبين إلفه أو بإلزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع أضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدى النمل ليأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة (أَوْلَأَاْذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لأعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف. ليأتيننى بنونين مكى الأولى للتأكيد والثانية للعماد (بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء: اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنه من أين درى أنه يأتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الأمور يعنى إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية (فَمَكَثَ) الهدهد بعد تفقد سليمان إياه، وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب، وهما لغتان (غَيْرَ بَعِيدٍ) أى مكثاً غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه

خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما لقى فى غيبته (فَقَالَ أَحَطتُ) علمت شيئا من جميع جهاته (بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ماأوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له فى علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضه أن الإمام لا يخفى عليه شىء ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ) غيرمنصرف. أبو عمرو جعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الأب الأكبر (بِنَبَإٍ يَقِينٍ) النبأ الخبر الذى له شأن وقوله من سبأ بنبإ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى هاهنا ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبإ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال (إِنِّى وَجَدتُّ امْرَأَةً) هى بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تَمْلِكُهُمْ) راجع إلى سبأ على تأويل القوم أو أهل المدينة (وَأُوتِيَتْ) حال، وقدمقدرة (مِن كُلِّ شَىْءٍ) من أسباب الدنيا مايليق بحالها (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير عظيم (عَظِيمٌ) كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقدأخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أى سبيل التوحيد (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) إلى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدى إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها (أَلَّا يَسْجُدُوا) بالتشديد أى فصدهم عن السبيل لئلايسجدوا فحذف الجار مع أن وأدغمت النون فى اللام ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لايهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلى وتقديره ألاياهؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه ويا حرف نداء ومناداه محذوف، فمن شدد لم يقف إلا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لايهتدون

ثم ابتدأ ألا يسجدوا أو وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج إنه لا يجب السجود مع التشديد لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح للآتى بها أو ذم لتاركها وإحدى القراءتين أمر والأخرى ذم للتارك (لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ) سمى المخبوء بالمصدر (فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) قتادة خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) وبالتاء فيهما على وحفص (اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ماخلق من السماوات والأرض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام الهدهد، فلما فرغ من كلامه (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنظُرُ) من النظر الذى هو التأمل (أَصَدَقْتَ) فيما أخبرت (أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به، ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وآتونى مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (اذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرا لتدل الكسرة على الياء المحذوفة. يزيد وقالون ويعقوب فألقهى بإثبات الياء غيرهم (إِلَيْهِمْ) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك (فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) ماالذى يردونه من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم (قَالَتْ) لقومها خاضعة خائفة (يَٰأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ) وبفتح الياء مدنى (أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ) حسن مضمونه ومافيه أو مختوم. قال عليه الصلاة والسلام:

«كرم الكتاب ختمه» وقيل من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ، أومصدر بسم الله الرحمن الرحيم أولأنه من عند ملك كريم (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) هو تبيين لما ألقى إليها كأنها لما قالت إنى ألقى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو وماهو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت. وأن فى (أَلَّا تَعْلُوا) لا ترفعوا (عَلَيَّ) ولا تتكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعنى أى امشوا (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) أشيروا على فى الأمر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالئوها ويقوموا معها (مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) فاصلة أو ممضية حكما (حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ) بكسر النون، والفتح لحن لأن النون إنما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب وأصله تشهدوننى فحذفت النون الأولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب أى تحضرونى أوتشيرونى أو تشهدوا أنه صواب أى لا أبت الأمر إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف (قَالُوا) مجيبين لها (نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ)أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) أى موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عنوة وقهرا (أَفْسَدُوهَا) خربوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) أذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لأنها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأى السديد، وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعى فى الأرض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن

على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ) أى مرسلة رسلا بهدية (فَنَاظِرَةٌ) فنتظرة (بِمَ) أى بما لأن الألف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام (يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فإن كان ملكا قبلها وانصرف وإن كان نبيا ردها ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى: بم يرجع المرسلون. وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه إن كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما فى الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وإن رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها [1] ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم (فَلَمَّا جَاءَ) رسولها المنذر بن عمرو (سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) بنونين وإثبات الياء فى الوصل والوقف مكى وسهل وافقهما مدنى وأبو عمرو فى الوصل أتمدونى حمزة ويعقوب فى الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ) من

(١) قوله فيها أى فى الخرزة المار ذكرها.

النبوة والملك والنعمة . وبفتح الباء مدنى وأبو عمرو وحفص (خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ) من زخارف الدنيا (بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت إليـه والمعنى إن ما عندى خير مما عنـدكم وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتانى من الدنيا مالا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالـكم وماأرضى منكم بشىء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدوننى بمال وأنا أغنى منكم وبين أن تقـوله بالفاء أنى إذا قلته بالواو جعلت مخاطبى عالما بزيادتى فى الغنى وهو مع ذلك يمدنى بمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بمالا أحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنكر عليك ما فعلت فإنى غنى عنه وعليه ورد فما آتانى الله ووجه الاضراب أنه لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التى لايعلمون غيرها (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) خطاب للرسول أو الهدهد محملا كتابا آخر إليهم ائت بلقيس وقومها (فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا) لاطاقة لهم بهاوحقيقةالقبل المقاومة والمقابلة أىلايقدرون أن يقابلوهم (وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا) من سبأ (أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت: هونبى ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعةأبيات وغلقت الأبواب ووكلت بهحرسا يحفظونه وبعثت إلى سليمان إنى قادمة إليك لأنظر ما الذى تدعو إليه وشخصت إليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلمابلغت على رأس فرسخ من سليمان (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها

(قَالَ عِفرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أَنَا ءاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ) مجلس حكمك وقضائك (وَإِنِّي عَلَيْهِ) على حمله (لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) آتى به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من هذا (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ) أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عندقول العفريت أوجبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ، أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذادعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم ياذاالجلال والإكرام أويا إلهنا وإله كل شئ إلهاواحدا لاإله إلاأنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب إلهاما (أَنَا ءاتِيكَ بِهِ) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) أنك ترسل طرفك إلى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (فَلَمَّا رَءاهُ) أى العرش (مُسْتَقِرًّا عِندَهُ) ثابتا لديه غير مضطرب (قَالَ هَذَا) أى حصول مرادى وهو حضور العرش فى مدة ارتداد الطرف (مِن فَضْلِ رَبِّي) علىّ وإحسانه إلى بلااستحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (لِيَبْلُوَنِي ءأَشْكُرُ) ليمتحننى أأشكر إنعامه (أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعضهم إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار. واعلم أن سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا أى لم تشكر لله نعمة (وَمَن كَفَرَ) بترك الشكر على النعمة (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ) عن الشكر (كَرِيمٌ) بالإنعام على من يكفر نعمته، قال الواسطى ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو إلينا وله المنة والفضل علينا (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) غيروا أى اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (نَنظُرْ) بالجزم على الجواب (أَتَهْتَدِي) إلى معرفة عرشها أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ فَلَمَّا

جَاءَتْ) بلقيس (قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) فأجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل للأمرين أولماشبهوا عليها بقولهم: أهكذاعرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هومع أنها علمت أنه عرشها (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا) من كلام بلقيس أىوأوتينا العلم بقدرة الله تعالىوبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أى إحضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) منقادين لك مطيعين لأمرك أومن كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها أو أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ) أو كلام مبتدأ أى قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أوصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ) أى القصر أو صحن الدار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) ماءعظيما (وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا) سأقيهابالهمزة مكى روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحقيقا لنبوته وقيل إن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد فقالوا له إن فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء فصرف بصره (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ)مملس مستو ومنه الأمرد (مِّن قَوَارِيرَ) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها

وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة الشمس (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهى أجنبية فلا يصح القول بمثله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ) فى النسب (صَالِحًا) بدل (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بأن اعبدوا الله وحدوه (فَإِذَا) للمفاجأة (هُمْ) مبتدأ (فَرِيقَانِ) خبر (يَخْتَصِمُونَ) صفة وهى العامل فى إذا والمعنى فإذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله: قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون. وقال الفريق الكافر: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ) بالعذاب الذى توعدون (قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قبل التوبة (لَوْلَا) هلا (تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بالإجابة (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ) تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت التاء فى الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء (وَبِمَن مَّعَكَ) من المؤمنين (قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ) أى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فإنما نزل بكم مانزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه وأصله أن المسافر إذا مر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيامن وإذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون أوتعذبون بذنبكم (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة ثمود وهى الحجر (تِسْعَةُ رَهْطٍ) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشرة وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا ابناء أشرافهم (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) يعنى أن شأنهم

الإفساد البحت لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ) تحالفوا خبر فى محل الحال بإضمار قد أى قالوا متقاسمين أو أمر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لَنُبَيِّتَنَّهُ) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وَأَهْلَهُ) ولده وتبعه (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (مَاشَهِدْنَا) ما حضرنا (مَهْلِكَ أَهْلِهِ) حفص مهلَك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالأول موضع الهلاك والثانى المصدر مُهلَك غيرهم من أهلك وهو الإهلاك أو مكان الإهلاك أى لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فيما ذكرنا (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) بفتح الألف كوفى وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بالصيحة (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط أو خالية من الخواء ، وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) فيما فعل بثمود (لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرتنا فيتعظون (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بصالح (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (وَلُوطًا إِذْ قَالَ) واذكر لوطا، وإذ بدل من لوطا أى واذكر وقت قول لوط (لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ

ٱلْفَٰحِشَةَ) أى إتيان الذكور (وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أَئِنَّكُمْ) بهمزتين كوفى وشامى (لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً) للشهوة (مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ) أى ان الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهى مضادة لله فى حكمته (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ) أى لوطا ومتبعيه نخبر كان جواب واسمه أن قالوا (مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وقيل هو استهزاء كقوله إنك لأنت الحليم الرشيد (فَأَنجَيْنَٰهُ) نخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا) بالتشديد سوى حماد وأبى بكر أى قدرنا كونها (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) من الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ) الذين لم يقبلوا الإنذار (قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ) أمر رسوله محمداً ﷺ بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شىء وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شىء وإنما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئاً على شىء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط

وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم» ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) والفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة إذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً (فَأَنبَتْنَا) صرف الكلام عن الغيبة إلى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانا بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده (بِهِ) بالماء (حَدَائِقَ) بساتين، والحديقة: البستان وعليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة (ذَاتَ) ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بَهْجَةٍ) حسن لأن الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره (أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم (أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قَرَارًا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وَجَعَلَ خِلَالَهَا) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول (أَنْهَارًا) وبين البحرين مثله (وَجَعَلَ لَهَا) للأرض (رَوَاسِيَ) جبالا تمنعها عن الحركة (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ) العذب والمالح (حَاجِزًا) مانعا أن يختلطا (أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) التوحيد فلا يؤمنون (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) الضر أو الجور (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص

وما مزيدة أى تذكرون تذكرا قليلا (أَمَّن يَهْدِيكُمْ) يرشدكم بالنجوم (فِي ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ليلا وبعلامات فى الأرض نهارا (وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ) الريح مكى وحمزة وعلى (بُشْرًا) من البشارة وقد مرّ فى الأعراف (بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) قدام المطر (أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ) ينشئ الخلق (ثُمَّ يُعِيدُهُ) وإنما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للإعادة لأنه أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر فى الإنكار (وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ) أى المطر (وَالْأَرْضِ) أى ومن الأرض النبات (أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ) حجتكم على إشراككم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعواكم أن مع الله إلها آخر (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) مَن فاعل يعلم، والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل مِن مَن والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله نعم ان الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن فى السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتصل ويقولون ما فى الدار أحد إلا حمار وقالت عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله. وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة (وَمَا يَشْعُرُونَ) وما يعلمون (أَيَّانَ) متى (يُبْعَثُونَ) ينشرون (بَلِ ادَّٰرَكَ) أدرك مكى وبصرى ويزيد والمفضل أى انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادّرك عن الأعشى افتعل بل ادّارك غيرهم استحكم وأصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى فى شأن الآخرة ومعناها، والمعنى أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بإنكارهم البعث مع

استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه أنه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذى لابد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لأجهل الناس ماأعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذى الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لاطريق إلى معرفته ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التى عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم فى الآخرة وتدارك من تدارك بنوفلان إذا تتابعوا فى الهلاك (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام فى أئذا وأئنا فى قراءة عاصم وحمزة وخلف، إنكار بعد إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل فى إذا مادل عليه لمخرجون وهو نخرج لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو إن أو لام الابتداء لايعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن والضمير فى إنالهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير فى كنا لأن المفعول جرى مجرى التوكيد (لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا) أى البعث (نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ) من قبل محمد ﷺ قدم هنا هـذا على نحن وآباؤنا وفى المؤمنون نحن وآباؤنا على هـذا ليدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون (إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ) ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم (قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ) أى آخر أمر الكافرين وفى ذكر الإجرام لطف بالمسلمين فى ترك الجرائم كقوله تعالى: فدمدم عليهم ربهم بذنبهم. وقوله: مما خطيئاتهم أغرقوا (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) لأجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا (وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ) فى حرج صدر (مِّمَّا يَمْكُرُونَ) من مكرهم وكيدهم لك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ) أى وعد العذاب (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أن العذاب نازل بالمكذب (قُلْ

عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ) استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم، وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ) أى إفضال (عَلَى ٱلنَّاسِ) بترك المعاجلة بالعذاب (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) أى أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ) تخفى (صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تَكُنُّ يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته (وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) سمى الشيء الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء فى العاقبة والعافية ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البيّن لمن ينظر فيه من الملائكة (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) أى يبين لهم (أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فإنهم اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وَإِنَّهُۥ) وان القرآن (لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى إسرائيل أو منهم ومن غيرهم (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بِحُكْمِهِۦ) بعدله لأنه لا يقضى إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) فلا يرد قضاؤه (ٱلْعَلِيمُ) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين (إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ) وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه

بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي الْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلاالله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعى بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته، ولايسمع الصُّمُّ مكى وكذا فى الروم وما أنت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا) أى ما يجدى إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فَهُم مُّسْلِمُونَ) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالماً لله خالصاً له (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ماوعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) هى الجساسة، فى الحديث: طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان .وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثناعشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لايوقنون بخروجى لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفى وسهل على حذف الجار أى تكلمهم بأن وغيرهم كسروا لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) من للتبعيض أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة (مِّمَّن يُكَذِّبُ) من للتبتين (بِـَٔايَٰتِنَا) المنزلة على أنبيائنا (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو) حضروا موقف الحساب والسؤال (قَالَ) لهم تعالى تهديدا (أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى) المنزلة على رسلى (وَلَمْ تُحِيطُوا

بِهَا عِلماً) الواو للحال كأنه قال أ كذبتم بآياتى بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أَمَّا ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) حيث لم تتفكروا فيها فإنكم لم تخلقوا عبثا (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ) أى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله: هذا يوم لا ينطقون (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) حال، جعل الإبصار للنهار وهو لأهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون فيعتبرون، وفيه دليل على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم فى الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولابد عند ذلك من ثواب وعقاب فإذا لم يكونا فى هذه الدار فلابد من دار أخرى للثواب والعقاب (وَيَوْمَ) واذكر يوم (يُنفَخُ فِي الصُّورِ) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ إسرافيل عليه السلام (فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ) اختير فزع على يفزع للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ) إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش، وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة، ومثله: ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله (وَكُلٌّ أَتَوْهُ) حمزة وحفص وخلف، آتوه غيرهم وأصله آتيوه (دَاخِرِينَ) حال أى صاغرين ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا) بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جَامِدَةً) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد فى مكانه إذا لم يبرح (وَهِيَ تَمُرُّ) حال من الضمير المنصوب فى تحسبها (مَرَّ السَّحَابِ) أى مثل مر السحاب والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمها وهى تسير سيرا سريعا كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش .

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

(صُنْعَ اللهِ) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لأن مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل (ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) أى أحكم خلقه (إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ) يفعلون مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أى أنه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ) أى بقول لا إله إلا الله عند الجمهور (فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها (وَهُم مِّن فَزَعٍ) كوفى أى من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أى من فزع ما وإن قل، وبغير تنوين غيرهم (يَوْمَئِذٍ) كوفى ومدنى، وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (ءَامِنُونَ) أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ) بالشرك (فَكُبَّتْ) ألقيت (وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤوسهم فى النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ) مكة (ٱلَّذِى حَرَّمَهَا) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) المنقادين له (وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ) من التلاوة أو من التلو كقوله: واتبع ما يوحى إليك من ربك، أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأعظمها عنده وأشار إليها بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما (فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ) باتباعه إياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علىّ من الوحى (فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ) فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلىّ (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ

الْمُنذِرِينَ) أى ومن ضل ولم يتبعنى فلا علىّ وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ المبين (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته فى الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا (وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالتاء مدنى وشامى وحفص ويعقوب خطاب لأهل مكة وبالياء غيرهم أى كل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه .

﴿ سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ) يقال بان الشئ وأبان بمعنى واحد ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد أى مبين خيره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد (نَتْلُوا عَلَيْكَ) نقرأ عليك أى يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول نتلو (مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ) أى نتلو عليك بعض خبرهما (بِالْحَقِّ) حال أى محقين (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) لمن سبق فى علمنا أنه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إِنَّ فِرْعَوْنَ) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (عَلَا) طغى وجاوز الحد فى الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية (فِى الْأَرْضِ) أى أرض مملكته يعنى مصر (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم القبطى وأهان الإسرائيلى (يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ) هم بنو إسرائيل (يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ) أى يترك البنات أحياء للخدمة، وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل وإن كذب فما معنى القتل ، ويستضعف حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام

مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) أى إن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ) نتفضل وهو دليل لنا فى مسألة الأصلح وهذه الجملة معطوفة على إن فرعون علا فى الأرض لأنها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له أو حال من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وإرادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) قادة يقتدى بهم فى الخير أو قادة إلى الخير أو ولاة وملوكا (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (وَنُمَكِّنَ) مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد، ومعنى التمكين (لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) بضم النون ونصب فرعون وما بعده، وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وحمزة أى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم، ونرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (مِنْهُم) من بنى إسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول (مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) الحذر: التوقى من الضرر (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) بالإلهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا (أَنْ أَرْضِعِيهِ) أن بمعنى أى أو مصدرية (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) البحر، قيل هو نيل مصر (وَلَا تَخَافِي) من الغرق والضياع (وَلَا تَحْزَنِي) بفراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) بوجه لطيف لتربيته (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده إليها وجعله من المرسلين. وروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد وروى أنها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ماوجدت مثله

فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لاتدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى إليها بإلقائه فى اليم فألقته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر (فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ) أخذه، قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا) أى ليصير الأمر إلى ذلك لاأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ماتلده الوالدة وهى لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون: إن هذه لام العاقبة والصيرورة. وقال صاحب الكشاف هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذى هو نتيجة المجىء (وَحَزَنًا) وحُزنا على وحمزة وهما لغتان كالعدم والعدم (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ) خاطين بخفيف عن أبوجعفر أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم أو كانوا خاطئين فى كل شى فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ) روى أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبى نوره بين عينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرئت، فقالت الغواة من قومه هو الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لى ولك فقال فرعون: لك، لا لى وفى الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أى هو قرة ولى ولك صفتان لقرة (لَا تَقْتُلُوهُ) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ) فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا) أو نتبناه فإنه أهل لأن يكون ولدا للملوك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) حال، وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا، وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية

جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعانى والبيان (وَأَصْبَحَ) وصار (فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها. قيل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول : وا ابناه وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه يقتله فكادت تقول : وا ابناه شفقة عليه وإن مخففة من الثقيلة أى إنها كادت (لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) من المصدقين بوعدنا وهو إنا رادوه إليك وجواب لولا محذوف أى لأبدته أو فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه إن كادت لتبدى بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طأمنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون، قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ) مريم (قُصِّيهِ) اتبعى أثره لتعلمى خبره (فَبَصُرَتْ بِهِ) أى أبصرته (عَن جُنُبٍ) عن بعد حال من الضمير فى به أو من الضمير فى بصرت (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أنها أخته (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ) تحريم منع لا تحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك. والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدى أو الرضاع (مِن قَبْلُ) من قبل قصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه (فَقَالَتْ) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هَلْ أَدُلُّكُمْ) أرشدكم (عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ) أى موسى (لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) النصح إخلاص العمل من شائبة الفساد روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان : إنها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام، فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك فقالت إنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى إلا قبلنى فدفعه إليها وأجرى

عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فمندها ثبت واستقر فى علمها أنه سيكون نبيا وذلك قوله (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بالقام معه (وَلَا تَحْزَنَ) بفراقه (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أى وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وإنما حل لها ماتأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدى لأنه مال حربى لالأنه أجرة على إرضاع ولدها (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هو داخل تحت علمها أى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لايعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه (وَاسْتَوَىٰ) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبى إلا على رأس أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) فقها أوعلما بمصالح الدارين (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أى كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين. قال الزجاج جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التى هى جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لأنه تعالى قال : ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. فجعلهم جهالا إذ لم يعملوا بالعلم (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ) أى مصر (عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) حال من الفاعل أى مختفيا وهو مابين العشاءين أو وقت القائلة يعنى انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تغفل (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل قيل هو السامرى، وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره (وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من مخالفيه من القبط وهو فاتون، وقيل فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أى إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فَاسْتَغَاثَهُ) فاستنصره (الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) ضربه بجمع كفه أو بأطراف أصابعه (فَقَضَىٰ عَلَيْهِ) فقتله (قَالَ هَٰذَا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أو لأنه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل، وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل مالم يؤمر (إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ) ظاهر العداوة (قَالَ رَبِّ) يارب (إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بفعل

سار قتلا (فَاغْفِرْ لِي) زلتي (فَغَفَرَ لَهُ) زلته (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ) بإقالة الزلل (الرَّحِيمُ) بإزالة الخجل (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا) معينا (لِلْمُجْرِمِينَ) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك على بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف كأنه قال رب اعصمنى بحق ماأنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتنى ظهيراً للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يَتَرَقَّبُ) حال أى يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الأخبار أو ما يقال فيه، وقال ابن عطاء: خائفاً على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فَإِذَا الَّذِي) إذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (اسْتَنصَرَهُ) أى موسى (بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يستغيثه والمعنى أن الإسرائيلى الذى خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ) أى للإسرائيلى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ) أى ضال عن الرشد ظاهر الغى فقد قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك والرشد فى التدبير أن لا يفعل فعلا يفضى إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ) موسى (أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي) بالقبطى الذى (هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا) لموسى والإسرائيلى لأنه ليس على دينهما أو لأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل (قَالَ) الإسرائيلى لموسى عليه السلام وقد توهم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطى إذ قال له إنك لغوى مبين (يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا) يعنى القبطى (بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ) ماتريد (إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا) أى قتالا بالغضب (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) فى كظم الغيظ وكان قتل القبطى بالأمس قد شاع ولكن خفى قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطى أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يَسْعَىٰ) صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله من أقصى المدينة (قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) أى يأمر بعضهم بعضاً بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر

(فَاخْرُجْ) من المدينة (إِنِّى لَكَ مِنَ النَّـٰصِحِينَ) لك بيان وليس بصلة الناصحين لأن الصلة لاتتقدم على الموصول كأنه قال إنى من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فَخَرَجَ) موسى (مِنْهَا) من المدينة (خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ) التعرض له فى الطريق أو أن يلحقه من يقتله (قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ) أى قوم فرعون (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ) نحوها ، والتوجه الإقبال على الشىء، ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما: خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه (قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السَّبِيلِ) أى وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به إلى مدين (وَلَمَّا وَرَدَ) وصل (مَآءَ مَدْيَنَ) ماءهم الذى يسقون منه وكان بئرا (وَجَدَ عَلَيْهِ) على جانب البئر (أُمَّةً) جماعة كثيرة (مِّنَ النَّاسِ) من أناس مختلفين (يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ) فى مكان أسفل من مكانهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء من هو أقوى منهما فلاتتمكنان من السقى أولئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم والذود الطرد والدفع (قَالَ مَاخَطْبُكُمَا) ما شأنكما وحقيقته مامخطوبكما أى مامطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا(قَالَتَا لَانَسْقِى) غنمنا (حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَآءُ) مواشيهم يَصدر شامى ويزيد وأبوعمرو أى يرجع، والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وَأَبُونَا شَيْخٌ) لايمكنه سقى الأغنام (كَبِيرٌ) فى حاله أو فى السن لايقدر على رعى الغنم، أبدتا إليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فَسَقَىٰ لَهُمَا) فسقى غنمهما لأجلهما رغبة فى المعروف وإغاثة للملهوف روى أنه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لاينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول فى يسقون وتذودان ولا نسقى وفسقى لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذا فى لانسقى وفسقى فالمقصود هو السقى لا المسقى ووجه مطابقة جوابها سؤاله أنه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك أنا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الإختلاط بهم فلابدلنا من تأخير السقى إلى أن يفرغوا وإنما رضى شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لأن هذا الأمر فى نفسه ليس

بمحظور والدين لايأباه وأما المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى الظِّلِّ) أى ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا بخلاف مايقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى إذ لا نقص فى الشكوى إلى المولى (فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ) لأى شىء (أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ) قليل أو كثير غث أو سمين (فَقِيرٌ) محتاج، وعدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل أن يريد أنى فقير من الدنيا لأجل ماأنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الأنوار (فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) على استحياء فى موضع الحال أى مستحية وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لافأتته مستحية قد استترت بكم درعها، وما فى ماسقيت مصدرية أى جزاء سقيك روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حُفّل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها: امشى خلفى وانعتى لى الطريق (فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) أى قصته وأحواله مع فرعون، والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قَالَ) له (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ) إذ لاسلطان لفرعون بأرضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشى مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الأجر على البر والمعروف فقيل إنه لابأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على أنه روى إنها لما قالت ليجزيك كره ذلك وإنما أجابها لئلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل (قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ اسْتَـْٔجِرْهُ) اتخذه أجيرا لرعى الغنم روى أن كبراها كانت تسمى

صفراء والصغرى صفيراء، وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوجها (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرْتَ القَوِىُّ الأَمِينُ) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشى خلفه وورد الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أن أمانته وقوته أمران متحققان وقولها إن خير من استأجرت القوى الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقيل القوى فى دينه الأمين فى جوارحه وقد استغنت بهذ الكلام الجارى مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر (قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ) أزوجك (إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَاتَيْنِ) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك (عَلَىٓ أَن تَأْجُرَنِى) تكون أجيراً لى من أجرته إذا كنت له أجيرا (ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا) أى عمل عشر حجج (فَمِنْ عِندِكَ) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فإتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) بإلزام أتم الأجلين، وحقيقة قولهم: شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك (قَالَ) موسى (ذَٰلِكَ) مبتدأ وهو إشارة إلى ماعاهده عليه شعيب والخبر (بَيْنِى وَبَيْنَكَ) يعنى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لايخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) أى أى أجل قضيت من الأجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأى نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لإبهام أى وهى شرطية وجوابها (فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ) أى لايعتدى على فى طلب الزيادة عليه، قال المبرد: قد علم

أنه لاعدوان عليه في أيهما ولكن جمعهماليجعل الأقل كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل (وَاللّٰهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) هو من وكل إليه الأمر، وعدى بعلى لأنه استعمل في موضع الشاهدوالرقيب. روى أن شعيبا كانت عنده عصيّ الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتىقتلته وعادت إلىجنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسىوالعصا شأنا وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى إليه فيالمنام أناضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفىله بشرطه (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ) قال عليه السلام «قضىأوفاهماوتزوج صغراها» وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) بامرأته نحو مصر. قالابنعطاء: لما تم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار بأهله ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه (ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) عن الطريق لأنه قد ضل الطريق (أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ) بالنسبة إلى موسى (فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ) بتكليم الله تعالىفيها (مِنَ ٱلشَّجَرَةِ) العناب أو العوسج (أَن يَٰمُوسَىٰٓ) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) قال جعفر: أبصر ناراً دلته على الأنوار لأنه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوارالقدس وأحاطت به جلابيب الأنس فخوطب بألطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ما سأل وأمن مما خاف، والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن، فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ

كانت فى رأسه نار أو لم تكن، ومن الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطىء الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطىء الواد بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء أى الجانب (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) ونودى أن ألق عصاك فألقاها فقلبها الله ثعبانا (فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَآنٌّ) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) يرجع فقيل له (يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسْلُكْ) أدخل (يَدَكَ فِى جَيْبِكَ) جيب قميصك (تَخْرُجْ بَيْضَآءَ) لها شعاع كشعاع الشمس (مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ) برص (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) حجازى بفتحتين وبصرى. الرُّهْب حفص الرُّهْب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى واضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرق أى لأجل الحية . عن ابن عباس رضى الله عنهما : كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشىء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ماهو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدى الإنسان بمنزلة جناحى الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه أو أريد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك واسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين إذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى إخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك إلى جناحك فى طه أدخل يمناك تحت يسراك (فَذَٰنِكَ) مخففا مثنى ذاك ومشددا مكى وأبو عمرو مثنى ذلك فإحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (بُرْهَٰنَانِ) حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ) أى

أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَٰسِقِينَ) كافرين (قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ) حفص (رِدْءًا) حال أى عونا يقال ردأته أعنته وبلا همز مدنى (يُصَدِّقُنِى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقاً لى وغيرهما بالجزم جواب لأرسله ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان فى مظان الجدال إن احتاج إليه ليثبت دعواه لا أن يقول له صدقت ألا ترى إلى قوله هو أفصح منى لسانا فأرسله وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) سنقويك به إذ اليد تشد بشدة العضد لأنه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الأعداء (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ) الباء تتعلق بيصلون أى لا يصلون إليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه (أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَٰلِبُونَ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ) واضحات (قَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى) أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عنـد الله (وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ماحدثنا بكونه فيهم (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبىء الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى: أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن. والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران . قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة

الآخر ، ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى) قصد بنفى علمه بإله غيره نفى وجوده أى ما لكم من إله غيرى أو هو على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده (فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ) أى اطبخ لى الآجر واتخذه وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة إذ أمر هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا) قصرا عاليا (لَّعَلِّى أَطَّلِعُ) أى أصعد والاطلاع الصعود (إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ) أى موسى (مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ) فى دعواه أن له إلها وأنه أرسله إلينا رسولا وقد تناقض المخذول فإنه قال ما علمت لكم من إله غيرى ثم أظهر حاجته إلى هامان وأثبت لموسى إلها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبّس وقال لعلى أطلع إلى إله موسى روى أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا هلك (وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ) تعظم (فِى ٱلْأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أى بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه: الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار. وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) يَرجعون نافع وحمزة وعلى وخلف ويعقوب (فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ) من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وإن كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن فى البحر (فَٱنظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ) وحذر قومك فإنك منصور عليهم (وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً) قادة (يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ) أى عمل أهل النار قال ابن عطاء: نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد. وفيه دلالة خلق أفعال العباد (وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ) من العذاب (وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً) ألزمناهم طردا وإبعادا عن الرحمة وقيل هو

مأبعدتهم من لعن الناس إياهم بعدهم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذى يبصر به الأجساد. يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وَهُدًى) وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون فى ضلال (وَرَحْمَةً) لمن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَمَا كُنتَ) يامحمد (بِجَانِبِ) الجبل (الْغَرْبِىِّ) وهو المكان الواقع فى شق الغرب وهو الذى وقع فيه ميقات موسى (إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ) أى كلمناه وقربناه نجيا (وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّٰهِدِينَ) من جملة الشاهدين للوحى إليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى فى ميقاته (وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا) بعد موسى (قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أى طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحى الذى هو إطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا) مقيما (فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ) وهم شعيب والمؤمنون به (تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه وتتلو فى موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير فى ثاويا (وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَٰكِن) أعلمناك وأرسلناك (رَّحْمَةً) للرحمة (مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدى نسبت الأعمال إلى الأيدى وإن كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر على الأقل (فَيَقُولُوا) عند العذاب (رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعنى أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله: لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . * فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه * قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال ولكن العقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فأدخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَآ أُوتِىَ) هلا أعطى (مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) من قبل القرآن (قَالُوا) فى موسى وهرون (سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا) [ساحران تظاهرا] تعاونا سحران كوفى أى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر (وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ) بكل واحد منهما (كَٰفِرُونَ) وقيل إن أهل مكة لما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد: ساحران تظاهرا أو فى التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه فى كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك: ساحران تظاهرا (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أَتَّبِعْهُ) جواب فأتوا (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى أنهما سحران (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ) فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ) أى لا أحد أضل ممن اتبع فى الدين هواه

وبغير هدى حال أى مخذولا يخلى بينه وبين هواه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا (الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِ) من قبل القرآن وخبر الذين (هُم بِهِ) بالقرآن (يُؤْمِنُونَ) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب (وَإِذَا يُتْلَىٰ) القرآن (عَلَيْهِمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ) من قبل نزول القرآن (مُسْلِمِينَ) كائنين على دين الإسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام، وقوله إنه تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به، وقوله إنا بيان لقوله آمنا لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا بأن إيمانهم به متقادم (أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى (وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) يزكون (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الباطل أو الشتم من المشركين (أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا) للاغين (لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ) أمان منا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله (لَا نَبْتَغِى الْجَٰهِلِينَ) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) لا تقدر أن تدخل فى الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات. قال الزجاج: أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بنى هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى أنا قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة (وَقَالُوٓا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا) قالت قريش نحن نعلم

على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم فى الحرم الذى أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى إليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ) وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل أى تجلب وتجمع (ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شىء (رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا) هو مصدر لأن معنى يجبى إليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) متعلق بمن لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لايعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب بأهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وإيصال الفعل أى فى معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها فى الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لَمْ تُسْكَن) حال والعامل فيها الإشارة (مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) من السكنى أى لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة (وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ) لتلك المساكن من ساكنيها أى لايملك التصرف فيها غيرنا (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ) فى كل وقت (حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا) وبكسر الهمزة حمزة وعلى أى فى القرية التى هى أمها أى أصلها ومعظمها (رَسُولًا) لإلزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الأرض حتى يبعث فى أم القرى ـ يعنى مكة لأن الأرض دحيت من تحتها ـ رسولا ، يعنى محمداً عليه السلام (يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا) أى القرآن (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ) أى وما أهلكناهم للانتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار إليهم (وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا) وأى

شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وَمَا عِندَ اللَّهِ) وهو ثوابه (خَيْرٌ) في نفسه من ذلك (وَأَبْقَىٰ) لأنه دائم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن الباقي خير من الفاني وخيّر أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا) أي الجنة فلا شيء أحسن منها لأنها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فَهُوَ لَاقِيهِ) أي رائيه ومدركه ومصيبه (كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فإنهم لمحضرون نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل لعنه الله أو في علي وحمزة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع ثم هو عليّ كما قيل عضّد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) بناء على زعمهم (الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليه مقتضاه وثبت وهو قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ) مبتدأ (الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) أي دعوناهم إلى الشرك وسولنا لهم الغي صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر (أَغْوَيْنَاهُمْ) والكاف في (كَمَا غَوَيْنَا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا فلا فرق إذاً بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ)

منهم ومما اختاروه من الكفر (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (وَقِيلَ)للمشركين (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أى الأصنام لتخلصكم من العذاب (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) فلم يجيبوهم (وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) وجواب لو محذوف أى لما رأوا العذاب (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) الذين أرسلوا إليكم حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم مايقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) لايسأل بعضهم بعضاً عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون فى العجز عن الجواب (فَأَمَّا مَن تَابَ) من الشرك (وَءَامَنَ) بربه وبما جاء من عنده (وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) أى فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب للكافرين على الإيمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. يعنى نفسه أو أبامسعود (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) وفيه دلالة خلق الأفعال، ويوقف على (وَيَخْتَارُ) أى وربك يخلق مايشاء وربك يختار مايشاء (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) أى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم الخيرة لأنه بيان لقوله ويختار إذ المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفى اختيار الخلق تقريراً لاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال. والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سُبْحَٰنَ اللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أى الله برىء من إشراكهم وهو منزه عن أن يكون لأحد عليه اختيار (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ) تضمر (صُدُورُهُمْ) من عداوة رسول الله ﷺ وحسده (وَمَا يُعْلِنُونَ) من

مطاعنهم فيــه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وَهُوَ اللهُ) وهو المستأثر بالإلٰهية المختص بها (لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لاقبلة إلا هى (لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَىٰ) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن. الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيــل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وَلَهُ الْحُكْمُ) القضاء بين عبــاده (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالبعث والنشور . وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أريتم محذوف الهمزة على (إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) والمعنى أخبرونى من يقدر على هــذا (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيــه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) أى لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف والنشر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيــه (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن أن لا شىء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شىء أدخل فى مرضاته من توحيده (وَنَزَعْنَا) وأخرجنا (مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) يعنى نبيهم لأن الأنبياء للأمم شهداء عليهم يشهدون بمــا كانوا عليه (فَقُلْنَا) للأمم (هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فَعَلِمُوٓا) حينئذ (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) التوحيد (وَضَلَّ عَنْهُم) وغاب عنهم غيبة الشىء الضائع (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من ألوهية غير الله والشفاعة لهم (إِنَّ قَٰرُونَ) لا ينصرف للعجمة

والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف (كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ) كان إسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة ولـكنه نافق كما نافق السامرى (فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ) من البغى وهو الظلم قيل ملـكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم أو من البغى الـكبر تـكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم فى الثياب شبرا (وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ) ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا وإن واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت إن والمفاتح جمع مفتح بالـكسر وهو مايفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والأصوب أنها المقاليد (لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الـكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لـكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود (أُوْلِى الْقُوَّةِ) الشدة (إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ) أى المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل إذ نصب بتنوء (لَا تَفْرَحْ) لاتبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا إلا من رضى بهـا واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) البطرين بالمال (وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ اللَّهُ) من الغنى والثروة (الدَّارَ الْأَخِرَةَ) بأن تتصدق على الفقراء وتصـل الرحم وتصرف إلى أبواب الخير (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منهـا (وَأَحْسِن) إلى عباد الله (كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام كما أحسن إليك بالإنعام (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ) بالظلم والبغى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ) أى المال (عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ) أى على استحقاق لـما فىّ من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الـكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العلم بوجوه المـكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليـه فى جميع الأفعال والأقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولم يفتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلـكه يوما كما خسف بقارون لما ادّعى

لنفسه فضلا (أَوَ لَمْ يَعْلَمْ) قارون (أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه فى التوراة كأنه قيل أو لم يعلم فى جملة ما عنده من العلم هــذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه. ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هــذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يسئلون أو لا يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أو لا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) فى الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وفى زينته حال من فاعل خرج أى متزينا (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا) قيل كانوا مسلمين وإنما تمنوا على سبيل الرغبة فى اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ) قالوه غبطة والغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. وقيــل لرسول الله ﷺ هل تضر الغبطة قال لا إلا كما يضر العضاه الخبط (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطى قارون (وَيْلَكُمْ) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى وفى التبيان فى إعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى ألزمكم الله ويلكم (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى ثواب الله خير (إِلَّا الصَّٰبِرُونَ) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف

درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار أوطستا من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يابنى إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب إن كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يابنى إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لايلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى لواسترحمنى مرة لرحمته فقال بعض بنى إسرائيل إنما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه (فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ) جماعة (يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ) يمنعونه من عذاب الله (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع (وَأَصْبَحَ) وصار (الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ) منزلته من الدنيا (بِالْأَمْسِ) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) وى منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وى كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم بإظهار ندامته يعنى أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ماأوتى قارون وتندموا (لَوْلَا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا) بصرف ما كنا نتمناه بالأمس (لَخَسَفَ بِنَا) [لَخُسِفَ] وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) أى تندموا ثم قالوا كأنه لايفلح الكافرون (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نَجْعَلُهَا) خبر تلك والدار نعتها

(لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (وَلَا فَسَادًا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض (وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا) مر في النمل (وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين (إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) إلا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزى السيئة إلا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لَرَادُّكَ) بعد الموت (إِلَىٰ مَعَادٍ) أيّ معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد إلى معاده قال (قُل) للمشركين (رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ) يعني نفسه وما له من الثواب في معاده (وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يعني المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر أي يعلم (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ) يوحى (إِلَيْكَ الْكِتَابُ) القرآن (إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) هو محمول على المعنى أي وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك أو إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك الكتاب (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ) معينا لهم على دينهم (وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ) هو على الجمع أي لا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرآن (بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ) الآيات أي بعد وقت إنزاله

وإذ يضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ) إلى توحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد أهل دينه ولأن العصمة لاتمنع النهي والوقف على آخر لازم لأنه لو وصل لصار (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) صفة لإلها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) أي إلا إياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء إذا أريد به وجه الله (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء في خلقه (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب ، والله أعلم .

﴿ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولايصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فإذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لااليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هوالخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جزعوا من أذى المشركين أوفى عمار بن ياسر وكان يعذب

فى الله (وَلَقَدْ فَتَنَّا) اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بلايفتنون (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) بأنواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد مايصرفه ذلك عن دينه (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) بالامتحان (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى الإيمان (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه فى أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر فى أيام الرخاء وصبر فى أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر فى أيام الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكاذبين (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أى الشرك والمعاصى (أَن يَسْبِقُونَا) أى يفوتونا يعنى أن الجزاء يلحقهم لامحالة واشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد مفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر انه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه وقالوا الأول فى المؤمنين وهذا فى الكافرين (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ما فى موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أى بئس حكما يحكمونه حكمهم (مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ) أى يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) المضروب للثواب والعقاب (لَآتٍ) لا محالة فليبادر للعمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق أمله (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقوله عباده (الْعَلِيمُ) بما يفعلونه فلا يفوته شىء ما وقال الزجاج من للشرط وترتفع بالابتداء وجواب الشرط فإن أجل الله لآت كقولك إن كان زيد فى الدار فقد صدق الوعد (وَمَن جَاهَدَ) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) لأن منفعة ذلك ترجع إليها (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمر ونهى رحمة لعباده (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أى الشرك والمعاصى بالإيمان والتوبة (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى أحسن جزاء أعمالهم فى الإسلام (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه

أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها، وقولك : وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ووصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أى فعلا ذاحسن أو ماهو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز أن يجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذارأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك إذاحملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لابد من اضمار القول معناه وقلنا (وَإِن جَـٰهَدَاكَ) أيها الإنسان (لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أى لاعلم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال لتشرك بى شيئا لايصح أن يكون إلها (فَلَا تُطِعْهُمَآ) فى ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم حق جزائكم وفى ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة فى الدين روى أن سعد بن أبى وقاص لما أسلم نذرت أمه أن لاتأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا إلى النبى ﷺ فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الأحقاف (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ)هو مبتدأ والخبر (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّـٰلِحِينَ) فى جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الأنبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين أو فى مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت فى المنافقين (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ) أى إذا مسه أذى من الكفار (جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) أى جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ)أى وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا إنا كنا معكم أى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطونا نصيبنا من الغنم (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَـٰلَمِينَ) أى هو أعلم بما فى صدور العالمين من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك مافى صدور هؤلاء من النفاق وما فى صدور المؤمنين من الإخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ) أى حالهما ظاهرة

فقد من يملك الجزاء عليهما (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ) أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أى إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فإن كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الإثم (وَمَاهُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفى قلوبهم نية الخلاف (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أى أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم (وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) أى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يختلقون من الأكاذيب والأباطيل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولأن القصة سيقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض وجيء بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أوظلام ليل أو نحوهما (وَهُمْ ظَٰلِمُونَ) أنفسهم بالكفر (فَأَنجَيْنَٰهُ) أى نوحا (وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ) وكانوا ثمانية وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم (وَجَعَلْنَٰهَآ) أى السفينة أو الحادثة أو القصة (ءَايَةً) عبرة وعظة (لِّلْعَٰلَمِينَ) يتعظون بها (وَإِبْرَٰهِيمَ) نصب بإضمار اذكر وأبدل عنه (إِذْ قَالَ) بدل

لاشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أى وأرسلنا إبراهيم أو ظرف لأرسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعى وأبو حنيفة رضى الله عنهما : وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) من الكفر (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أصناما (وَتَخْلُقُونَ) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلمى رضى الله عنهما وتُخَلِّقُون من خلق بمعنى التكثير فى خلق (إِفْكًا) وقرىء أَفِكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والإفك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ) كله فإنه هو الرازق وحده لا يرزق غيره (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) اى وإن تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبكم فإن الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وماضروهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الأنبياء أسوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالأمم قبله قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها فإن قلت فالجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن إيراد قصة إبراهيم عليه السلام ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ وأن تكون مسلاة له بأن أباه إبراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض قوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يامعشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه

وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه(أَوَ لَمْ يَرَوْا) وبالتاء كوفى غير حفص (كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ) أى قد رأوا ذلك وعلموه وقوله (ثُمَّ يُعِيدُهُ) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (إِنَّ ذَٰلِكَ) أى الإعادة (عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) سهل (قُلْ) يا محمد وإن كان من كلام إبراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) أى البعث وبالمد[1] حيث كان مكى وأبو عمرو وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود غير أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لأن الكلام معهم وقع فى الإعادة فلما قررهم فى الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا لم يعجزه الإبداء وجب أن لايعجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذلك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قادر (يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) بالخذلان (وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردون وترجعون (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) ربكم أى لاتفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (فِي الْأَرْضِ) الفسيحة (وَلَا فِي السَّمَاءِ) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ) يتولى أموركم (وَلَا نَصِيرٍ) ولاناصر يمنعكم من عذابى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي) جنتى (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) قوله وبالمد أى مد الشين بعد تحريكها .

أليم فما كان جواب قومه) قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها (إن فى ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى إبراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها (وقال) إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) حمزة وحفص، مودة بينكم مدنى وشامى وحماد ويحيى وخلف مودةُ بينكم مكى وبصرى وعلى ، مودةٌ بينكم الشمنى والبرجمى، النصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هواه وما كافة أى اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أى مودة بينكم كقوله: ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله. وفى الرفع وجهان أن يكون خبر الإن وما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هى مودة بينكم والمعنى ان الأوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نوّن مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الأصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الأتباع القادة (ومأواكم النار) أى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) ثمة (فآمن له) لإبراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخى إبراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) إبراهيم (إنى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين وهى من برية الشأم ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها إبراهيم (إلى ربى) إلى حيث أمرنى ربى بالهجرة إليه (إنه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بما هو خير (ووهبنا له إسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذريته النبوة) أى فى ذرية إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والإنجيل والزبور

والفرقان (وَءَاتَيْنَٰهُ) أى إبراهيم (أَجْرَهُ) الثناء الحسن والصلاة عليه إلى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (فِى الدُّنْيَا) فيه دليل على أنه تعالى قد يعطى الأجر فى الدنيا (وَإِنَّهُ فِى الْأَخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ) أى من أهل الجنة عن الحسن (وَلُوطًا) أى واذكر لوطا (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة (مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد إلا مادام فيه أهله (الْمُنكَرَ) أى المضارطة والمجامعة والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ) فيما تعدنا من نزول العذاب. إنكم أئنكم شامى وحفص وهو الموجود فى الإمام وكل واحدة بهمزتين كوفى غير حفص. آينكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو أينكم أينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قَالَ رَبِّ انصُرْنِى) بإنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش (وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ) بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعنى إسحق ويعقوب (قَالُوٓا إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ) إضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام قالوا إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَٰلِمِينَ) أى الظلم قد استمر منهم فى الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا) أى أتهلكونهم وفيهم من هو برىء من الظلم وهو لوط (قَالُوا) أى الملائكة (نَحْنُ أَعْلَمُ) منك (بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) لننجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ) الباقين فى العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله (وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا

سِيءَ بِهِمْ)ساءه مجيئهم وأن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومهم أن يتناولوهم بالفجور سيء بهم[1] مدنى وشامى وعلى (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع إذا كان مطيقا والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وَأَهْلَكَ) الكاف فى محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أى وننجى أهلك (إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ) منزّلون شامى (عَلَىٰ أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً) عذاباً (مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ) من القرية (ءَايَةً بَيِّنَةً) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض (لِّقَوْمٍ) يتعلق بتركنا أو ببينة (يَعْقِلُونَ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ) وأرسلنا إلى مدين (أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ) وافعلوا ما ترجون به الثواب فى العاقبة أو خافوه (وَلاَ تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) قاصدين الفساد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت بها (فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ) فى بلدهم وأرضهم (جَـٰثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (وَعَاداً) منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه فى معنى الإهلاك (وَثَمُودَاْ) حمزة وحفص وسهل ويعقوب (وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم) ذلك يعنى ماوصفه من إهلاكهم (مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ) من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ) من الكفر والمعاصى (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) السبيل الذى أمروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسله (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ) أى وأهلكناهم (وَلَقَدْ جَآءَهُم

---

(١) قوله: سيء بهم أى بإشمام كسرة السين الضمة.

موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغيرذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفروالطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الأوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما تقي البيوت فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة، جمل حاتم اتخذت حالا (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن من بيتها . عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (إن الله يعلم ما يدعون) بالياء بصري وعاصم وبالتاء غيرهما غير الأعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر أي يدعونه يعني يعبدونه (من دونه من شيء) من في من شيء للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء إلا بحكمة وتدبير (وتلك الأمثال) الأمثال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للناس) كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) به وبأسمائه وصفاته أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات

إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية فقال «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» ودلت الآية على فضل العلم على العقل (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي محقا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها (اتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ) تقربا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه (وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ) أي دم على إقامة الصلاة (إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا (وَالْمُنكَرِ) هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل يوما لرسول الله ﷺ إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال « إن صلاته لتردعه» روى أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته من الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له الآن لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني ولأن ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا وما ذاك يارسول الله قال «ذكر الله» وسئل أي الأعمال أفضل قال «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله» أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من تلقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن للثواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال: ادفع بالتي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلتهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ من جنس المجادلة بالأحسن. وقال عليه السلام «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم» ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب إلى من قبلك أنزلنا إليك الكتاب ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هم عبد الله بن سلام ومن معه ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي من أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ خص اليمين لأن الكتابة غالبا تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا ﴿إِذًا﴾ أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نعته في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لإنكارهم نبوته. وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي ﷺ حتى كتب وقرأ ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الواضحة

﴿ إِلَّا الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أى المتوغلون فى الظلم ﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ آية بغير ألف مكى وكوفى غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ينزل أيتها شاء ولست أملك شيئا منها ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أى أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أى فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر ﴿ لَرَحْمَةً ﴾ لنعمة عظيمة ﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ وتذكرة ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ دون المتعنتين ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ أى شاهدا بصدق ما أدعيه من الرسالة وأنزال القرآن على وبتكذيبكم ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحق وباطلكم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ منكم وهو ما يعبدون من دون الله ﴿ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ ﴾ وآياته ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وروى أن كعب ابن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية ﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى ﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ عاجلا ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم ﴾ العذاب عاجلا أو ليأتينهم العذاب فى الأجل المسمى ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بوقت مجيئه ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أى ستحيط بهم ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ لقوله تعالى: من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. ولا وقف على بالكافرين لأن يوم ظرف إحاطة النار بهم ﴿ وَيَقُولُ ﴾ بالياء كوفى ونافع وقوله ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى جزاء أعمالكم ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾ بسكون الياء بصرى

وكوفى غير عاصم (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ) وبفتح الياء شامى يعنى أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الدينى من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين وعن رسول الله ﷺ «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة» (فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ)وبالياء يعقوب وتقديره فإياى اعبدوا فاعبدونى وجيء بالفاء فى فاعبدون لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضى واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنها إذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا) لننزلنهم من الجنة علالى لنثوينهم كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للإقامة وثوى غير متعد فإذا تعدى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم أولنؤوينهم أوحذف الجار وإيصال الفعل أوتشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ) ويوقف على العاملين على أن (ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى والوصل أجود ليكون الذين نعتا للعاملين (وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله ﷺ من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت (وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ) أى وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أم لم تعقل (لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ)أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم

وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل
وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان
قوتا إلا ابن آدم والفأرة والنملة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لقولكم نخشى الفقر والعيلة (الْعَلِيمُ)
بما في ضمائركم (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أى
ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والأرض على كبرهما وسعتهما ومن الذى سخر
الشمس والقمر (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم
بهذا كله (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) أى لمن يشاء فوضع الضمير
موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله. قدر الرزق وقتره بمعنى
إذا ضيقه (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يعلم مايصلح العباد ومايفسدهم فى الحديث «إن من عبادى
من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر
ولو أغنيته لأفسده ذلك» (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ
مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) أى هم مقرون بذلك (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على إنزاله الماء لإحياء الأرض أو
على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارا
عاطلا كإقرار المشركين (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما
نريهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات أولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وَمَا هَٰذِهِ
الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ) أى وما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما
يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه إزدراء بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهى
لا تزن عنده جناح بعوضة، واللهو ما يتلذذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ) أى الحياة أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها
حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهى الحياة لما فى بناء
فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على
معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ويوقف على الحيوان لأن التقدير (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)
حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا
بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ) هو متصل بمحذوف دل عليه

ماوصفهم به ـ شرح من أمرهم معناه هم على ماوصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا فى الفلك (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر (فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ) وأمنوا (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) عادوا إلى حال الشرك (لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ) من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى (وَلِيَتَمَتَّعُوا) فيمن قرأها بالكسر أى لكى يكفروا وكى يتمتعوا والمعنى يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الأمر متثبتا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وتحقيقه فى أصول الفقه يقف عليه (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء تدبيرهم عند تدميرهم (أَوَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة (أَنَّا جَعَلْنَا) بلدهم (حَرَمًا) ممنوعا مصونا (ءَامِنًا) يأمن داخله (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) يستلبون قتلا وسبيا (أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ) أى أبالشيطان والأصنام (وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) أى بمحمد عليه السلام والإسلام (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا) بأن جعل له شريكا (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب (لَمَّا جَآءَهُ) أى لم يتلعثموا فى تكذيبه حين سمعوه (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ) هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفى صار إيجابا يعنى ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حين اجترءوا مثل هذه الجراءة وذكر الثوى فى مقابلة لنبوئنهم يؤيد قراءة الثانى (وَالَّذِينَ جَـٰهَدُوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فِينَا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) سبْلنا أبو عمرو أى لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا وعن الدارانى : والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى مالم يعلموا فقد قيل: من عمل بما علم وفق لما لا يعلم. وقيل: إن الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو لتقصيرنا فيما نعلم. وعن فضيل: والذين

جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به . وعن سهل: والذين جاهدوا فى إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة. وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا فى التوبة لنهدينهم سبل الإخلاص أو جاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والأنس بنا أو جاهدوا فى طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول إلينا (وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) بالنصرة والمونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى .

﴿سورة الروم مكية وهى ستون أو تسع وخمسون آية والاختلاف فى بضع سنين﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ) أى غلبت فارس الروم (فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ) أى فى أقرب أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه أى فى أدنى أرضهم إلى عدوهم (وَهُم) أى الروم (مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ) أى غلبة فارس إياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول (سَيَغْلِبُونَ) فارس ولا وقف عليه لتعلق (فِى بِضْعِ سِنِينَ) به وهو مابين الثلاث إلى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله ﷺ والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبىّ بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبوبكر رسول الله ﷺ فقال عليه السلام «زد فى الخطر وأبعد فى الأجل» فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبىّ من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبىّ فقال عليه السلام «تصدق

به» وهذه آية بينة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس (وَيَوْمَئِذٍ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) وتغلبيه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أعدائه (الرَّحِيمُ) العاطف على أوليائه (وَعْدَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لأن قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) بنصر الروم على فارس (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَعْلَمُونَ) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحداً من جملة ظواهرها (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الأولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يثبتوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الأمر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال

وأنه لابد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة فى التدبير وأنه لابد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت (مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذاالقول وقيل معناه فيعلموا لأن فى الكلام دليلا عليه (إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) أى ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهى إليه وهوقيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألاترى إلى قوله: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاوأنكم إلينا لاترجعون. كيف سمى تركهم غيرراجعين إليه عبثا (وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث والجزاء (لَكَـٰفِرُونَ) لجاحدون وقال الزجاج: أىلكافرون بلقاء ربهم (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) هو تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ) وحرثوها (وَعَمَرُوهَآ) أى المدمرون (أَكْثَرَ) صفة مصدر محذوف ومامصدرية فى (مِمَّا عَمَرُوهَا) أى من عمارة أهل مكة (وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ) وتقف عليها لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فأهلكوا (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فما كان تدميره إياهم ظلما لهم (وَلَـٰكِن كَانُوآ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا مااوجب تدميرهم (ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ) بالنصب شامى وكوفى (الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا السُّوأَىٰٓ) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهروهوالذين أساءوا موضع المضمر أىالعقوبة التى هىأسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين(أَن كَذَّبُوا)لأن كذبوا أوبأن وهويدل على أن معنى أساءوا كفروا (بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ) يعنى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ) ينشئهم (ثُمَّ يُعِيدُهُ) يحييهمبعد الموت (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)وبالياء أبوعمرو وسهل (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ)ييأس ويتحير يقال ناظرته

فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج (الْمُجْرِمُونَ) المشركون (وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ) من الذين عبدوهم من دون الله. وكتب (شُفَعَؤُا) فى المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمؤا بنى إسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالألف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَٰفِرِينَ) أى يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة مابعده عليه حيث قال (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ) أى بستان وهى الجنة والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه (يُحْبَرُونَ) يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أى البعث (فَأُولَٰئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) مقيمون لايغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله: وماهم بخارجين منها .لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر مايوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد فقال (فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ) والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه عما لا يليق به أوصلوا لله (حِينَ تُمْسُونَ) صلاة المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر (وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه، وفى السموات حال من الحمد (وَعَشِيًّا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون، وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر أظهر أى دخل فى وقت الظهيرة والقول الأكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة (يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن، والميت بالتخفيف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد وبالتشديد غيرهم (وَيُحْىِ الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها (وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى محل النصب بتخرجون

والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان فى قدرة من هو قادر على إخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «من قرأ فسبحان الله حين تمسون إلى الثلاث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبره» قال عليه السلام «من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته» (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ) ومن علامات ربوبيته وقدرته (أَنْ خَلَقَكُم) أى أباكم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ) أى آدم وذريته (تَنتَشِرُونَ) تتصرفون فيما فيه معاشكم وإذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الأرض (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن إليه إذا مال إليه (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) أى جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن قوام الدنيا بوجود التناسل (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى اللغات أو أجناس النطق وأشكاله (وَأَلْوَٰنِكُمْ) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها إلا الله متفاوتون (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ) [للعالَمين] جمع عالَم وبكسر اللام حفص جمع عالِم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ) هذا من باب اللف، وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما، والجمهور على الأول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى مادل عليه القرآن (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ) أى يسمعون سماع تدبر بآذان واعية (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ) فى يريكم وجهان اضمار أن كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى أن تسمع أو سماعك (خَوْفًا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وَطَمَعًا) فى الغيث أو خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أى إرادة خوف وإرادة طمع أو على الحال أى خائفين وطامعين (وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ)وبالتخفيف مكى وبصرى (مَآءً) مطرا (فَيُحْيِى بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتفكرون بعقولهم (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَن تَقُومَ) تثبت بلا عمد (ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) أى بإقامته وتدبيره وحكمته (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ)للبعث (دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)من قبوركم هذا كقوله يريكم فى إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة ياأهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول ياأهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وإذا الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ومن الأرض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك (وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ)منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ) أى ينشئهم (ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) للبعث (وَهُوَ) أى البعث (أَهْوَنُ) أيسر (عَلَيْهِ) عندكم لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء فلم أنكرتم الإعادة، وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله: هو علىَّ هين. لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما: الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى كبير والإعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء أو هو أهون على الخلق من الإنشاء لأن قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا إلى تكميل

خلقهم (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى الوصف الأعلى الذى ليس لغيره، وقدعرف به ووصف فى السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لايعجزعن شىء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أى القاهر لكل مقدور (الْحَكِيمُ) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما : المثل الأعلى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير. وعن مجاهد: هو قول لاإله إلا الله . ومعناه وله الوصف الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ) فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شىء منكم وهى أنفسكم (هَل لَّكُم) معاشر الأحرار (مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم) عبيدكم ومن للتبعيض (مِّن شُرَكَاءَ) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنتُمْ) معاشر الأحرار والعبيد (فِيهِ) فى ذلك الرزق (سَوَاءٌ) من غير تفصلة بين حر وعبد يحكم مماليككم فى أموالكم كحكمكم (تَخَافُونَهُمْ) حال من ضمير الفاعل فى سواء أى متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته فى المال والمعنى تخافون معاشرة السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون إذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) يعنى كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كَذَٰلِكَ) موضع الكاف نصب أى مثل هذا التفصيل (نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ) نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون فى ضرب الأمثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم. (أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين (فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أى أضله الله تعالى (وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) من العذاب (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) فقوم وجهك له وعدل له غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه (حَنِيفًا) حال

من الأمور أو من الدين (فِطْرَتَ اللَّهِ) أى الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لاتبديل لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله عليه السلام «كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى» وقوله عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه » وقال الزجاج: معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ماجاء فى الحديث «إن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم» فقال وإذ أخذ ربك إلى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها. فمعنى فطرة الله دين الله (الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى خلق (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناه لاتبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وهو قوله (ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى المستقيم (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) حقيقة ذلك (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) راجعين إليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا المضمر أو من قوله فأقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لأمته فكأنه قال فأقيموا وجوهكم منيبين إليه أو التقدير كونوا منيبين دليله قوله ولاتكونوا (وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) أى أدوها فى أوقاتها (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ممن يشرك به غيره فى العبادة (مِنَ الَّذِينَ) بدل من المشركين بإعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تركوا دين الإسلام (وَكَانُوا شِيَعًا فرقا كل واحدة تشايع إمامها الذى أضلها (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً) أى خلاصا من الشدة (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) فى العبادة (لِيَكْفُرُوا) هذه لام كى وقيل لام الأمر للوعيد (بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ) من النعم (فَتَمَتَّعُوا) بكفركم قليلا أمر وعيد (فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ) وبال تمتعكم (أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا) حجة (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال : فهو يشهد بشركهم وبصحته (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) ما مصدرية أى بكونهم بالله يشركون أو موصولة ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذاسلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) أى نعمة من مطر أوسعة أوصحة (فَرِحُوا بِهَا) بطروا بسببها وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بسبب شؤم معاصيهم (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) من الرحمة وإذا لمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهمافى التعقيب (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لايرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ) أعط قريبك (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا (ذَٰلِكَ) أى إيتاء حقوقهم(خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم إياه خالصا (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِى أَمْوَٰلِ النَّاسِ) يريد وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربوا فى أموالهم (فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ) فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربوا عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولارياء ولا سمعة (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ذووالإضعاف من الحسنات ونظير المضعف القوى والموسر لذى القوةواليسار. أتيتم من ربا بلامد مكى أى وماغشيتموه من إعطاء ربا لتربوا مدنى أى لتزيدوا

فى أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لأنه لابد له من ضمير يرجع إلى ما الموصولة وقال الزجاج فى قوله فأولئك هم المضعفون أى فأهلها هم المضعفون أى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار إلى عجز آلهتهم فقال (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ) مبتدأ وخبر (ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) أى هو المختص بالخلق والرزق والإماتة والإحياء (هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله (مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم) أى من الخلق والرزق والإماتة والإحياء (مِّن شَىْءٍ) أى شيئاً من تلك الأفعال فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) نحو القحط وقلة الأمطار والريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شىء (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم. (لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا) أى ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها فى الآخرة وبالنون عن قنبل (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عما هم عليه من المعاصى ثم أكد تسبيب المعاصى لغضب الله ونكاله بقوله (قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ) هو مصدر بمعنى الرد (مِنَ اللَّهِ) يتعلق بيأتى والمعنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجىء به ولا راد له من جهته (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يتصدعون أى يتفرقون ثم أشار إلى غناه عنهم فقال (مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أى وبال كفره (وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) أى يسوون لأنفسهم مايسويه لنفسه الذى يمهد لنفسه فراشه ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجعه ماينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى أنه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على أن ضرر

الـكفر لا يعود إلا على الـكافر ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه (لِيَجْزِىَ) متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن (مِن فَضْلِهِ) أى عطائه وقوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْـكَٰفِرِينَ) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ) أى ومن آيات قدرته (أَن يُرْسِلَ الرِّيَٰحَ) هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً» وقد عدد الفوائد فى إرسالها فقال (مُبَشِّرَٰتٍ) أى أرسلها للبشارة بالغيث (وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ) ولإذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم (وَلِتَجْرِىَ الْفُلْكُ) فى البحر عند هبوبها (بِأَمْرِهِ) أى بتدبيره أو بتكوينه كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا الآية (وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) يريد تجارة البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ولتشكروا نعمة الله فيها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ) أى فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الإضمار قوله (فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أى كفروا بالإهلاك فى الدنيا (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) أى وكان نصر المؤمنين حقا علينا بإنجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبدئ علينا نصر المؤمنين والأول أصح (اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ) الريح مكى (فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ) أى السحاب (فِى السَّمَآءِ) أى فى سمت السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء (كَيْفَ يَشَآءُ) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) قطعا جمع كسفة أى يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة. كِسْفا يزيد وابن ذكوان (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ) فى التارتين جميعا (مِنْ خِلَٰلِهِ) وسطه (فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ) يريد إصابة بلادهم وأراضيهم (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم) المطر (مِّن قَبْلِهِ) كرر للتأكيد كقوله: فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (لَمُبْلِسِينَ) آيسين (فَانظُرْ إِلَىٰ

ءاثر) شامى وكوفى غير أبى بكر . وغيرهم أثر (رَحْمَتِ اللهِ) أى المطر (كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ) بالنبات وأنواع الثمار (بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ) أى الله (لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ) يعنى أن ذلك القادر الذى يحيي الأرض بعد موتها هو الذى يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا) أى الدبور (فَرَأَوْهُ) أى أثر رحمة الله لأن رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمى به ماينبت (مُصْفَرًّا) بعد إخضراره وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأن السحاب الأصفر لايمطر واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ، وسد مسد جوابى القسم والشرط (لَّظَلُّوا) ومعناه ليظلن (مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) ولا يَسْمَعُ الصم مكى (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) فإن قلت الأصم لايسمع مقبلا أو مدبرا فمافائدة هذا التخصيص قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة فإذا ولى لايسمع ولا يفهم بالإشارة (وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ) أى عمى القلوب ، وما أنت تهدى العمى حمزة (عَن ضَلَالَتِهِمْ) أى لايمكنك أن تهدى الأعمى إلى طريق قد ضل عنه بإشارة منك له إليه (إِن تُسْمِعُ) ماتسمع (إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ) منقادون لأوامر الله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ) من النطف كقوله من ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يعنى حال الشباب وبلوغ الأشد (ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) يعنى حال الشيخوخة والهرم (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بأحوالهم (الْقَدِيرُ) على تغييرهم وهذا الترديد

فى الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير . فتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله ﷺ من ضعف فأقرأنى من ضُعف (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) أى القيامة سميت بذلك لأنها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولأنها تقع بغتة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا (يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) يحلف الكافرون ولا وقف عليه لأن (مَا لَبِثُوا) فى القبور أو فى الدنيا (غَيْرَ سَاعَةٍ) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم فى شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب فى الدنيا ويقولون ماهى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فى علم الله المثبت فى اللوح أو فى حكم الله وقضائه (إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ) ردوا ماقالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم (فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ) فى الدنيا (لَا تَعْلَمُونَ) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه (فَيَوْمَئِذٍ لَّا ينفعُ) بالياء كوفى (الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (مَعْذِرَتُهُمْ) عذرهم (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) أى ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ومالا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من ءايات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله فى تلك الصفة (فَاصْبِرْ) على أذاهم أوعداوتهم (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصرتك على أعدائك وإظهار دين الإسلام على كل دين (حَقٌّ) لابد من إنجازه والوفاء به

﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أى لايحملنك هؤلاء الذين لايوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب أو لايحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم ضلال شاكون لايستبدع منهم ذلك ولا يستخفنْك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق للصواب .

﴿ سورة لقمان مكية وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازى (هُدًى وَرَحْمَةً) حالان من الآيات والعامل معنى الإشارة فى تلك حمزة بالرفع على أن تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو أوهى هدى ورحمة (لِّلْمُحْسِنِينَ) للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)ونظيره قول أوس:

الألمعىّ الذى يظن بك الظـ ... ـظن كأن قد رأى وقد سمعا

أو للذين يعملون جميع مايحسن ثم خص منهم القائمين بهـــذه الثلاثة لفضلها (أُوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى) مبتدأ وخبر (مِّن رَّبِّهِمْ) صفة لهدى (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) عطف عليه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ) نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى أخبار الأكاسرة من فارس ويقول إن محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث الأكاسرة فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن. واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى. ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير التى لاأصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبى ﷺ «مامن رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت» والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه أى يختارون حديث الباطل على حديث الحق وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى من. لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبيّن بالحديث والمراد

بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث «الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» أو للتبعيض كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه (لِيُضِلَّ) أى ليصد الناس عن الدخول فى الإسلام واستماع القرآن، ليضل مكى وأبو عمرو أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) عن دين الإسلام والقرآن (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به (وَيَتَّخِذَهَا) أى السبيل بالنصب كوفى غير أبى بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشترى (هُزُوًا) بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضم الزاى بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاى والهمزة (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) أى يهينهم ومن لإبهامه يقع على الواحد والجمع أى النضر وأمثاله (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الإصغاء إلى القرآن (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والأصل كأنه والضمير ضمير الشأن (كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ) ولا وقف عليه لأن (خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال من الضمير فى لهم (وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا) مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره إذ لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد، وحقا يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) الذى لا يغلبه شىء فيهين أعداءه بالعذاب المهين (ٱلْحَكِيمُ) بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ) جمع عماد (تَرَوْنَهَا) الضمير للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى ولا محل لها من الأعراب لأنها مستأنفة أو فى محل الجر صفة لعمد أى بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى وهى إمساكها بقدرته (وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (أَن تَمِيدَ بِكُمْ) لئلا تضطرب بكم (وَبَثَّ) ونشر (فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف (كَرِيمٍ) حسن (هَٰذَا) إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته (خَلْقُ ٱللَّهِ) أى مخلوقه (فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ) يعنى آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأرونى ماخلقته آلهتكم

حتى استوجبوا عندكم العبادة (بَلِ الظَّـٰلِمُونَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ) أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ الْحِكْمَةَ) وهو لقمان ابن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى إذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا فى بنى إسرائيل وقال عكرمة والشعبى كان نبيا والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهى الإصابة فى القول والعمل وقيل تتلمذ لألف نبى وتتلمذ له ألف نبى. وأن فى (أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) مفسرة والمعنى أى اشكر لله لأن إيتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال السرى السقطى : الشكر أن لا تعصى الله بنعمه. وقال الجنيد: أن لا ترى معه شريكا فى نعمه. وقيل هو الإقرار بالعجز عن الشكر والحاصل أن شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الأركان الطاعة ورؤية العجز فى الكل دليل قبول الكل (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن منفعته تعود إليه فهو يريد المزيد (وَمَن كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) غير محتاج إلى الشكر (حَمِيدٌ) حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد (وَإِذْ) أى واذكر إذ (قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِ) أنعم أو أشكم (وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ) بالإسكان مكى يابنى حفص بفتحه فى كل القرآن (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) أى حملته تهن وهنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا (وَفِصَـٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ) هو تفسير لوصينا أى وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق فى حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة: من صلى الصلوات

الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (إِلَيَّ الْمَصِيرُ) أى مصيرك إلىّ وحسابك على (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أراد بنفى العلم به نفيه أى لاتشرك بى ماليس بشىء يريد الأصنام (فَلَا تُطِعْهُمَا) فى الشرك (وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) صفة مصدر محذوف أى صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) أى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا وقال ابن عطاء: صاحب من ترى عليه أنوار خدمتى. (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) أى مرجعك ومرجعهما (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك يعنى إنا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لايطيعهما فى الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه (يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ) بالرفع مدنى والضمير للقصة وأنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال :

* كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهنة من الإساءة والإحسان أى إن كانت مثلا فى الصغر كحبة خردل (فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَاوَاتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ) أى فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أوحيث كانت فى العالم العلوى أوالسفلى والأكثر على أنها التى عليها الأرض وهى السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الأرض (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) يتوصل علمه إلى كل خفى (خَبِيرٌ) عالم بكنهه أولطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ) فى ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أوعلى ماأصابك من المحن فإنها تورث المنح (إِنَّ ذَٰلِكَ) الذى وصيتك به (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام أى أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الأمم (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أى ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى وهو بمعنى تصعّر والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه

والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا أو ولاتمش لأجل المرح والأشر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر (فَخُورٍ) من يعدد مناقبة تطاولا (وَاقْصِدْ) القصد التوسط بين العلو والتقصير (فِي مَشْيِكَ) أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لاتدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام «سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن» وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه كان إذا مشى أسرع فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ) وانقص منه أى اخفض صوتك (إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ) أى أوحشها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى صياح كل شىء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت فى غاية الكراهة يؤيده ماروى أنه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون جهور الصوت وإنما وحد صوت الحمير ولم يجمع لأنه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وَمَا فِي الْأَرْضِ) يعنى البحار والأنهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وَأَسْبَغَ) وأتم (عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ) مدنى وأبوعمرو وسهل وحفص . نعمة غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الإحسان (ظَاهِرَةً) بالمشاهدة (وَبَاطِنَةً) مالايعلم إلا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وماأشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام: إلهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس. وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس: الظاهرة ماسوى من خلقك والباطنة ماستر من عيوبك (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ) نزلت فى النضر بن الحرث وقد مر فى الحج (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَاوَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ)معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى فى حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ) عدى هنا بإلى، وفى بلى من أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه (وَهُوَ مُحْسِنٌ) فيما يعمل (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) تمسك وتعلق (بِالْعُرْوَةِ) هى مايعلق به الشىء (الْوُثْقَىٰ) تأنيث الأوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وَإِلَى اللهِ عَٰقِبَةُ الْأُمُورِ) أى هى صائرة إليه فيجازى عليها (وَمَن كَفَرَ) ولم يسلم وجهه لله (فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ) من حزن، يُحزِنك نافع من أحزن أى لا يهمنك كفر من كفر (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا) فنعاقبهم على أعمالهم (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) إن الله يعلم مافى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نُمَتِّعُهُمْ) زمانا (قَلِيلًا) بدنياهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) نلجئهم (إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشىء والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) إلزام لهم على إقرارهم بأن الذى خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه لم يتنبهوا (لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِىُّ) عن حمد الحامدين (الْحَمِيدُ) المستحق للحمد وإن لم يحمدوه. قال المشركون: إن هذا أى الوحى كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد بقوله (وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللهِ) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أى ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا

وقرىء يُمِدُّه وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى من ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبداً صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله: قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى. فإن قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف وإنما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهى جمع قلة على الكلم وهى جمع كثرة لأن معناه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء (حَكِيمٌ) لا يخرج من علمه وحكمته شىء فلا تنفد كلماته وحكمه (مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ) إلا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحده فحذف العلم به أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقول المشركين إنه لا بعث (بَصِيرٌ) بأعمالهم فيجازيهم (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ) يدخل ظلمة الليل فى ضوء النهار إذا أقبل الليل (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لمنافع العباد (كُلٌّ) أى كل واحد من الشمس والقمر (يَجْرِى) فى فلكه ويقطعه (إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى يوم القيامة أو إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء عراقى غير أبى بكر (مِن دُونِهِ الْبَٰطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو

الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ) وقرئ الفُلُك وكل فُعْل يجوز فيه فُعُل كما يجوز في كل فُعُل فعل (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ) بإحسانه ورحمته أو بالريح لأن الريح من نعم الله (لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ) عجائب قدرته في البحر إذا ركبتموها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على بلائه (شَكُورٍ) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن (وَإِذَا غَشِيَهُم) أي الكفار (مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ) الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ) أي باق على الإيمان والإخلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) أي بحقيقتها (إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ) غدار والختر أقبح الغدر (كَفُورٍ) لربه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) لا يقضى عنه شيئا والمعنى لا يجزى فيه فحذف (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لأن الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فأريد حسم أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك كذا في الكشاف (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والحساب والجزاء (حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بزينتها فإن نعمتها دانية ولذتها فانية (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) الشيطان أو الدنيا أو الأمل (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي وقت قيامها (وَيُنَزِّلُ) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره إن الله يثبت عنده علم الساعة وينزل (الْغَيْثَ) في إبانه

من غير تقديم ولا تأخير (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى وتام أم ناقص (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ) برة أو فاجرة (مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) أى أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لاأبرحها فترمى بهامرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها. روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال له ملك الموت قال كأنه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لاتعرف وإن أعملت حيلها مايختص بها ولا شىء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان معرفة ماعداهما أبعد وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر فى الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبى ﷺ «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما: من ادّعى علم هذه الخمسة فقد كذب. ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية فإن هذه العلوم الخمسة لايعلمها إلا الله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بالغيوب (خَبِيرٌ) بما كان ويكون وعن الزهرىّ رضى الله تعالى عنه: أكثروا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب والله أعلم.

﴿سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية مدنى وكوفى، وتسع وعشرون آية بصرى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ وخبره (تَنزِيلُ الْكِتَابِ) وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لَا رَيْبَ فِيهِ) أو يرتفع بالابتداء وخبره (مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) ولا ريب فيه اعتراض لامحل له والضمير فى فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز

للبشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم أضرب عن ذلك إلى قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى اختلقه محمد لأن أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه إنكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بَلْ هُوَ الْحَقُّ) ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق (مِن رَّبِّكَ) ولم يفتره محمد ﷺ كما قالوا تعنتا وجهلا (لِتُنذِرَ قَوْمًا) أى العرب (مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) ما للنفى والجملة صفة لقوما (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) على الترجى من رسول الله ﷺ كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) استولى عليه بإحداثه (مَا لَكُم مِّن دُونِهِ) من دون الله (مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) أى إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) تتعظون بمواعظ الله (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) أى أمر الدنيا (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) إلى أن تقوم الساعة (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) وهو يوم القيامة (مِّمَّا تَعُدُّونَ) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله إليه فى إثبات الجهة لأن معناه إلى حيث رضاه أو أمره كما لا تشبث لهم بقوله: إنى ذاهب إلى ربى. إنى مهاجر إلى ربى. ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله (ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (الْعَزِيزُ) الغالب أمره (الرَّحِيمُ) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لأن (الَّذِي) صفته (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ) أى حسنه لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة (خَلَقَهُ) كوفى ونافع وسهل على الوصف أى كل شيء خلقه فقد أحسن. خَلْقه غيرهم على البدل أى أحسن خلق كل شيء (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ) آدم (مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِن سُلَالَةٍ) من نطفة (مِّن مَّاءٍ) أى منى وهو بدل من سلالة (مَّهِينٍ) ضعيف حقير (ثُمَّ سَوَّاهُ) قومه كقوله فى أحسن تقويم (وَنَفَخَ) أدخل (فِيهِ مِن رُّوحِهِ) الإضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذى اختص هو به وبعلمه (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) أى تشكرون قليلا (وَقَالُوا) القائل أبى ابن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم (أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أى صرنا ترابا وذهبنا مختلطين

بتراب الأرض لانتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أوغبنا فى الأرض بالدفن فيها وقرأ على ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضَل وانتصب الظرف فى أئذا ضللنا بما يدل عليه (أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو نبعث (بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ماهو أبلغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لابالبعث وحده (قُلْ يَتَوَفَّـٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أى يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله. والتوفى استيفاء النفس وهى الروح أى يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقى من فلان إذا أخذته وافيا كملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لأفعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها (وَلَوْ تَرَىٰ) الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أى لرأيت أمراعظيما (إِذِ الْمُجْرِمُونَ) هم الذين قالوا أئذا ضللنا فى الأرض. ولو وإذ للمضى وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى مايتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذ ظرف له (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ) من الذل والحياء والندم (عِندَ رَبِّهِمْ) عندحساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف إذالتقدير يقولون (رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا) صدق وعدك ووعيدك (وَسَمِعْنَا) منك تصديق رسلك أوكنا عميا وصما فأبصرنا وسمعنا (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَـٰلِحًا) أى الإيمان والطاعة (إِنَّا مُوقِنُونَ) بالبعث والحساب الآن (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) فى الدنيا أى لو شئنا أعطينا كل نفس ماعندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره وهو حجة على المعتزلة فإن عندهم شاء الله أن يعطى كل نفس مابه اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد وهم أولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف فى تبصرة الأدلة (وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ولكن وجب

القول منى بمــا علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفى تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ) بما تركتم من عمل لقاء (يَوْمِكُمْ هَٰذَا) وهو الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم فى العــذاب كالمنسى (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والمعاصى (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا) أى وعظوا بها (خَرُّوا سُجَّدًا) سجدوا لله تواضعاً وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من الإسلام (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ونزهوا الله مما لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والسجود له (تَتَجَافَىٰ) ترتفع وتتنحى (جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) عن الفرش ومضاجع النوم . قال سهل: وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم فى مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع (يَدْعُونَ) داعين (رَبَّهُمْ) عابدين له (خَوْفًا وَطَمَعًا) مفعول له أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم المتهجدون وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعنى صلاة الليل . وعن أنس كان أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينــامون عنها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) فى طاعة الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ) ما بمعنى الذى، أخفى على حكاية النفس[1] حمزة ويعقوب (مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جَزَاءً) مصدر أى جوزوا جزاء (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على أن المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين أن من كان فى نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان بقوله:

---

(١) قوله: على حكاية النفس أى بأن يقرأ أخفى بصيغة المضارع .

(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً) أى كافراً وهما محمولان على لفظ من وقوله (لاَّ يَسْتَوُونَ) على المعنى بدليل قوله (أَمَّا الَّذِينَ ءَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ) هى نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش (نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ) أى ملجؤهم ومنزلهم (كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ) أى تقول لهم خزنة النار (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ) أى عذاب الدنيا من الأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن الدارانى: العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود فى النيران وقيل العذاب الأدنى عذاب القبر (لَعَلَّهُمْ) لعل المعذبين بالعذاب الأدنى (يَرْجِعُونَ) يتوبون عن الكفر (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ) وعظ (بِآيَٰتِ رَبِّهِ) أى بالقرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ) أى فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد أى أن الإعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) ولم يقل منـــه لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ) شك (مِن لِّقَآئِهِ) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبى صلى الله عليه وسلم (وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) بهمزتين كوفى وشامى (يَهْدُونَ) بذلك الناس ويدعونهم إلى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه (بِأَمْرِنَا) إياهم بذلك (لَمَّا صَبَرُوا)حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصى لما صبروا

حمزة وعلى أى لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا ﴾ التوراة ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ يعلمون علما لايخالجه شك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ ﴾ يقضى ﴿ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيظهر الحق من المبطل ﴿ أَوَلَمْ ﴾ الواو للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف أى أو لم يدع ﴿ يَهْدِ ﴾ يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد ﴿ لَهُمْ ﴾ لأهل مكة ﴿ كَمْ ﴾ لايجوز أن يكون كم فاعل يهدى لأن كم للاستفهام فلا يعمل فيه ماقبله ومحله نصب بقوله ﴿ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ أى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ المواعظ فيتعظوا ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ نجرى المطر والأنهار ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ أى الأرض التى جرز نباتها أى قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعى ولا يقال للتى لاتنبت كالسباخ جرز بدليل قوله ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ ﴾ بالماء ﴿ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ ﴾ من الزرع ﴿ أَنْعَامُهُمْ ﴾ من عصفه ﴿ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ من حبه ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على إحياء الموتى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أى فى أى وقت يكون ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى أنه كائن ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ أى يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة ﴿ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ماعرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لاتستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرتم فى إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فإنهم لاينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ ﴾ النصرة وهلاكهم ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة، وتبارك الذى بيده الملك، وقال

«من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام» وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سورة الم تنزيل هى المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم .

﴿ سورة الأحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبىّ بن كعب رضى الله عنه لزرّ كم تعدون سورة الأحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذى يحلف به أبىّ إن كانت لتعدل سورة البقرة أوأطول ولقد قرأنا منها آيةالرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبىّ أن ذلك من جملة مانسخ من القرآن وأما مايحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (يَـٰأَيُّهَا النَّـبِىُّ) وبالهمز نافع أى ياأيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلىأحبابنا وإنما لم يقل يامحمد كماقال يا آدم ياموسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه فى قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله (اتَّقِ اللَّهَ) اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لايدرك مداه (وَلَا تُطِعِ الْـكَـٰفِرِينَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ) ولا تساعدهم على شىء واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين وروى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبىّ وأعطاهم النبي الأمان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تنفع وتشفع، ووازرهم المنافقون على ذلك فهمّ المسلمون بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ولا تطع الـكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخبث أعمالهم (حَـكِيمًا) فى تأخير الأمر بقتالهم (وَاتَّبِـعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) فى الثبات على التقوى وترك طاعة الـكافرين والمنافقين (إِنَّ اللَّهَ) الذى يوحى إليك (كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أى لم يزل عالما باعمالهم وأعمالـكم وقيل إنما جمع لأن المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الـكافرون والمنافقون من كيدهم لـكم ومكرهم بكم (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظا موكولا إليه كل أمر، وقال الزجاج لفظه وإن كان لفظ

الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) أى ماجمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وأمومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة أمّا لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة فى النسب والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشىء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبى ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فأكذب الله قولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى. والتنكير فى رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجوف للتأكيد اللائى بياء بعد الهمزة حيث كان كوفى وشامى، اللاء نافع ويعقوب وسهل وهى جمع التى تُظاهِرون عاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى تَظَاهَرون على وحمزة وخلف تَظَّاهرون شامى من اظّاهر بمعنى تظاهر غيرهم تَظَهَّرون من اظَّهَّر بمعنى تظهّر وعدى بمن لتضمنه معنى البعد لأنه كان طلاقا فى الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن وإلا فآلى فى أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وجمع على أفعلاء شاذا لأن بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمىّ وسمىّ للتشبيه اللفظى (ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ) أى أن قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأم (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) أى ما حق ظاهره وباطنه

(وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ) أى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ماهو سبيل الحق وهو قوله (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل(عِندَ اللهِ) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه ولدالرجل ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ) فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم (فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) أى فهم إخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويامولاى يريد الأخوة فى الدين والولاية فيه(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ)أى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى (وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) ولكن الإثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى . أولا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يابنى على سبيل الخطإ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين وما فى موضع الجر عطف على ماالأولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطإ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده وإذا وجد التبنى فإن كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا منه ثبت نسبه منه وعتق إن كان عبدا له وإن كان أكبر سنا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبى حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وعتق إن كان عبدا (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) لا يؤاخذكم بالخطإ ويقبل التوبة من المتعمد (النَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) أى أحق بهم فى كل شىء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه أو هو أولى بهم أى أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبى ﷺ أبوهم فى الدين (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) فى تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) وذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) فى

التوارث وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لابالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (فِي كِتَٰبِ اللَّهِ) فى حكمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب وأن يكون لابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أى الأنصار بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا) الاستثناء من خلاف الجنس أى لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشىء فيكون ذلك بالوصية لابالميراث وعدى تفعلوا بإلى لأنه فى معنى تسدوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا) أى التوارث بالأرحام كان مسطورا فى اللوح (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ) واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (وَمِنكَ) خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد ﷺ أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه وإنما فعلنا ذلك (لِّيَسْـَٔلَ) الله (الصَّٰدِقِينَ) أى الأنبياء (عَن صِدْقِهِمْ) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الأنبياء ماالذى أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ) بالرسل (عَذَابًا أَلِيمًا) وهو عطف على أخذنا لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أى ماأنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة (إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ) أى الأحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا) أى الصبا قال عليه السلام «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » (وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة

شاتية فأخصرتهم وأسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأ كفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر ابن الطفيل فى هوازن وضامّتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى ﷺ (بَصِيرًا) وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى إطفاء نور الله (إِذْ جَآءُوكُم) بدل من إذ جاءتكم (مِّن فَوْقِكُمْ) أى من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَٰرُ) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شىء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة. روى أن المسلمين قالوا لرسول الله ﷺ هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال «نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» (وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الأولون بالله أنه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم. قرأ أبو عمرو وحمزة الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالألف فيهما مدنى وشامى وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف وبالألف فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسولا والسبيلا زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال: أقلى اللوم عاذل والعتابا *

وهن كلهن فى الإمام بالألف (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) امتحنوا بالصبر على الإيمان (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) وحركوا بالخوف تحريكا بليغاً (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ) عطف على الأول (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم (مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) روى أن معتّب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ) من المنافقين وهم عبد الله بن أبى وأصحابه (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) هم أهل المدينة (لَا مُقَامَ لَكُمْ) وبضم الميم حفص أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فَارْجِعُوا) عن الإيمان إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ) أى بنو حارثة (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) أى ذات عورة (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عوراً إذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عوْرة تخفيف عوِرة اعتذروا أن بيوتهم عرضة للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (مِّنْ أَقْطَارِهَا) من جوانبها أى ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثُمَّ سُئِلُوا) عند ذلك الفزع (الْفِتْنَةَ) أى الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لَآتَوْهَا) لأعطوها . لأتوها بلا مد حجازى أى لجاءوها وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا) بإجابتها (إِلَّا يَسِيرًا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملئوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشىء

وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام وحبهم الكفر (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب (لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ) منهزمين (وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) مطلوباً مقتضى حتى يوفى به (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أى إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفررتم لم تمتعوا فى الدنيا إلا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ) أى مما أراد الله إنزاله بكم (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) فى أنفسكم من قتل أو غيره (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) أى إطالة عمر فى عافية وسلامة أى من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما فى العصمة من معنى المنع (وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ناصراً (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ) أى من يعوق عن نصرة رسول الله ﷺ أى يمنع وهم المنافقون (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) فى الظاهر من المسلمين (هَلُمَّ إِلَيْنَا) أى قربوا أنفسكم إلينا ودعوا محمداً وهى لغة أهل الحجاز فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد نحو أحضر وقرب (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) أى الحرب (إِلَّا قَلِيلًا) إلا إتيانا قليلا أى يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أَشِحَّةً) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير فى يأتون أى يأتون الحرب بخلاء (عَلَيْكُمْ) بالظفر والغنيمة (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) فى تلك الحالة (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) يمينا وشمالا (كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام. خطيب مِسْلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ فى الكلام أى يقولون وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أى خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) فى الحقيقة بل بالألسنة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه

من الأعمال (وَكَانَ ذَٰلِكَ) إحباط أعمالهم (عَلَى اللهِ يَسِيرًا) هينا (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) أى لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ) كرة ثانية (يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ) البادون جمع البادى أى يتمنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويمتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يَسْئَلُونَ) كل قادم منهم من جانب المدينة (عَنْ أَنبَآئِكُمْ) عن أخباركم وعما جرى عليكم (وَلَوْ كَانُوا فِيكُم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وسمعة (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) بالضم حيث كان عاصم أى قدوة وهو المؤتسى به أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه (لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لأنه لايجوز البدل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أى أسوة حسنة كائنة لمن كان (وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء (وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله قريب فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ) وعلموا أن الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال لأصحابه إن الأحزاب سائرون إليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا إشارة إلى الخطب والبلاء (وَمَا زَادَهُمْ) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم (إِلَّا إِيمَٰنًا) بالله وبمواعيده (وَتَسْلِيمًا) لقضائه وقدره (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) أى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره أى صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل. نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ) أى مات شهيدا كحمزة ومصعب. وقضاء

النحب صار عبارة عن الموت لأن كل حى من المحدثات لابد له أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أى نذره (وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ) الموت أى على الشهادة كعثمان وطلحة (وَما بَدَّلُوا) العهد (تَبْدِيلًا) ولا غيروه لاالمستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب كما مر فى قوله تعالى: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار(لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ)بوفائهم بالعهد (وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ إِن شَاءَ) إذا لم يتوبوا (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إن تابوا (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) بقبول التوبة (رَّحِيمًا) بعفو الحوبة. جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا فى طلبها والسعى فى تحصيلها (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) الأحزاب (بِغَيْظِهِمْ) حال أى مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) ظفرا أى لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أى غير ظافرين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)بالريح والملائكة(وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)قادرا غالبا(وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم) عاونوا الأحزاب (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) من بنى قريظة (مِن صَيَاصِيهِمْ) من حصونهم الصيصية ماتحصن به روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ ، صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم، على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا ياجبريل قال من متابعة قريش فقال يارسول الله إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة وأنا عامد إليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن فى الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر إلا فى بنى قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله ﷺ تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم إن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبى ﷺ وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب

(فَرِيقًا)بقوله(تَقْتُلونَ)وهم الرجال(وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)وهم النساء والذرارى (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) أى المواشى والنقود والأمتعة روى أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنكم فى منازلكم (وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا) بقصد القتال وهى مكة أوفارس والروم أو خيبر أوكل أرض تفتح إلى يوم القيامة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)قادرا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا)أى السعادة فى الدنيا وكثرة الأموال(فَتَعَالَيْنَ) أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى فى استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كقوله قام يهددنى (أُمَتِّعْكُنَّ) أعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء (وَأُسَرِّحْكُنَّ) وأطلقكن (سَرَاحًا جَمِيلًا) لاضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقةوتغاير ن فغم ذلك رسول الله ﷺ فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله ﷺ ثم اختار جميعهن اختيارها وروى أنه قال لعائشة إنى ذاكر لك أمراً ولا عليك أن لاتعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخره وحكم التخيير فى الطلاق أنه إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أن تقع تطليقة بائنة وإذا اختارت زوجها لم يقع شىء وعن على رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة (وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ) من للبيان لاللتبعيض (أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ)سيئة بليغة فى القبح(مُّبَيِّنَةٍ) ظاهر فحشها . من بيّن بمعنى تبين وبفتح الياء مكى وأبو بكر قيل هى عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ) يضعّف لها العذابَ مكى وشامى يضعَّف أبو عمرو ويزيد ويعقوب (ضِعْفَيْنِ) ضعفى عذاب غيرهن من النساء لأن ماقبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ ولذا كان الذم للعاصى العالم أشد من العاصى

الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الأحرار على العبيد ولا يرجم الكافر ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ أى تضعيف العذاب عليهن ﴿ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ﴾ هينا ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ ﴾ القنوت الطاعة ﴿ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ ﴾ وبالياء فيهما حمزة وعلى ﴿ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ مثلى ثواب غيرها ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ جليل القدر وهو الجنة ﴿ يَٰنِسَآءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ ﴾ أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل. وأحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ إن أردتن التقوى أو إن كنتن متقيات ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أى إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات ﴿ فَيَطْمَعَ ﴾ بالنصب على جواب النهى ﴿ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ ريبة وفجور ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ حسنا مع كونه خشنا ﴿ وَقَرْنَ ﴾ مدنى وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ماقبلها أو من قار يقار إذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقر وقاراً أو من قر يقر حذفت الأولى من راءى اقررن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها إلى القاف ﴿ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ بضم الباء بصرى ومدنى وحفص ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَٰهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ أى القديمة والتبرج التبختر فى المشى وإظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء فى الجاهلية الأولى وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو مابين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى مابين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الإسلام ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ خص الصلاة والزكاة بالأمر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما لأن من واظب عليهما جرتاه إلى ماوراءهما ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته. وقال: عنكم، لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من نجاسة الآثام ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم وليتصونوا

منها بالتقوى واستمار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأن عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لأولى الألباب عن المناهى وترغيب لهم فى الأوامر (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) أى السنة أو بيان معانى القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) عالما بغوامض الأشياء (خَبِيرًا) عالما بحقائقها أى هو عالم بأفعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله. ولما نزل فى نساء النبى ﷺ مانزل قال نساء المسلمين: فمانزل فينا شىء، فنزلت (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ) المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لايعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله (وَالْمُؤْمِنِينَ) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَالْقَٰنِتِينَ) القائمين بالطاعة (وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ) فى النيات والأقوال والأعمال (وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ) على الطاعات وعن السيئات (وَالْخَٰشِعِينَ) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ) فرضا ونفلا (وَالصَّٰئِمِينَ وَالصَّٰئِمَٰتِ) فرضا ونفلا وقيل من تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ) عما لا يحل (وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (وَالذَّٰكِرَٰتِ) الله فحذف لدلالة ماتقدم عليه والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لأن الأول نظير قوله ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان واشتركا فى حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) على طاعاتهم. خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ) أى رسول الله (أَمْرًا) من الأمور

﴿أن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها وإنما جمع الضمير فى لهم وإن كان من حقه أن يوحد لأن المذكورين وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفى ، والخيرة ما يتخير ودل ذلك على أن الأمر للوجوب ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ فإن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطإ وفسق ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذى هو أجل النعم ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتبنى فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت فى نفسه فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى أريد أن أفارق صاحبتى، فقال: مالك أرابك منها شىء ؟ قال لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له: أمسك عليك زوجك ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فلا تطلقها. وهو نهى تنزيه إذ الأولى أن لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أى تخفى فى نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى فى نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد إياها. والواو فى وتخفى فى نفسك ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أى قالة الناس إنه نكح امرأة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بأن تخشى الله. وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً﴾ الوطر الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شىء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ روى أنها لما اعتدت قال رسول الله ﷺ لزيد: ما أجد

أحداً أوثق في نفسي منك: أخطب عليّ زينب . قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب أبشرى إن رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) قيل قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ) الذى يريد أن يكونه (مَفْعُولاً) مكوناً لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد أوقدر له من عدد النساء (سُنَّةَ اللهِ) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة فى الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) فى الأنبياء الذين مضوا من قبل (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ، ولا وقف عليه إن جعلت (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ) بدلا من الذين الأول، وقفْ إن جعلته فى محل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون أو أعنى الذين يبلغون (وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ) وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا) كافياً للمخاوف ومحاسباً على الصغيرة والكبيرة فكان جديراً بأن تخشى منه (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ) أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبيانا (وَلَكِن) كان (رَّسُولَ اللهِ) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم والتبنى

من باب الاختصاص والتقريب لاغير (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لاينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد ﷺ كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم. وتقوّيه قراءة ابن مسعود ولـكن نبيا ختم النبيين (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً) أول النهار (وَأَصِيلًا) آخر النهار وخصا بالذكر لأن ملائـكة الليل وملائـكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والفعلان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البـكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائـكة إبانة لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لايجوز عليه من الصفات وجاز أن يراد بالذكر وإكثاره تـكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهى صلاة الفجر وأصيلا وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أوصلاة الفجر والعشاءين (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰئِكَتُهُ) لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائـكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لـكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذى يترحم عليـكم ويترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما نزل إن الله وملائـكته يصلون على النبى قال أبو بكر ماخصك الله يارسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فنزلت (تَحِيَّتُهُمْ) من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحية الله لهم (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ) يرونه (سَلَٰمٌ) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليـكم (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)

يعنى الجنة (يَـأَيُّهَا النَّـبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَٰهِدًا) على من بعثت إليهم وعلى تـكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحـكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به أى مقدرا به الصيد غدا (وَمُبَشِّرًا) للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) للـكافرين بالنار (وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ) بأمره أو بتيسيره والـكل منصوب على الحال (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على أنه القرآن فيـكون التقدير وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالإنارة لأن من السرج مالا يضىء إذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا إلى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا (وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) ثوابا عظيما (وَلَا تُطِعِ ٱلْـكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (وَدَعْ أَذَىٰهُمْ) هو بمعنى الإيذاء فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجعل إيذاءهم إياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم أو إلى المفعول أى دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم (وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ) فإنه يكفيكهم (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا) وكفى به مفوضا إليه وقيل إن الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الـكبير والمبشر بالإعراض عن الـكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم فى الحاضر والأذى لابدله من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالإكتفاء به وكيلا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه (يَـأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَـكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ) أى تزوجتم والنـكاح هو الوطء فى الأصل وتسمية العقد نـكاحا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه كتسمية الخمر إثما لأنها سببه وكقول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه * سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النـكاح فى كتاب الله تعالى إلا فى معنى العقد لأنه فى معنى الوطء من باب

التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والإتيان وفى تخصيص المؤمنات مع أن الكتابيات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة (ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ) والخلوة الصحيحة كالمس (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) فيه دليل على أن العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون من العد (فَمَتِّعُوهُنَّ) والمتعة تجب للتى طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلًا) أى لا تمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم إذ لا عدة لكم عليهن (يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ الَّٰتِى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) مهورهن إذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخى: إن النكاح بلفظ الإجارة جائز. وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة وبينهما منافاة وإيتاؤها إعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها فى العقد (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) وهى صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ الَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ) ومع ليس للقران بل لوجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانىء بنت أبى طالب خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت فعذرنى فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ) وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم فى المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أوزينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير إن (إِنْ أَرَادَ النَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثانى تقييد للشرط الأول شرط فى الإحلال هبتها نفسها وفى الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هى قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله ﷺ وأمته سواء فى الأحكام إلا فيما خصه

الدليل (خَالِصَةً) بلا مهر حال من الضمير فى وهبت أومصدرمؤكد أى خلص لك إحلال ماأحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أونفاه. عدل عن الخطاب إلى الغيبة فى قوله إن أراد النبى ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره أى تكرير النبى تفخيم له (قَدْ عَلِمْنَا مَافَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) أى ما أوجبنا من المهور على أمتك فى زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الحقوق (وَمَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ) بالشراءوغيره من وجوه الملك وقوله (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ)ضيق متصل بخالصة لكمن دون المؤمنين وقوله قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) بالتوسعة على عباده (تُرْجِى) بلا همز مدنى وحمزة وعلى وخلف وحفص وبهمز غيرهم: تؤخر(مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ) تضم بمعنىتترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لاتقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أوتترك تزوج من شئت من نساءأمتك وتتزوّج من شئت وهذهقسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لايبتغيها أويبتغيها. وروى أنه أرجى منهن جويريةوسودةوصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا، وروى أنه كان يسوى مع ماأطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لاتطلقنى حتى أحشر فىزمرة نسائك (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ)أى ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك فى ذلك أى ليس إذا عزلتها لم يجزلك ردها إلى نفسك. ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذَٰلِكَ) التفويض إلى مشيئتك (أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) أى أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن إذاعلمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت

العيون. كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرىء ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرىء شاذا كلهن بالنصب تأكيدا لهن فى آتيتهن (وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله(وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا)بذات الصدور (حَلِيمًا) لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويحذر (لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ) بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقى وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز (مِن بَعْدُ) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته (وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ)بالطلاق والمعنى وأن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على مااخترن ورضين فقصر رسول الله ﷺ عليهن وهن التسع التى مات عنهن : عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية. ومن فى من أزواج لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدلَ أى تتبدل لامن المفعول الذى هو من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هى أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب فإنها ممن أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء يعنى أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة أو بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) استثنى ممن حرم عليه الإماء ومحل مارفع بدل من النساء (وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ) أن يؤذن لكم فى موضع الحال أى لاتدخلوا إلا مأذونا لكم أو فى معنى الظرف تقديره إلا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبى إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين أى غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون و يقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لاتدخلوا ياأيها المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إناه وإنى الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إنًى كقولك قلاه قلى وقيل إناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن النبي ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأ كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال «ارفعوا طعامكم» وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا فطاف رسول الله ﷺ بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت(وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا)فتفرقوا (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أى ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به (إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ) من إخراجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) يعنى أن إخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيّ من بعض الأفعال قيل لا يستحيى من الحق أى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم هذا أدبٌ أدّبَ الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبى لأن فيها نساءه (مَتَاعًا)عارية أو حاجة(فَاسْأَلُوهُنَّ) المتاع(مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود أن ينزل فيه وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوّجن فلانة فنزل (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا) أى وما صح لكم إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعد موته (إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا) أى ذنباً عظيما (إِن تُبْدُوا شَيْئًا) من إيذاء النبى ﷺ أو من نكاحهن (أَوْ تُخْفُوهُ) فى أنفسكم من ذلكم (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فنزل (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَآ نِسَآئِهِنَّ) أى نساء المؤمنات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) أى لا إثم عليهن فى ألا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى: وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق. وإسمعيل عم يعقوب، وعبيدهن عند الجمهور كالأجانب ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل (وَاتَّقِينَ اللَّهَ) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) عالما قال ابن عطاء: الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح.
(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) أى قولوا اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أى قولوا اللهم سلم على محمد أو انقادوا لأمره وحكمه انقياداً وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال «إن الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى علىّ إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى علىّ إلا قال ذانك الملكان لاغفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين» ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى وكلما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وإن صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبى وآله فلا كلام فيه وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) أى يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو عبر بإيذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر وإنكار النبوة مجازاً وإنما جعل مجازاً فيهما وحقيقة الإيذاء يتصور فى رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) طردهم الله عن رحمته فى الدارين (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) فى الآخرة (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن ذاك يكون غير حق أبدا وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل نزلت فى ناس من

المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات (فَقَدِ احْتَمَلُوا) تحملوا (بُهْتَـٰنًا) كذبا عظيما (وَإِثْمًا مُّبِينًا) ظاهرا (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ) الجلباب مايستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك ومن للتبعيض أى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة أو المراد أن يتجلببن ببعض مالهن من الجلابيب وأن لاتكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها وذلك أن النساء كن فى أول الإسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لافصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة لحسبان الأمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الإماء بلبس الملاحف وستر الرءوس والوجوه فلايطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا) لماسلف منهن من التفريط (رَّحِيمًا) بتعليمهن آداب المكارم (لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) فجور، وهم الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض (وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ) هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ) فى المدينة وهو عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لايجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ماأصيبوا به عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه (إِلَّا قَلِيلًا) زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل الأفعال التى

تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لايسا كنوك فيها إلا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (مَّلْعُونِينَ) نصب على الشتم أو الحال أى لايجاورنك إلا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مرولا ينتصب من أخذوا لأن مابعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) وجدوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) والتشديد يدل على التكثير (سُنَّةَ اللَّهِ) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أينما وجدوا (فِي الَّذِينَ خَلَوْا) مضوا (مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) أى لايبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا فى الأمم (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ) كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فأمر رسوله بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين بقوله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) شيئا قريبا أو لأن الساعة فى معنى الزمان (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) نارا شديدة الاتقاد (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سعيرا لأن قوله خالدين فيها حال من الضمير فى لهم (لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ناصرا يمنعهم اذكر (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) تصرف فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر إذا غلت وخصصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يَقُولُونَ) حال (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لاينفعهم التمنى (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) جمع سيد. سادتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وَكُبَرَاءَنَا) ذوى الأسنان منا أو علماءنا (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن مابعده مستأنف (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) للضلال والإضلال (وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لأعداد اللاعن ونزل

فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الأمر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهامهم إياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم. (وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وجيها (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) صدقا وصوابا أو قاصدا إلى الحق . والسداد: القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسددوا قولهم فى كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف على سديدا لأن جواب الأمر قوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أى يمحها والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله ﷺ وهذه على الأمر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والأمر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) أتبعه قوله (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ) وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانه الخيانة يقال فلان حامل للأمانة ومحتمل لها أى لا يؤديها إلى صاحبها حتى نزول عن ذمته إذ الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها يعنى أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا

أو كرها قالتا أتينا طائعين. وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا) أى أبين الخيانة فيها وأن لايؤدينها (وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) وخفن من الخيانة فيها (وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ) أى خان فيها وأبى أن لايؤديها (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً) لكونه تاركا لأداء الأمانة (جَهُولًا) لإخطائه مايساعده مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج: الكافر والمنافق حملا الأمانة أى خانا ولم يطيعا. ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه أنه عرض على أعظم ماخلق الله من الأجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وماجاء القرآن إلا على أساليبهم من ذلك قولهم لوقيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج واللام فى (لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) للتعليل لأن التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وقرأ الأعمش ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذ تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أى حملها الإنسان فآل الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) للتائبين (رَّحِيمًا) بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب .

﴿ سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ) إن أجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وإن أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق (لِلَّهِ) بلام التمليك لأنه خالق ناطق الحمد أصلا فكان علكه مالك

لحمد للتحميد أهلا (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بأن يحمد سرا وجهرا (وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ) كما هوله فى الدنيا إذ النعم فى الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف وثم لا، لعدم التكليف وإنما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذاً بما نالوا من الأجر العظيم بقولهم الحمدلله الذى صدقنا وعده. الحمدلله الذى أذهب عنا الحزن (وَهُوَ الْحَكِيمُ) بتدبير ما فى السماء والأرض (الْخَبِيرُ) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يَعْلَمُ) مستأنف (مَا يَلِجُ) مايدخل (فِى الْأَرْضِ) من الأموات والدفائن (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات وجواهر المعادن (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ) من الأمطار وأنواع البركات (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) يصعد إليها من الملائكة والدعوات (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بإنزال مايحتاجون إليه (الْغَفُورُ) لما يجترئون عليه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى منكرو البعث (لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة (قُلْ بَلَىٰ) أوجب مابعد النفى ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها (وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ) ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهوالتوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عَٰلِمِ الْغَيْبِ) لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ، ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق. عالمُ الغيب مدنى وشامى أى هو عالم الغيب علامِ الغيب حمزة وعلى على المبالغة (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ) وبكسر الزاى علىّ يقال عزب يعزُب ويعزِب إذا غاب وبعد (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مقدار أصغر نملة (فِى السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ) من مثقال ذرة (وَلَآ أَكْبَرُ) من مثقال ذرة (إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) إلا فى اللوح المحفوظ، ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون إلا بمعنى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى (لِّيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) لما قصروا فيه من مدارج الإيمان (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) لما صبروا عليه من مناهج الإحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له (وَالَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا) جاهدوا فى رد

القرآن (مُعَجِّزِينَ) مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا. معجّزين مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله إلى العجز (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ) برفع أليم مكى وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سيئ العذاب قال قتادة : الرجز سوء العذاب، وغيرهم بالجر صفة لرجز (وَيَرَى) فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويعلم (ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ) يعنى أصحاب رسول الله ﷺ ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه، والمفعول الأول ليرى (ٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) يعنى القرآن (هُوَ ٱلْحَقَّ) أى الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو فى موضع النصب معطوف على ليجزى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الإيقان (وَيَهْدِىٓ) الله أو الذى أنزل إليك (إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ) وهو دين الله (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) وقال قريش بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ) يعنون محمدا ﷺ وإنما نكّروه مع أنه كان مشهورا علما فى قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها (يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) أى يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل فى إذا ما دل عليه إنكم لفى خلق جديد أى تبعثون ، والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز إنكم بالفتح للام فى خبره (أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها (أَم بِهِۦ جِنَّةٌ) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون فى شىء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ﴾ وبالإدغام عليّ للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء ﴿ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ ﴾ الثلاثة بالياء كوفى غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا ﴿ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴾ كسفا حفص ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أى أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لايقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى ﴿ لَآيَةً ﴾ لدلالة ﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ راجع إلى ربه مطيع له إذ المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شىء من البعث ومن عقاب من يكفر به ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ ﴾ بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا ياجبال أو قلنا ياجبال ﴿ أَوِّبِى مَعَهُ ﴾ من التأويب رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾ عطف على محل الجبال والطيرُ عطف على لفظ الجبال وفى هذا النظم من الفخامة مالا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا إشعارا بأنه مامن حيوان وجاد إلاوهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولوقال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لأن الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة ﴿ أَنِ اعْمَلْ ﴾ أن بمعنى أى أو أمرناه أن اعمل ﴿ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ماتقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له مايستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع ﴿ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ ﴾ لاتجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق، والسرد: نسج

الدروع (وَاعْمَلُوا)الضمير لداود وأهله (صَٰلِحًا) خالصا يصلح للقبول(إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم عليه (وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ) أى وسخرنا لسليمان الريح وهى الصبا ورفع الريح أبو بكر وحماد والفضل أى ولسليمان الريح مسخرة (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) أى معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أساله وكان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لايذوب وسماه عين القطر باسم ما آل إليه (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ) من فى موضع نصب أى وسخرنا من الجن من يعمل (بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ) بأمر ربه (وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ) ومن يعدل منهم (عَنْ أَمْرِنَا) الذى أمرنا به من طاعة سليمان (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ) أى مساجد أو مساكن (وَتَمَاثِيلَ) أى صور السباع والطيور وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ (وَجِفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوَابِ) جمع جابية وهى الحياض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل . كالجوابى فى الوصل والوقف مكى ويعقوب وسهل، وافق أبو عمرو فى الوصل، الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة (وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ) ثابتات على الأثافى لاتنزل عنها لعظمها وقيل إنها باقية باليمن وقلنا لهم (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) أى ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول له أو حال أى شاكرين أو اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل للمنعم شكر له أو مفعول به يعنى إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ماشئتم فاعملوا أنتم شكرا، وسئل الجنيد عن الشكر فقال : بذل المجهود بين يدى المعبود (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ) بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشَّكُورُ) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد

شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضى الله عنه: من يشكر على أحواله كلها. وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر، وحكى عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ) أى على سليمان (مَادَلَّهُمْ) أى الجن وآل داود (عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) أى الأرضة وهى دويبة يقال لها سرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) والعصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أى يطرد، ومنسأته بغير همز مدنى وأبو عمرو (فَلَمَّا خَرَّ) سقط سليمان (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم (أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا) بعد موت سليمان (فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت القدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت القدس لأربع مضين من ملكه وروى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده أن يدنو منه (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف بتأويل الحى وبعدمه أبو عمرو بتأويل القبيلة (فِي مَسْكَنِهِمْ) حمزة وحفص ، مسكِنهم على وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم، غيرهم مساكنهم (ءَايَةٌ) اسم كان (جَنَّتَانِ) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية أن أهلها لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم أو جعلهما آية أى علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره (عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها

جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أتبعه قوله (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره . قال ابن عباس : كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية و من يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها (فَأَعْرَضُوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) أى المطر الشديد أو العرم اسم الوادى أو هو الجرذ الذى نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفل فغرقهم (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ) المذكورتين (جَنَّتَيْنِ)وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاءسيئة سيئة مثلها (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) الأكل الثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكى والخمط شجر الأراك وقيل كل شجر ذى شوك (وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا، ووجه من نون الأكل وهو غير أبى عمرو أن أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ووجه أبى عمرو أن أكل الخمط فى معنى البرير وهو ثمر الأراك إذا كان غضا فكأنه قيل ذواتى برير، والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له وعن الحسن قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا لأنه يكون فى الجنان (ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا) أى جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) كوفى غير أبى بكر وهل يُجَازَى إلا الكفورُ غيرهم يعنى وهل نجازى مثل هذا الجزاء إلا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لأن الجزاء وإن كان عاما يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبإ (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالتوسعة

على أهلها فى النعم والمياه وهى قرى الشام (قُرًى ظَاهِرَةً) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهى أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبإ إلى الشام (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى إلى أن يبلغ الشام (سِيرُوا فِيهَا) وقلنا لهم سيروا ولاقول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك (لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ) أى سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياماً وليالى (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح فى التجارات ونفاخر فى الدواب والأسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب، بعّد مكى وأبوعمرو (وَظَلَمُوا) بما قالوا (أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) وفرقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلا مضروباً يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصى (شَكُورٍ) للنعم أو لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنه (فَاتَّبَعُوهُ) الضمير فى عليهم واتبعوه لأهل سبإ أو لبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله (إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) لقلتهم بالإضافة إلى الكفار ولا تجد أكثرهم شاكرين (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم) لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (مِّن سُلْطَانٍ) من تسليط واستيلاء بالوسوسة (إِلَّا لِنَعْلَمَ) موجوداً ما علمناه معدوماً والتغير على المعلوم لا على العلم (مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قُلِ) لمشركى قومك (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ) أى زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول الأول الضمير الراجع إلى الموصول وحذف كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله رسولا استخفافاً لطول الموصول بصلته والمفعول الثانى آلهة وحذف لأنه موصوف صفته من دون الله

والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذاً مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) من خير أو شر أو نفع أو ضر (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ) وما لهم فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُم) من آلهتهم (مِّن ظَهِيرٍ) من عون يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) أى أذن له الله يعنى إلا من وقع الإذن للشفيع لأجله وهى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أُذن له كوفى غير عاصم إلا الأعشى (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى إطلاق الإذن وفَزَّع شامى أى الله تعالى والتفزيع إزالة الفزع وحتى غاية لما فهم من أن ثم انتظارا للإذن وتوقفاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم (قَالُوا) سأل بعضهم بعضاً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا) قال (الْحَقَّ) أى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ومعناه وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك

وفى درجه بعد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفيـة على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولـكن التمريض أوصل بالمجادل إلى الغرض، ونحوه قولك للكاذب إن أحدنا لـكاذب وخولف بين حرفى الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه ينغمس فى ظلام لا يرى أين يتوجه (قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هذا أدخل فى الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور والعملَ إلى المخاطَبين وهو مأمور به مشكور (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) بلا جور ولا ميل (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بالحكم (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ) أى ألحقتموهم (بِهِ) بالله (شُرَكَآءَ) فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم أن يريهم الخطأ العظيم فى إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به (كَلاَّ) ردع وتنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالـكم (بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الْحَكِيمُ) فى تدبيره (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ) إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الـكافة فى اللغة الإحاطة والمعنى أرسلناك جامعاً للناس فى الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الـكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة (بَشِيرًا) بالفضل لمن أقر (وَنَذِيرًا) بالعدل لمن أصر (وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ) أى القيامة المشار إليها فى قوله قل يجمع بيننـا ربنـا (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُل لَّـكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهوهنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعادٌ يومٌ فأبدل منه اليوم وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بعير سانية (لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ) أى لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم إليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتاً لا استرشاداً فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقاً للسؤال على الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدماً عليه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى أبو جهل وذووه (لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلاَ

بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى إنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ) محبوسون (عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ) يرد (بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ) فى الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآ لهم فى الآخرة فقال لرسول الله ﷺ أو للمخاطب ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب (يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) أى الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) أى للرءوس والمقدمين (لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ) أولى الاسم أى نحن حرف الانكار لأن المراد انكار أن يكون هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم (بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم) إنما وقعت إذ مضافاً إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية لأنه قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فأضيف إليها الزمان (بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ) كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) لم يأت بالعاطف فى قال الذين استكبروا وأتى به فى وقال الذين استضعفوا لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازى أى الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا) أشباهاً والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بأضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلا ونهاراً وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) أضمروا أو أظهروا وهو من الأضداد وهم الظالمون فى قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم

وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) الجحيم (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الأغلال (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) نبى (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعموها ورؤساؤها (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) هذه تسلية للنبى ﷺ مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهل مكة وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم فى الدنيا وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما أو ضيق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب وذلك قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أى تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتاً (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) الاستثناء من كم فى تقربكم يعنى أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس إلا بمعنى لكن ومن شرط جوابه (فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ) وهو من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشراً وقرأ يعقوب جزاءً الضعفُ على فأولئك لهم الضعف جزاء (بِمَا عَمِلُوا) بأعمالهم (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) أى غرف منازل الجنة الغرفة حمزة (آمِنُونَ) من كل هائل وشاغل (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا) فى إبطالها (مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع

(لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَآ أَنفَقْتُم) ما شرطية فى موضع النصب (مِّن شَىْءٍ) بيانه (فَهُوَ يُخْلِفُهُ) يعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) المطعمين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التى بهـا ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فـكم من مشته لايجد وواجد لايشتهى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ) وبالياء فيهما حفص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقريع للـكفار وارد على المثل السائر * إياك أعنى واسمعى ياجاره * ونحوه قوله أأنت قلت للنـاس اتخذونى الآية (قَالُوا) أى الملائكة (سُبْحَـٰنَكَ) تنزيهاً لك أن يعبد معك غيرك (أَنتَ وَلِيُّنَا) الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب والولى يقع على الموالِى والموالَى جميعاً والمعنى أنت الذى نواليه (مِن دُونِهِم) إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الـكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله أو كانوا يدخلون فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أَكْثَرُهُم) أكثر الإنس أو الـكفار (بِهِم) بالجن (مُّؤْمِنُونَ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرًّا) لأن الأمر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيـه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فـكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارّون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) بوضع العبادة فى غير موضعها معطوف على لايملك (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) فى الدنيا (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا) أى إذا قرىء عليهم القرآن (بَيِّنَـٰتٍ) واضحات (قَالُوا) أى المشركون (مَا هَـٰذَآ) أى محمد (إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَـٰذَآ) أى القرآن (إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى وقالوا والعدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد (لِلْحَقِّ)

للقرآن أو لأمر النبوة كله (لَمَّا جَآءَهُمْ) وعجزوا عن الإتيان بمثله (إِنْ هَٰذَآ) أى الحق (إِلَّآ سِحْرٌ مُّبِينٌ) بتوه على أنه سحر ثم بتّوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحراً (وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا) أى ما أعطينا مشركى مكة كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ) ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى وكذب الذين تقدموهم من الأمم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ) أى وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال والأولاد (فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب أى فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وإنما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لأنه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ (قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أَن تَقُومُوا) على أنه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجر وقيل هو فى محل الرفع على تقدير وهى أن تقوموا والنصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عن مجتمعهم عنده أو قيام القصد إلى الشىء دون النهوض والانتصاب والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا (لِلَّهِ) أى لوجه الله خالصاً لا لحمية ولا عصبية بل لطلب الحق (مَثْنَىٰ) اثنين اثنين (وَفُرَٰدَىٰ) فردا فردا (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فى أمر محمد ﷺ وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف

على تقوموا (مَا بِصَاحِبِكُم) يعنى محمداً ﷺ (مِّن جِنَّةٍ) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة (إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام «بعثت بين يدى الساعة» ثم بين أنه لا يطلب أجراً على الإنذار بقوله (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ) على إنذارى وتبليغى الرسالة (فَهُوَ لَكُمْ) جزاء الشرط تقديره أىّ شىء سألتكم من أجر كقوله: ما يفتح الله للناس من رحمة. ومعناه نفى مسئلة الأجر رأساً نحو مالى فى هذا فهو لك أى ليس لى فيه شىء (إِنْ أَجْرِىَ) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) فيعلم أنى لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) بالوحى والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الإلقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ) مرفوع على البدل من الضمير فى يقذف أو على أنه خبر مبتدإ محذوف (قُلْ جَآءَ الْحَقُّ) الإسلام والقرآن (وَمَا يُبْدِئُ الْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ) أى زال الباطل وهلك لأن الإبداء والإعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى ﷺ مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد» وقيل الباطل الأصنام وقيل إبليس لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحداً ولا يبعثه فالمنشىء والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قُلْ إِن ضَلَلْتُ) عن الحق (فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى) إن ضللت فمنى وعلىّ (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّى) أى فبتسديده بالوحى إلى وكان قياس التقابل أن يقال وإن اهتديت فإنما أهتدى لها كقوله: فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها. ولكن هما متقابلان معنى لأن النفس كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا

دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إِنَّهُ سَمِيعٌ) لما أقوله لكم (قَرِيبٌ) منى ومنكم يجازينى ويجازيكم (وَلَوْ تَرَىٰ) جوابه محذوف أى لرأيت أمراً عظيما وحالا هائلة (إِذْ فَزِعُوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فَلَا فَوْتَ) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وَأُخِذُوا) عطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا (مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب (وَقَالُوا) حين عاينوا العذاب (ءَامَنَّا بِهِ) بمحمد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة أو بالله (وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) التناوش: التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد أن التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشىء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع. التناؤش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لأن كل واو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم وإن شئت قلت أدؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ) من قبل العذاب أو فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشىء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم فى رسول الله ﷺ شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعراً ولا كذباً وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شىء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شىء من عاداته التى عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً ويجوز أن يكون

الضمير فى آمنا به للعذاب الشديد فى قوله: بين يدى عذاب شديد . وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وَحِيلَ) وحجز (بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله: ارجعنا نعمل صالحا. والأفعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ) بأشباههم من الكفرة (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ) من أمر الرسل والبعث (مُّرِيبٍ) موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة، هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم .

﴿ سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد ذاته تعليما وتعظيما (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها. أى ابتدأتها (وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى عباده (أُولِي) ذوى اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أو نعت له (أَجْنِحَةٍ) جمع جناح (مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير إلى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) أى يزيد فى خلق الأجنحة وغيره (مَا يَشَاءُ) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الأعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وذلاقة فى اللسان ومحبة فى قلوب

المؤمنين وما أشبه ذلك (إِنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قادر (مَّا يَفْتَحِ اللّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ) نكرت الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها واستعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله (وَمَا يُمْسِكْ) يمنع ويحبس (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ) مطلقَ له (مِن بَعْدِهِ) من بعد إمساكه وأنث الضمير الراجع إلى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره حملا على اللفظ المرجع إليه إذ لا تأنيث فيه لأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وعن معاذ مرفوعاً «لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتمن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم» (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب القادر على الإرسال والإمساك (الْحَكِيمُ) الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا) باللسان والقلب (نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ) وهي التي تقدمت من بسط الأرض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفة لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّهِ) برفع غير على الوصف لأن خالق مبتدأ خبره محذوف أي لكم وبالجر علي وحمزة على الوصف لفظاً (يَرْزُقُكُم) يجوز أن يكون مستأنفاً ويجوز أن يكون صفة لخالق (مِّنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بأنواع النبات (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) جملة مفصولة لا محل لها (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فبأي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك (وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة ولهذا نكر رسل أي رسل ذوو عدد كبير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لأنه أسلى له وتقدير الكلام وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لأن الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقاً عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أي بالتكذيب عن التأسي (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذَّب والمكذِّب بما يستحقانه، ترجع بفتح التاء شامي

وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء (حَقٌّ) كائن (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا) فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) أى الشيطان فإنه يمنيكم الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك (إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدنّ منكم إلا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ) ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أى أتباعه (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه السلام (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا) بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكأن رسول الله ﷺ قال لا، فقال (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ) وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه فلا تُذهب نفسَك يزيد أى لا تهلكها حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزناً ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَـٰحَ) الريح مكى وحمزة وعلى (فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ) بالتشديد مدنى وحمزة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فَأَحْيَيْنَا بِهِ) بالمطر لتقدم ذكره ضمناً (الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها وإنما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق

السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ماهو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كَذَٰلِكَ النُّشُورُ) الكاف فى محل الرفع أى مثل إحياء الموات نشور الأموات قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) أى العزة كلها مختصة ، بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال: واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا. والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا . فبين أن لا عزة إلا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لأن الشىء لايطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهى عند الأبرار. تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت مايدل عليه مقامه وفى الحديث «إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز» ثم عرف أن مايطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) ومعنى قوله إليه إلى محل القبول والرضا وكل مااتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو إلى حيث لاينفذ فيه إلا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد أى لا إله إلا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لايقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل أى العمل الصالح يرفعه الله وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذى يرفع العبد (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) هى صفة لمصدر محذوف أى المكرات السيئات لأن مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ) مبتدأ (هُوَ) فصل (يَبُورُ) خبر أى ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أى يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم

وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله (وَاللهُ خَلَقَكُم) أي أباكم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ) أنشأكم (مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) أصنافا أو ذكرانا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) هو فى موضع الحال أى إلا معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ) أى وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه (وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) يعنى اللوح أو صحيفة الإنسان ولا ينقص زيد فإن قلت الإنسان إما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون: لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق. أو تأويل الآية أنه يكتب فى الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (إِنَّ ذَٰلِكَ) أى إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) سهل (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا) أى أحدهما (عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش (سَائِغٌ شَرَابُهُ) مريء سهل الانحدار لعذوبته وبه ينتفع شرابه (وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بملوحته (وَمِن كُلٍّ) ومن كل واحد منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) وهى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ) فى كل (مَوَاخِرَ) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أى شقته وهى جمع ماخرة (لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ما آتاكم من فضله. ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد

قسوة. ثم قال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ) يدخل من ساعات أحدهما فى الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أى ذلل أضواء صوره لاستواء سيره (كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) أى يوم القيامة ينقطع جريهما (ذَٰلِكُمُ) مبتدأ (اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) يعنى الأصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة (مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (إِن تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) لأنهم جماد (وَلَوْ سَمِعُوا) على سبيل الفرض (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) لأنهم لايدّعون ماتدّعون لهم من الإلهية ويتبرءون منها (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور، وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأنى خبير بما أخبرت به (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) قال ذوالنون الخلق محتاجون إليه فى كل نفس وخطره ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن الأشياء أجمع (الْحَمِيدُ) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الأغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم إذ ليس كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان الغنى جوادا منعما وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم. قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه. فينبغى للعبد أن يكون مفتقرا بالسر إليه ومنقطعا عن الغير إليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هى الذل والخضوع وعلامته أن لايسأل من أحد. وقال الواسطى: من استغنى بالله لايفتقر ومن تعزز بالله لايذل. وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى. وقال يحيى: الفقر خير للعبد من

الغنى لأن المذلة فى الفقر والـكبر فى الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خيرمن الرجوع إليه بتـكثير الأعمال. وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله فى كل شىء والفقر إليه فى كل شىء والرجوع إليه من كل شىء وقال الشبلى الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) كلكم إلى العدم فإن غناه بذاته لابكم فى القدم(وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو بدون حدكم حيد (وَمَا ذَٰلِكَ)الإنشاء والإفناء (عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لايشرك به شيئا (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى والوزر والوقر أخوان ووزَر الشىء إذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذنفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار وإنما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى لأن المعنى ان النفوس الوازرات لاترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لاوزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد فى الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم مافيها شىء من وزر غيرهم الاترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء (وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ) أى نفس مثقلة بالذنوب أحدا (إِلَىٰ حِمْلِهَا) ثقلها أى ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك (لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ) أى المدعو وهو مفهوم من قوله وإن تدع (ذَا قُرْبَىٰ) ذاقرابة قريبة كأب أو ولد أوأخ والفرق بين معنى قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى ومعنى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شىء أن الأول دال على عدل الله فى حكمه وأن لايؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى بيان أنه لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلتها الأوزار لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها(إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم) أى إنما ينتفع بإنذارك هؤلاء (بِالْغَيْبِ) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أويخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)فى مواقيتها (وَمَن تَزَكَّىٰ)تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ)وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكى (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع وهو وعد للمتزكى بالثواب (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) مثل للكافر والمؤمن أوللجاهل والعالم(وَلَا الظُّلُمَاتُ)مثل للكفر (وَلَا النُّورُ)للإيمان (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار كالسموم إلا

أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار. عن الفراء (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) مثل للذين دخلوا فى الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة. لا لتأكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها وترا إلى وتر (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت تخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص على إسلام قوم مخذولين. شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) أى ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى إرسالا مصحوبا بالحق (بَشِيرًا) بالوعد (وَنَذِيرًا) بالوعيد (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ) وما من أمة قبل أمتك. والأمة: الجماعة الكثيرة وجدعليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الأمم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (إِلَّا خَلَا) مضى (فِيهَا نَذِيرٌ) يخوفهم وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير فى آخر الآية بعد ماذكرها لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) حال وقد مضمرة (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (وَبِالزُّبُرِ) وبالصحف (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) أى التوراة والإنجيل والزبور ولما كانت هذه الأشياء فى جنسهم أسند المجىء بها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ (ثُمَّ أَخَذْتُ) عاقبت (الَّذِينَ كَفَرُوا) بأنواع العقوبة (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم وتعذيبى لهم (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ) طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) جمع غربيب وهو تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع إلا أنه أضمر المؤكد قبله والذى بعده

تفسير للمضمر وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كَذَٰلِكَ) أى كاختلاف الثمرات والجبال. ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفى الحديث «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله: ولا يخشون أحدا إلا الله. وبينهما تغاير، ففى الأول بيان أن الخاشين هم العلماء وفى الثانى بيان أن المخشى منه هو الله تعالى. وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يعظم الله من عباده العلماء (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يداومون على تلاوة القرآن (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) أى مسرين النفل ومعلنين الفرض يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يَرْجُونَ) خبر إن (تِجَارَةً) هى طلب الثواب بالطاعة (لَّن تَبُورَ) لن تكسد يعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله (لِيُوَفِّيَهُمْ) متعلق بلن تبور أى ليوفيهم بنفاقها عنده (أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه. أو يرجون فى موضع الحال أى راجين. واللام فى ليوفيهم تتعلق بيتلون وما بعده أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض وخبر إن (إِنَّهُ غَفُورٌ) لفرطاتهم (شَكُورٌ) أى غفور لهم شكور لأعمالهم أى يعطى الجزيل على العمل القليل (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) أى القرآن. ومن للتبيين (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) لما تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لأن يوحى إليك

مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) أى أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أى حكمنا بتوريثه (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وهو المرجأ لأمر الله (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) وهذا التأويل يوافق التنزيل فإنه تعالى قال: والسابقون الأولون من المهاجرين الآية وقال بعده: وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده: وآخرون مرجون لأمر الله. الآية والحديث فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله ﷺ «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وعنه عليه السلام «السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه لاينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة» رواه أبو الدرداء. والأثر فمن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله: والذين كفروا لهم نار جهنم. وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع إلى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور وإنما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء إنما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل إنما قدمه ليعرّفه أن ذنبه لايبعده من ربه وقيل إن أول الأحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذى يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذى يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها إلا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (بِإِذْنِ اللَّهِ)

بأمره أوبعلمه أو بتوفيقه (ذَٰلِكَ) أى إيراث الكتاب (هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ جَنَّٰتُ عَدْنٍ)
خبر ثان لذلك أوخبر مبتدأ محذوف أومبتدأ والخبر (يَدْخُلُونَهَا) أى الفرق الثلاثة يُدخَلونها
أبو عمرو (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) جمع أسورة جمع سوار (مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) أى من
ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من أساور أى يحلون
أساور ولؤلؤا (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) لما فيه من اللذة والزينة (وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) يغفر
الجنايات وإن كثرت (شَكُورٌ) يقبل الطاعات وإن قلت (ٱلَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ) أى
الإقامة لانبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة (مِن فَضْلِهِ) من عطائه
وإفضاله لاباستحقاقنا (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب ومشقة (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء
من التعب وفترة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى لغوب بفتح اللام وهو شىء يلغب منه أى لانتكلف
عملا يلغبنا (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) جواب النفى
ونصبه بإضمار أن أى لايقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا)
من عذاب نار جهنم (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الجزاء (نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ) يُجزَى كلُّ كفور
أبو عمرو (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد
ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (رَبَّنَا) يقولون ربنا (أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) أى أخرجنا من النار ردنا إلى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطع
بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ)
يجوز أن يكون مانكرة موصوفة أى تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر
تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم ثم قيل هو
ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ) الرسول عليه السلام
أو المشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه إخبار كأنه قيل
قد عمرناكم وجاءكم النذير (فَذُوقُوا) العذاب (فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) ناصر يعينهم (إِنَّ
ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ماغاب فيهما عنكم (إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)
كالتعليل لأنه إذا علم مافى الصدور وهو أخفى مايكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور
مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية أى ما فى
بطنها من الحبل لأن الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذوموضوع لمعنى

الصحبة (هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰئِفَ فِى الْأَرْضِ) يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف والمعنى أنه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على مافيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فَمَن كَفَرَ) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) فوبال كفره راجع عليه وهومقت الله وخسار الآخرة كما قال (وَلَا يَزِيدُ الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا) وهو أشد البغض (وَلَا يَزِيدُ الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) هلاكا وخسرانا (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ) آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أرونى بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قيل أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَٰوَٰتِ) أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بَلْ إِن يَعِدُ) مايعد (الظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بَعْضًا) أى الأتباع (إِلَّا غُرُورًا) هوقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا) يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع (وَلَئِن زَالَتَا) على سبيل الفرض (إِنْ أَمْسَكَهُمَا) ماأمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ) من بعد إمساكه ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّاهدًّا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض الآية (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) نصب على المصدر أى إقساما بليغا أوعلى الحال أى جاهدين فى أيمانهم (لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) بلغ قريشا قبل مبعث النبى ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أى من الأمة التى يقال فيها هى إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هى إحدى الدواهى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) فلما بعث رسول الله ﷺ (مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) أى مازادهم مجىء الرسول ﷺ إلا تباعدا عن

الحق وهو إسناد مجازى (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) مفعول له وكذا (وَمَكْرَ السَّيِّءِ) والمعنى ومازادهم إلانفورا للاستكبار ومكر السيء أوحال يعنى مستكبرين وما كرين برسول الله ﷺ وأصل قوله ومكر السيء وأن مكروا السيء أى المكر السيء ثم ومكراً السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله (وَلَا يَحِيقُ) يحيط وينزل (الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) ولقد حاق بهم يوم بدر وفى المثل من حفر لأخيه جبا وقع فيه مكبا (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذاب مثل الذى نزل بمن قبلهم من مكذبى الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) بين أن سنته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل سنة لايبدلها فى ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لامحالة (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من أهل مكة (قُوَّةً) اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ) ليسبقه ويفوته (مِن شَيْءٍ) أى شيء (فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا) بهم (قَدِيرًا) قادرا عليهم (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) بما اقترفوا من المعاصى (مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض فى قوله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض (مِن دَابَّةٍ) من نسمة تدب عليها (وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب .

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله سورة يس عليه الصلاة والسلام ﴾

تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

عليه سحائب الرحمة

والرضوان

الجزء الرابع

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ يس ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا إنسان فى لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفى الحديث: ان الله سمانى فى القرآن بسبعة أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله. وقيل ياسيد . ياسين بالإمالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (وَالْقُرْءَانِ) قسم (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا: لست مرسلا (عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) خبر بعد خبر أوصلة للمرسلين أى الذين أرسلوا على صراط مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الإسلام (تَنزِيلَ) بنصب اللام شامى وكوفى غير أبى بكر على اقرأ تنزيل أو على أنه مصدر أى نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (الْعَزِيزِ) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد (الرَّحِيمِ) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولى الرشاد واللام فى (لِتُنذِرَ قَوْمًا) متصل بمعنى المرسلين أى أرسلت لتنذر قوما (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) ما نافية عند الجمهور أى قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ـ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير. أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى أى العذاب الذى أنذره آباؤهم كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم (فَهُمْ غَٰفِلُونَ) إن جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون وإلا فهو متعلق بقوله: إنك لمن المرسلين لتنذر. كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يعنى قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لاسبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم فى أن لاتأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ) معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) مرفوعة رءوسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى فرفع رأسه وهذا لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقمحا (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أى سواء عليهم الإنذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم إن صدق فتب عليه وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) أى إنما ينتفع بإنذارك من اتبع القرآن (وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ) وخاف عقاب الله ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) وهى العفو عن ذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) أى الجنة (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) ماأسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها (وَآثَارَهُمْ) ماهلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيىء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله

تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي خطام إلى الجمعة أو إلى الجماعة (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ) عددناه وبيناه (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يعني اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) ومثل لهم من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى أنطاكية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للأول وانتصاب (إِذْ) بأنه بدل من أصحاب القرية (جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان (إِذْ) بدل من إذ الأولى (أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ) أى أرسل عيسى بأمرنا (اثْنَيْنِ) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام، فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شيء ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر إن إلهنا لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إنى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ماأنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قدأثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فَكَذَّبُوهُمَا) فكذب أصحاب القرية الرسولين

(فَعَزَّزْنَا) فقويناهما، فعززنا أبو بكرمن عزّه يعزّه إذا غلبه أى فغلبناوقهرنا(بِثَالِثٍ) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ماسواه مرفوض (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ)أى قال الثلاثة لأهل القرية (قَالُوا) أى أصحاب القرية (مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ماهذا بشراً لانتقاض النفى بإلا فلم يبق لما شبه بليس وهو الوجب لعمله (وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ) أى وحيا(إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) ماأنتم إلا كذبة(قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) أكد الثانى باللام دون الأول لأن الأول ابتداء إخبار والثانى جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد وربنا يعلم جارمجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا) عن مقالتكم هذه (لَنَرْجُمَنَّكُمْ) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قَالُوا طَائِرُكُم) أى سبب شؤمكم (مَّعَكُمْ) وهو الكفر (أَئِن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذُكِّرْتُم) وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم، آين بهمزة ممدودة بعدها ياءمكسورة أبوعمرو، وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون عن يجب التبرك به من رسل الله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ماجئتم به أجرا قالوا لا(قَالَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) على تبليغ الرسالة (وَهُم مُّهْتَدُونَ) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال

﴿ وَمَالِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى ﴾ خلقنى ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وإليه مرجعكم، ومالى حمزة ﴿ ءَأَتَّخِذُ ﴾ بهمزتين كوفى ﴿ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ يعنى الأصنام ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ شرط جوابه ﴿ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ من مكروه، ولا ينقذونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب ﴿ إِنِّى إِذًا ﴾ أى إذا اتخذت ﴿ لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم ﴿ إِنِّى ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ أى اسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به ولما قتل ﴿ قِيلَ ﴾ له ﴿ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ وقبره فى سوق أنطاكية ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة. وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو فى الجنة ولا يموت إلا بفناء السموات والأرض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾ أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفرلى ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ بالجنة ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا ﴾ ما نافيه ﴿ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ قوم حبيب ﴿ مِن بَعْدِهِ ﴾ أى من بعد قتله أو رفعه ﴿ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ لتعذيبهم ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك ﴿ إِن كَانَتْ ﴾ الأخذة أو العقوبة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ ألم يعلموا ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ كم نصب بأهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم ﴿ وَإِن

كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى إلا وإن نافية وغيرهم بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لامحالة والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وإنما أخبر عن كل بجميع لأن كلا يفيد معنى الإحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى أن المحشر يجمعهم (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ) اليابسة وبالتشديد مدنى (أَحْيَيْنَاهَا) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه :

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) أريد به الجنس (فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشىء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وَجَعَلْنَا فِيهَا) فى الأرض (جَنَّاتٍ) بساتين (مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) من زائدة عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ماينتفعون به (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ) والضمير لله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر. من ثُمُره حمزة وعلى (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة .

فيها خطوط من بياض وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك ، وما عملت كوفى غير حفص وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على أن الثمر

خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) استبطاء وحث على شكر النعمة (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ) من النخيل والشجر والزرع والثمر (وَمِنْ أَنفُسِهِمْ) الأولاد ذكوراً وإناثاً (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها فى الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) داخلون فى الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِي) وآية لهم الشمس تجرى (لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) لحد لها موقت مقدر تنتهى إليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذَٰلِكَ) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الغالب بقدرته على كل مقدور (الْعَلِيمِ) بكل معلوم (وَالْقَمَرَ) نصب بفعل يفسره (قَدَّرْنَاهُ) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (مَنَازِلَ) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ولا بد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفاً فإذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ) هو عود الشمراخ إذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (الْقَدِيمِ) العتيق المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيرين سلطاناً على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع

الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وَكُلٌّ) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى وكلهم والضمير للشموس والأقمار (فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يسيرون (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) ذرياتهم مدنى وشامى (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) أى المملوء والمراد بالذرية الأولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم إلى التجارات فى بر أو بحر أو الآباء لأنها من الأضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم . وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ) من مثل الفلك (مَا يَرْكَبُونَ) من الإبل وهى سفائن البر (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) فى البحر (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) فلا مغيث أو فلا إغاثة (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ) لا ينجون (إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) أى ولا ينقذون إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل، فهما منصوبان على المفعول له (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لأن قوله (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يدل عليه ومن الأولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لمشركى مكة (أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أى تصدقوا على الفقراء (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) أى وعد البعث والقيامة (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (مَا يَنظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) هى النفخة الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يختصمون بإدغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة إليها وبسكون الخاء مدنى

وبكسر الياء والخاء يحي فأتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) فلا يستطيعون أن يوصوا فى شىء من أمورهم توصية (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ) أى القبور (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) يعدون بكسر السين وضمها (قَالُوا) أى الكفار (يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا) من أنشرنا (مِن مَّرْقَدِنَا) أى مضجعنا، وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا، ومامصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (إِن كَانَتْ) النفخة الأخيرة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ) بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو [1] والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لايوصف، وهو افتضاض الأبكار على شط الأنهار تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة الجبار (فَاكِهُونَ) خبر ثان فكهون يزيد، والفاكه والفكه: المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ) عطف عليه (فِي ظِلَالٍ) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلىّ، ظُلَل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع الأريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (مُتَّكِئُونَ) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الأرائك مستأنف (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه علىّ عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون (سَلَامٌ) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم

(١) فى نسخة خطية: والمعنى فى أى شغل فى شغل لايوصف، وهى أظهر .

(قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه. قال ابن عباس: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولا يرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم (وَأَنِ اعْبُدُونِي) وحدونى وأطيعونى (هَـٰذَا) إشارة إلى ماعهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جُبْلاً مخففا شامى وأبو عمرو وجُبُلاً بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هَـٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) بها (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ) أى نمنعهم من الكلام (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم، وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة إنى لاأجيز علىّ إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه أنطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكُنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَٰطَ) على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط (فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ) قردة أو خنازير أو حجارة (عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ ﴾ عاصم وحمزة، والتنكيس: جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون نَنكُسه ﴿ فِي الْخَلْقِ ﴾ أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عزوجل: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت ، وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ شاعر فنزل ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته ﴿ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله .

أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفى سبيل الله مالقيت

فما هو إلا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون ، وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أى العلم ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾

أى ماهو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لِّيُنذِرَ) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (مَن كَانَ حَيًّا) عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو حيا بالقلب (وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ) وتجب كلمة العذاب (عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الأموات (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَٰمًا) أى مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ) أى خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ) وصيرناها منقادة لهم وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) وهو ما يركب (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ) من الجلود والأوبار وغير ذلك (وَمَشَارِبُ) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الله على إنعام الأنعام (وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حزبهم أمر (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم (نَصْرَهُمْ) نصر عابديهم (وَهُمْ لَهُمْ) أى الكفار للأصنام (جُندٌ) أعوان وشيعة (مُّحْضَرُونَ) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من عداوتهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم أن من قرأ أنا نعلم بالفتح فسدت صلاته وإن اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله ﷺ أن الحمد والنعمة لك ، كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من قولهم

كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم مايسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت : هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لايدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ماعظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه إلا نهى رسول الله ﷺ عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم، والنهى عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك كأنى قوله: فلا تكونن ظهيرا للكافرين، ولاتكونن من المشركين، ولا تدع مع الله إلها آخر. ونزل فى أبى بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول : يامحمد أترى الله يحى هذا بعد مارم، فقال رسول الله ﷺ «نعم ويبعثك ويدخلك جهنم» (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ) مذرة خارجة من الإحليل الذى هو قناة النجاسة(فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) بين الخصومة أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) بفته العظم (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المنى فهو أغرب من إحياء العظم ، المصدر مضاف إلى المفعول أى خلقنا إياه (قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)هو اسم لمابلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيهامن قبل أن الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لأن الحياة لاتحلها فلايؤثر فيهاالموت والمراد بإحياء العظام فى الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا) خلقها(أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى ابتداء (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ) مخلوق (عَلِيمٌ) لاتخفى عليه أجزاؤه وإن تفرقت فى البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لأن المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر

تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار بإذن الله، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسى أقدر بقوله ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ فى الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ أو ليس به ﴿ بَلَىٰ ﴾ أى قل بلى هو قادر على ذلك ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾ الكثير المخلوقات ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الكثير المعلومات ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ ﴾ شأنه ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ أن يكونه ﴿ فَيَكُونُ ﴾ فيحدث أى فهو كائن موجود لامحالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم، فيكونَ شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن ﴿ فَسُبْحَٰنَ ﴾ تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ماقالوا ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أى ملك كل شىء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شىء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تعادون بعد الموت بلا فوت، تَرجعون يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام «إن لكل شىء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة» وقال عليه السلام «من قرأ يس أمام حاجته قضيت له» وقال عليه السلام «من قرأها إن كان جائعا أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وإن كان عريانا ألبسه الله وإن كان خائفا أمنه الله وإن كان مستوحشا آنسه الله وإن كان فقيرا أغناه الله وإن كان فى السجن أخرجه الله وإن كان أسيرا خلصه الله وإن كان ضالا هداه الله وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه» وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم .

﴿ سورة والصافات مكية وهى مائة وإحدى، أو اثنتان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالإلهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك، وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ) قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة إلها واحدا (رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب (وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ) أى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب منها ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فإنه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا) القربى منكم تأنيث الأدنى (بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) حفص وحمزة على البدل من زينة والمعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، بزينةٍ الكواكبَ أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على إضمار أعنى أو على إعمال المصدر منونا فى المفعول، بزينةِ الكواكبِ غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينةٍ الكواكبُ أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينةٍ الكواكبَ لقراءة أبى بكر (وَحِفْظًا) محمول على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان قد زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها

حفظا (مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ) خارج من الطاعة والضمير فى (لَّا يَسَّمَّعُونَ) لـكل شيطان لأنه فى معنى الشياطين، يسَّمَّعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لايقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أويتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تـكرمنى فبقى أن لايسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فإن كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده ولـكن اجتماعهما منـكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) أى الملائـكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض (وَيُقْذَفُونَ) يرمون بالشهب (مِن كُلِّ جَانِبٍ) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دُحُورًا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فـكأنه قيل يدحرون أوقذفا (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم من الوصوب أى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (إِلَّا مَنْ) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لايسمع الشياطين إلا الشيطان الذى (خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيئا من كلامهم بسرعة (فَأَتْبَعَهُ) لحقه (شِهَابٌ) أى نجم رجم (ثَاقِبٌ) مضىء (فَاسْتَفْتِهِمْ) فاستخبر كفار مكة (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنـكارهم البعث وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أَم مَّنْ خَلَقْنَا) يريد ماذكر من خلائقه من الملائـكة والسموات والأرض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)

لاصق أو لازم وقرىء به وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن مايصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده مايتلوه من ذكر إنكارهم البعث (بَلْ عَجِبْتَ) من تكذيبهم إياك (وَيَسْخَرُونَ) هم منك ومن تعجيبك أو عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، بل عجبتُ حمزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشىء فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لأنه لايجوز عليه الروعة أو معناه قل يامحمد بل عجبتُ (وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشىء لايتعظون به (وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يَسْتَسْخِرُونَ) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون فى السخرية (وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا) ماهذا (إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر (أَءِذَا) استفهام إنكار (مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) أى أنبعث إذا كنا ترابا وعظاما (أَوَءَابَاؤُنَا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الإنكار (الْأَوَّلُونَ) الأقدمون (قُلْ نَعَمْ) تبعثون. نعِم على وهما لغتان (وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ) صاغرون (فَإِنَّمَا هِىَ) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هى إلا (زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ) وهى لا ترجع إلى شىء إنما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها (فَإِذَاهُمْ) أحياء بصراء (يَنظُرُونَ) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا (هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) ثم يحتمل أن يكون هـذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنـا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جواباً لهم

﴿ احْشُرُوا ﴾ خطاب الله للملائكة ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ كفروا ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرىء بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أى الأصنام ﴿ فَاهْدُوهُمْ ﴾ دلوهم، عن الأصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية ﴿ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ طريق النار ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ احبسوهم ﴿ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ عن أقوالهم وأفعالهم ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أى لا ينصر بعضكم بعضاً وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى ما لكم غير متناصرين ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أى التابع على المتبوع ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يتخاصمون ﴿ قَالُوا ﴾ أى الأتباع للمتبوعين ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى أنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه ﴿ قَالُوا ﴾ أى الرؤساء ﴿ بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أى بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴾ بل كنتم قوماً مختارين الطغيان ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا ﴾ فلزمنا جميعاً ﴿ قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ ﴾ فدعوناكم إلى الغى ﴿ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أى بالمشركين إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا ﴾ بهمزتين شامى وكوفى ﴿ لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يعنون محمداً عليه السلام ﴿ بَلْ جَاءَ

بِالْحَقِّ) رد على المشركين (وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) كقوله: مصدقا لما بين يديه. (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) بلا زيادة (إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَٰكِهُ) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا. والنفس إليه أسكن (وَهُم مُّكْرَمُونَ) منعمون (فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ) يجوز أن يكون ظرفاً وأن يكون حالا وأن يكون خبراً بعد خبر وكذا (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ) التقابل أتم للسرور وآنس (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً وعن الأخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (مِّن مَّعِينٍ) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى: وأنهار من خمر (بَيْضَآءَ) صفة للكأس (لَذَّةٍ) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (لِّلشَّٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) يسكرون من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف، يُنزِفون على وحمزة أى لا يسكرون أولا ينزف شرابهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه (وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم (عِينٌ) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) يعنى أهل الجنة . (عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ) عطف على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشَّرب قال :

وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا إلا أنه جىء به ماضيا على ماعرف فى أخباره (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ يَقُولُ أَءِنَّكَ) بهمزتين شامى وكوفى (لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) بيوم الدين (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قَالَ) ذلك القائل (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ) إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل: إن فى الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. أوقال الله تعالى لأهل الجنة :هل أنتم مطلعون إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فَاطَّلَعَ) المسلم (فَرَءَاهُ) أى قرينه (فِى سَوَآءِ الْجَحِيمِ) فى وسطها (قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ) إن مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام (لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لايذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة . وقيل لحكيم ماشر من الموت قال: الذى يتمنى فيه الموت. وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب. وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت إلا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قدكانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (إِنَّ هَٰذَا) أى الأمر الذى نحن فيه (لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ثم قال الله عز وجل (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) وقيل هو أيضا من كلامه (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا) تمييز (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق. والزقوم: شجرة مر يكون بتهامة (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برءوس الشياطين

الدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا) من الشجرة أى من طلعها (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا) على أكلها (لَشَوْبًا) لخلطا ولمزاجا (مِّنْ حَمِيمٍ) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم إنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملىّ تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ماهو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) أى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم إياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل. والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ) قبل قومك قريش (أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ) أنبياء حذروهم العواقب (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه إياه حين أيس من قومه بقوله (وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ مايكون (وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ) ومن آمن به وأولاده (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) وهو الغرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) وقد فنى غيرهم قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ) من الأمم هذه الكلمة وهى (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فِي ٱلْعَٰلَمِينَ) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ) أى الكافرين (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وصالح (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ) إذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (إِذْ) بدل من الأولى (قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به أى أتريدون إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة دون الله على أنها إفك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فَمَا ظَنُّكُم) أىّ شىء ظنكم (بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ) أى نظر فى النجوم راميا ببصره إلى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم أنه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه يسقم (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الإسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب

حرام إلا إذا عرّض والذى قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أومن الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء. ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح مَن الموت فى عنقه أو أراد إنى سقيم النفس لكفركم كما يقال أنامريض القلب من كذا(فَتَوَلَّوْا) فأعرضوا(عَنْهُ مُدْبِرِينَ) أى مولين الأدبار(فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فمال إليهم سرا (فَقَالَ) استهزاء(أَلَا تَأْكُلُونَ)وكان عندها طعام (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أوفراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (بِالْيَمِينِ) أى ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدها أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ) إلى إبراهيم(يَزِفُّونَ) يسرعون من الزفيف وهو الإسراع. يُزفون حمزة من أزفّ إذا دخل فى الزفيف إزفافا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) بأيديكم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وخلق ماتعملونه من الأصنام أو مامصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الأفعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قَالُوا ابْنُوا لَهُ) أى لأجله (بُنْيَانًا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا)بإلقائه فى النار (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) المقهورين عند الإلقاء نخرج من النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) إلى موضع أمرنى بالذهاب إليه (سَيَهْدِينِ) سيرشدنى إلى مافيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى. سيهدينى فيهما يعقوب (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب فى الولد (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبى لايوصف بالحلم وأنه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . ثم استسلم لذلك

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه. ومعه لايتعلق يبلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لأن صلة المصدر لاتتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان إذذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَٰبُنَيَّ) حفص والباقون بكسر الياء(إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ) وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر(فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) من الرأى على وجه المشاورة لامن رؤية العين ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر. تُرى على وحمزة أى ماذا تصبر من رأيك وتبديه(قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) أى ماتؤمر به وقرئ به(سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) على الذبح روى أن الذبيح قال لأبيه ياأبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لاأوذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى واجعل وجهى إلى الأرض ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أمى السلام وإن رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها(فَلَمَّآ أَسْلَمَا)انقادا لأمر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه(وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ)صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا روى أن ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ)أى حققت ماأمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ماأنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة

البينة (وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ) هو مايذبح وعن ابن عباس هو الـكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عَظِيمٍ) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الأضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة والأظهر أن الذبيح إسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام «أنا ابن الذبيحين» فأحدهما جده إسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الإبل ولأن قرنى الـكبش كانا منوطين فى الـكعبة فى أيدى بنى إسمعيل إلى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان إسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه إسحق ويدل عليـه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وإنمـا قيل وفديناه وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح لأنه تعالى وهب له الـكبش ليفتدى به وههنا إشكال وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فإن كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وإن لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولـكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل إبراهيم ووهب الله له الـكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس إسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحـكم كان ثابتاً إلا أن المحل الذى أضيف إليه لم يحله الحـكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم

الأمر عند المخاطب فى آخر الحال على أن المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قرباناً بنسبة الحكم إليه مكرماً بالفداء الحاصل لمرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخاً (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ) ولا وقف عليه لأن (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ) مفعول وتركنا (كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) ولم يقل إنا كذلك هنا كما فى غيره لأنه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا) حال مقدرة من إسحق ولابد من تقدير مضاف محذوف أى وبشرناه بوجود إسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوّته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبى لابد وأن يكون من الصالحين (وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ) كافر (مُبِينٌ) ظاهر أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لايجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (وَلَقَدْ مَنَنَّا) أنعمنا (عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (وَنَصَرْنَٰهُمْ) أى موسى وهرون وقومهما (فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ) على فرعون وقومه (وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو إدريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وإن إدريس

فى موضع إلياس (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ) الا تخافون الله (أَتَدْعُونَ) أتعبدون (بَعْلًا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم وقيل فى إلياس والخضر إنهما حيان وقيل إلياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار، والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس إنهما حيان (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) بنصب الكل عراق غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) فى النار (إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) من قومه (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْأَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ) أى إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لأن ياسين اسم أبى إلياس فأضيف إليه الآل (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا فِى الْغَابِرِينَ) فى الباقين (ثُمَّ دَمَّرْنَا) أهلكنا (الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ) يا أهل مكة (لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ) داخلين فى الصباح (وَبِاللَّيْلِ) والوقف عليه مطلق (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم إلى الشأم ليلا ونهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ) الإباق : الهرب إلى حيث لايهتدى إليه الطلب، فسمى هربه من قومه بغير إذن ربه إباقاً مجازاً (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فَسَاهَمَ) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة : إلقاء السهام على جهة القرعة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المغلوبين بالقرعة (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) فابتلعه (وَهُوَ مُلِيمٌ)

داخل فى الملامة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح أو من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة. ويقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الظاهر لبثه حيا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) فألقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وَهُوَ سَقِيمٌ) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الإنسان (مِّن يَقْطِينٍ) الجمهور على أنه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وأنه أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً وقيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع قال «أجل هى شجرة أخى يونس» (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أَوْ يَزِيدُونَ) فى مرأى الناظر أى إذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فَآمَنُوا) به وبما أرسل به (فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) إلى منتهى آجالهم (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقاً وإن تباعدت بينهما المسافة. أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وقولهم (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل

استفهاء عنها بهمزة الاستفهام (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ) الذى أنزل عليكم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعواكم (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ) بين الله (وَبَيْنَ الْجِنَّةِ) الملائكة لاستتارهم (نَسَبًا) وهو زعمهم أنهم بناته أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فَإِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ) ومعبوديكم (مَآ أَنتُمْ) وهم جميعاً (عَلَيْهِ) على الله (بِفَٰتِنِينَ) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) بكسر اللام أى لستم تضلون أحداً إلا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحداً إلا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعاً فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (وَمَا مِنَّآ) أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين

ويبرءوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتضلوه إلا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعاً لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله ﷺ يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ) أى كتاباً من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وإن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الكلمة قوله (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وإنما سماها كلمة وهى كلمات لأنها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فأعرض عنهم (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة (وَأَبْصِرْهُمْ) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر إليهم إذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) قبل حينه (فَإِذَا نَزَلَ) العذاب (بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم (فَسَاءَ صَبَاحُ

الْمُنذَرِينَ) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. مثّل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله : تعز من تشاء. (عَمَّا يَصِفُونَ) من الولد والصاحبة والشريك (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لأن فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصرى وست مدنى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(صٓ) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الإعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ) أى ذى الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدإ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز ثم قال (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ) تكبر من الإذعان لذلك والاعتراف بالحق (وَشِقَاقٍ) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرىء فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كَمْ أَهْلَكْنَا) وعيد لذوى العزة والشقاق (مِن قَبْلِهِم) من قبل قومك (مِّن قَرْنٍ) من أمة (فَنَادَوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (وَّلَاتَ) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزها جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان وقوله (حِينَ مَنَاصٍ) منجا منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم) من أن جاءهم (مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ) ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذباً ساحراً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج

ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبوطالب رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك. فقال عليه السلام: ماذا يسألونى؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام: أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم . قالوا نعم وعشراً أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله . فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً أى أصيّر إن هذا لشيء عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له (وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وأن بمعنى أى لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمناً معنى القول (وَاصْبِرُوا عَلَىٰ) عبادة (ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا) الأمر (لَشَيْءٌ يُرَادُ) أى يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) بالتوحيد (فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثه غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا (إِنْ هَٰذَا) ما هذا (إِلَّا اخْتِلَاقٌ) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) القرآن (مِن بَيْنِنَا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي) من القرآن (بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) بل لم يذوقوا عذابى بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن من شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها

على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الإلهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى إلى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جُندٌ) مبتدأ (مَّا) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هُنَالِكَ) إشارة إلى بدر ومصارعهم أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مَهْزُومٌ) مكسور (مِّنَ الْأَحْزَابِ) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ) نوحاً (وَعَادٌ) هودا (وَفِرْعَوْنُ) موسى (ذُو الْأَوْتَادِ) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه (وَثَمُودُ) وهم قوم صالح صالحا (وَقَوْمُ لُوطٍ) لوطا (وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ) الغيضة شعيبا (أُوْلَئِكَ الْأَحْزَابُ) أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبيّن المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانياً وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فَحَقَّ عِقَابِ) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم. عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) أى النفخة الأولى وهى الفزع الأكبر (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى إذا جاء

وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) حظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله: ويستعجلونك بالعذاب . وأصل القط القسط من الشىء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فيك وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة فى الدين وما يدل على أن الأيد القوة فى الدين قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الأيد روى أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (إِنَّا سَخَّرْنَا) ذللنا (الْجِبَالَ مَعَهُ) قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يُسَبِّحْنَ) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شىء وحالا بعد حال (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) أى فى طرف النهار والعشى وقت العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولمّا تُشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجّع للتسبيح (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو

حكمة (وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات. وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فإن من تكلم فى الأمر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر فى الأصل تقول خصمه خصما وانتصاب (إِذْ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ) تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد (إِذْ) بدل من الأولى (دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ) روى أن الله تعالى بعث إليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ) خبر مبتدإ محذوف أى نحن خصمان (بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ) تعدى وظلم (فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ) وأرشدنا إلى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه . روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له إنك مع عظم

منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفنـاء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى إظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرّض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثراً فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) هو بدل من هذا أو خبر لإن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله وإن كثيراً من الخلطاء (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) ولىَ حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويراً للمسئلة وفرضاً لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وَعَزَّنِي) وغلبنى يقال عزه يعزه (فِي الْخِطَابِ) فى الخصومة أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطاباً أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّه فى

فلك محاجة حريص على بلوغ مراده وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ) حتى يكون محجوجاً بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول وقد ضمن معنى الإضافة فعدى تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب وإنما ظلّم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحداً فعرف ما وقع فيه (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ) الشركاء والأصحاب (لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وَظَنَّ دَاوُدُ) أى علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن الغالب يدانى العلم (أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ) ابتليناه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) لزلته (وَخَرَّ رَاكِعًا) أى سقط على وجهه ساجداً لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعاً عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة (وَأَنَابَ) ورجع إلى الله بالتوبة وقيل إنه بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ) أى زلته (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ) لقربة (وَحُسْنَ مَـَٔابٍ) مرجع وهو الجنة (يَٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ) أى استخلفناك على الملك فى الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ) أى بحكم الله إذ كنت خليفته أو بالعدل (وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ) أى هوى النفس فى قضائك (فَيُضِلَّكَ) الهوى (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) دينه (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ) أى بسبب نسيانهم يوم الحساب (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) من الخلق (بَٰطِلًا) خلقا باطلا لا لحكمة

بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أنا خلقنا نفوساً أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى خلقها باطلا (ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لأنه لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر . ومن سوّى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كِتَٰبٌ) أى هذا كتاب (أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ) يعنى القرآن (مُبَٰرَكٌ) صفة أخرى (لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَٰتِهِ) وأصله ليتدبروا قرىء به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبّروا على الخطاب بحذف إحدى التاءين يزيد (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (إِنَّهُ أَوَّابٌ) وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً أى كثير الرجوع إلى الله تعالى (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ) على سليمان (بِالْعَشِىِّ) بعد الظهر (الصَّٰفِنَٰتُ) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر (الْجِيَادُ) السراع جمع جواد لأنه يجود بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون فى الهجان وإنما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى

مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً فى جريها وقيل الجيـاد الطوال الأعناق من الجيد
وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من
أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الظهر
على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت
فرضاً عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة، فما فى أيدى الناس من الجياد فمن
نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ
الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فأحببت بمعنى
آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيراً كأنها نفس
الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقال
أبو على: أحببت بمعنى جلست من إحباب البعير وهو بروكه. حب الخير أى المال مفعول له
مضاف إلى المفعول (حَتَّىٰ تَوَارَتْ) الشمس (بِالْحِجَابِ) والذى دل على أن الضمير
للشمس مرور ذكر العشى ولابد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات
أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام (رُدُّوهَا عَلَيَّ) أى قال للملائكة ردوا الشمس
على لأصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ) فجعل يمسح مسحاً أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها
يعنى يقطعها لأنها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب
إذا قطع أطرافه بسيفه وقيل إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل
مأكولة فى شريعته فلم يكن إتلافاً وقيل مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها (وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ) ابتليناه (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ) سرير ملكه (جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) رجع إلى الله
قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد
له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك
سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفاً من مضرة الشياطين فألقى ولده ميتاً على
كرسيه فتنبه على زلته فى أن لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي ﷺ «قال سليمان لأطوفن
الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله

فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون» وأما ما روى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لاَّ يَنبَغِي) لا يتسهل ولا يكون (لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي) أى دونى . وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو، وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسداً وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات (إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) الرياح أبو جعفر (تَجْرِي) حال من الريح (بِأَمْرِهِ) بأمر سليمان (رُخَاءً) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حَيْثُ) ظرف تجرى (أَصَابَ) قصد وأراد. والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (وَالشَّيَاطِينَ) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كُلَّ بَنَّاءٍ) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية (وَغَوَّاصٍ) أى ويغوصون له فى البحر لإخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وَآخَرِينَ) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد. والصفد: القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برّك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هَٰذَا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) فأعط منه ما شئت من المنة وهى العطاء (أَوْ أَمْسِكْ) من العطاء وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأثم بخلاف غيره (بِغَيْرِ حِسَابٍ) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيراً لا يكاد يقدر على حصره. أو هذه التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) لزلفى اسم إن والخبر له والعامل فى عند الخبر (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (إِذْ) بدل اشتمال منه (نَادَىٰ رَبَّهُ) دعاه (أَنِّي مَسَّنِيَ) بأنى

مسنى حكاية لكلامة الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب (الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ) قراءة العامة بنُصُب، يزيد تثقيل نُصْب بنَصَب كرشد ورشد، يعقوب بِنصْب على أصل المصدرهبيرة. والمعنى واحد وهوالتعب والمشقة (وَعَذَابٍ) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل : ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكراً فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) أى هـذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم (رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء (وَخُذْ) معطوف على اركض (بِيَدِكَ ضِغْثًا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام (إِنَّا وَجَدْنَٰهُ) علمناه (صَابِرًا) على البلاء نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم

أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان (نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ) عبدنا مكى (إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جذماً لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ) أى أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم) جعلناهم لنا خالصين (بِخَالِصَةٍ) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذِكْرَى ٱلدَّارِ) ذكرى فى محل النصب أو الرفع بإضمار أعنى أو هى أو الجر على البدل من خالصة والمعنى إنا أخلصناهم بذكرى الدار، والدار هنا: الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار، على الإضافة مدنى ونافع وهى من إضافة الشىء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف إلى المفعول أى بإخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر إنما همهم ذكرى الدار لاغير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شىء قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ) المختارين من بين أبناء جنسهم (ٱلْأَخْيَارِ) جمع خير أو خير على التخفيف كأموات فى جمع ميت أو ميت (وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ) كأن حرف التعريف دخل على يسع (وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ) التنوين عوض عن المضاف إليه أى وكلهم (مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ

مَـَٔابٍ) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. إن لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك الرجع فقال (جَنَّـٰتِ عَدْنٍ) بدل من حسن مآب (مُّفَتَّحَةً) حال من جنات لأنها معرفة لإضافتها إلى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ) ارتفاع الأبواب بأنها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف فى قوله فإن الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها إلا أن الأول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الأبواب وهو من بدل الاشتمال (مُتَّكِـِٔينَ) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول (وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أَتْرَابٌ) لدات أسنانهن كأسنانهم لأن التحاب بين الأقران اثبت كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن فى وقت واحد (هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ) وبالياء مكى وأبو عمر (لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الإشارة (هَـٰذَا) خبر والمبتدأ محذوف أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر (وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ) مرجع (جَهَنَّمَ) بدل منه (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وَءَاخَرُ) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (مِن شَكْلِهِۦٓ) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أَزْوَٰجٌ) صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروباً (هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام: الدخول فى الشىء بشدة ، والقحمة: الشدة، وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن

تدعو له مرحباً أى أتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً أو رحبت بلادك رحباً ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء، وبهم بيان للمدعو عليهم (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم، ولا مرحباً بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قَالُوا) أى الأتباع (بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقوله (أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا إليه فكفرنا باتباعكم (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) أى النار (قَالُوا) أى الأتباع (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أى مضاعفاً (فِي النَّارِ) ومعناه ذا ضعف. ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً وهو أن يزيد على عذابه مثله (وَقَالُوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا) يعنون فقراء المسلمين (كُنَّا نَعُدُّهُمْ) فى الدنيا (مِّنَ الْأَشْرَارِ) من الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) بلفظ الإخبار عراقى غير عاصم على أنه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الأشرار، وبهمزة الاستفهام غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم، سُخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) هو متصل بقوله ما لنا أى ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم (إِنَّ ذَٰلِكَ) الذى حكينا عنهم (لَحَقٌّ) لصدق كائن لا محالة لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال: هو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) ولما شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولأن قول الرؤساء: لا مرحباً بهم، وقول أتباعهم : بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قُلْ) يا محمد لمشركى مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ) ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ) وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله (الْوَاحِدُ) بلا ند ولا شريك (الْقَهَّارُ) لكل شىء (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) له الملك والربوبية فى العالم كله (الْعَزِيزُ) الذى لا يغلب إذا عاقب (الْغَفَّارُ) لذنوب من التجأ إليه (قُلْ هُوَ) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذراً وأن الله واحد

لا شريك له (نَبَؤٌا عَظِيمٌ) لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) غافلون (مَا كَانَ لِيَ) حفص (مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) احتج لصحة نبوته بأن ما ينبىء به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحى من الله تعالى (إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أى لأنما أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر إنما يزيد على الحكاية أى إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملإ الأعلى أصحاب القصة: الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم وإذ يختصمون متعلق بمحذوف إذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) بدل من إذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (لِلْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ) وقال إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) فإذا أتممت خلقته وعدلته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) الذى خلقته وأضافه إليه تخصيصاً كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفساً (فَقَعُوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الأرض والمعنى اسجدوا (لَهُ سَـٰجِدِينَ) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فَسَجَدَ الْمَلَـٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) تعظم عن السجود (وَكَانَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ) وصار من الكافرين بإباء الأمر (قَالَ يَـٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ) ما منعك عن السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أى بلا واسطة امتثالا لأمرى وإعظاماً لخطابى وقد مر أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملته

يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ . وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (أَسْتَكْبَرْتَ) استفهام إنكار (أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) ممن علوت وفقت وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) يعنى لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانيا (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مرجوم أى مطرود تكبر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره فصار مرجوماً ملعوناً بترك أمره (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) بفتح الياء مدنى أى إبعادى من كل الخير (إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي) فأمهلنى (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قَالَ فَالْحَقُّ) بالرفع كوفى غير علىّ على الابتداء أى الحق قسمى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (وَالْحَقَّ أَقُولُ) اعتراض بين القسم والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذى فى قوله إن الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ)

من جنسك وهم الشياطين (وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ) من ذرية آدم (أَجْمَعِينَ) أى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً (قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) الضمير للقرآن أو للوحى (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعاً ولا مدعياً بما ليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقوّل القرآن (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلاَّ ذِكْرٌ) من الله (لِّلْعَالَمِينَ) للثقلين أوحى إلىّ فأنا أبلغه. وعن رسول الله ﷺ «للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم» (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بَعْدَ حِينٍ) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق .

﴿ سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَنزِيلُ الْكِتَابِ) أى القرآن مبتدأ خبره (مِنَ اللَّهِ) أى نزل من الله أو خبر مبتدإ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (الْعَزِيزِ) فى سلطانه (الْحَكِيمِ) فى تدبيره (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) هذا ليس بتكرار لأن الأول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا) حال (لَّهُ الدِّينَ) أى ممحضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصاً وقرىء الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً (أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الأصنام يقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) مصدر أى تقريباً (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المسلمين والمشركين (فِى مَا هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) قيل : كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض قالوا الله ، فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) أي لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله ، وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ، ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاءون (سُبْحَانَهُ) نزه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد ، ودل على ذلك بقوله (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يعنى أنه واحد متبرئ عن انضمام الأعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ، ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) والتكوير اللف واللى يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، والمعنى أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه ، فشبه فى تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا ، فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي يوم القيامة (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الْغَفَّارُ) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) أي آدم عليه السلام (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أي حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ) أي جعل عن الحسن أوخلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الأنعام ، والزوج اسم

اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذَٰلِكُمُ) الذى هذه مفعولاته هو (اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ) عن إيمانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) لأن الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته (وَإِن تَشْكُرُوا) فتؤمنوا (يَرْضَهُ لَكُمْ) أى يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضهُ بضم الهاء والإشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ) إلى جزاء ربكم رجوعكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بخفيات القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) هو أبو جهل أو كل كافر (ضُرٌّ) بلاء وشدة والمس فى الأعراض مجاز (دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) راجعاً إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) أعطاه (نِعْمَةً مِّنْهُ) من الله عز وجل (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) أى نسى ربه الذى كان يتضرع إليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) أمثالا (لِّيُضِلَّ) ليَضِل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عَن سَبِيلِهِ) أى الإسلام (قُلْ) يا محمد (تَمَتَّعْ) أمر تهديد (بِكُفْرِكَ قَلِيلاً) أى فى الدنيا (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) من أهلها (أَمَّنْ) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هُوَ قَانِتٌ) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وإنما حذف لدلالة الكلام عليـــه وهو جرى ذكر الكافر قبله ، وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِماً) حالان من الضمير فى قانت (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى عذاب الآخرة (وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) أى الجنة ، ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف

والرجاء يرجو رحمته لاعمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيجب أن لا يجاوز أحدها حده (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنّون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لايستوى المطيع والعاصى (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ) جمع لب أى إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بلا ياء عند الأكثر (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق بأحسنوا لا بحسنة ، معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لاتوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى (وَأَرْضُ اللهِ وَٰسِعَةٌ) أى لاعذر للمفرطين فى الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الإحسان قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة ، فتحولوا إلى بلاد أخر . واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما لايهتدى إليهحساب الحسّاب ولا يعرف. وهو حال من الأجر أى موفرا (قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ) بأن أعبد الله (مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) أى أمرت بإخلاص الدين (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السُّبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقاً ، فالأول أمر بالعبادة مع الإخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين ، فصح عطف أحدهما على الآخر (قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام : ألا تنظر إلى أبيك وجدك

وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى)
وهذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصاً له دينه دون غيره والأولى إخبار بأنه
مأمور بالعبادة والإخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل وإثباته وثانياً فيما يفعل الفعل
لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه
السلام : إن خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ) أى الكاملين فى
الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ) بإهلا كها فى النار
(وَأَهْلِيهِمْ) أى وخسروا أهليهم (يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) لأنهم أضلوهم فصاروا إلى النار ، ولقد
وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله : (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ) حيث صدر
الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ، وذلك
لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق (مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم (ذَٰلِكَ) الذى
وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه
(يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (وَٱلَّذِينَ
ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا
بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدراً ، وفيها
مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت
الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص ، إذ لا تطلق
على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أَن يَعْبُدُوهَا) بدل الاشتمال من
الطاغوت أى عبادتها (وَأَنَابُوٓا۟) رجعوا (إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ) هى البشارة بالثواب
تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقاداً فى الدين يميزون
بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذا المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ، أو يستمعون

القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ماسمع ويكف عما سواه (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ) أى المنتفعون بعقولهم (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لايقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ) أى من تحت منازلها (وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ) وعد الله مصدر مؤكد ، لأن قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فَسَلَكَهُ) فأدخله (يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ) عيوناً ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الأرض صفة لينابيع (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ) بالماء (زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُ) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثُمَّ يَهِيجُ) يجف (فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) بعد نضارته وحسنه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَٰمًا) فتاتاً متكسرا ، فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) فى إنزال الماء وإخراج الزرع (لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ) لتذكيراً وتنبيها على أنه لابد من صانع حكيم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعطيل (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ) أى وسع صدره (لِلْإِسْلَٰمِ) فاهتدى ، وسئل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فَهُوَ عَلَىٰ

..

نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لأن قوله (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم) يدل عليه (مِّن ذِكْرِ اللَّهِ) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم (أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) غواية ظاهرة (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) فى إيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث (كِتَابًا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (مُّتَشَابِهًا) يشبه بعضه بعضاً فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك (مَّثَانِيَ) نعت كتاباً جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة وقيل لأنه يثنى فى التلاوة فلا يمل وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشىء هى جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تَقْشَعِرُّ) تضطرب وتتحرك (مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة. وعدى بإلى لتضمنه معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رءوفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الكتاب وهو (هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ) يخلق الضلالة فيه (فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) إلى الحق (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه

أن الإنسان إذا لقى مخوفاً من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه (وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ) أى تقول لهم خزنة النار (ذُوقُوا) وبال (مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) أى كسبكم (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قريش (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون إذ فوجئوا من مأمنهم (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْىَ) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) من عذاب الدنيا (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لآمنوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ليتعظوا (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحاً وإنساناً عاقلا فتذكر رجلا أو إنساناً توكيداً أو نصب على المدح (غَيْرَ ذِى عِوَجٍ) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للإشعار بأن لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا) بدل (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَـٰكِسُونَ) متنازعون ومختلفون (وَرَجُلًا سَلَمًا) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لِّرَجُلٍ) أى ذا خلوص له من الشركة . سالماً مكى وأبو عمرو أى خالصاً له (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذى لا إله إلا هو (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فيشركون به غيره. مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمّه واحد وقلبه مجتمع (إِنَّكَ مَيِّتٌ) أى ستموت (وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو :

وتسألنى تفسير ميت وميّت ... فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى ، وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم أى إنك وإياهم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أى إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الأول ألا ترى إلى قوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة . كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ) بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهوماجاءبه محمد ﷺ (إِذْ جَاءَهُ) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين إشارة إليهم (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه أنه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ والذى صدق به أبوبكر الصديق رضى الله عنه وروى أن الذى جاءبالصدق محمدرسول الله ﷺ والذى صدق بهالمؤمنون والكل صحيح كذاقاله.قالواوالوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لأن التغاير يستدعى إضمار الذى وذا غير جائز أو إضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشىء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بنى مروان (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى

إثبات الكفاية وتقريرها (عَبْدَهُ) أى محمداً ﷺ . عباده حمزة وعلى أى الأنبياء والمؤمنين وهو مثل إنا كفيناك المستهزئين (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) أى بالأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه ، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك مضرتها لعيبك إياها (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) بغالب منيع (ذِى انتِقَامٍ) ينتقم من أعدائه ، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ، ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ) بفتح الياء سوى حمزة (بِضُرٍّ) مرض أو فقر أو غير ذلك (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) دافعات شدته عنى (أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ) صحة أو غنى أو نحوهما (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) كاشفات ضره ، وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل بصرى ، وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك ، فلما أفحمهم قال الله تعالى : (قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ) كافياً لمعرة أوثانكم (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يروى أن النبى ﷺ سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله ، وإنما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لأنهن إناث وهن اللات والعزى ومناة ، وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها ، والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (إِنِّى عَامِلٌ) أى على مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لأن الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى إلى قوله : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ، ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى

عذاب يخزله وهو يوم بدر ، وعذاب دائم وهو عذاب النار . مكاناتكم أبو بكر وحماد (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (لِلنَّاسِ) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية (بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بحفيظ ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) الأنفس الجمل كما هى وتوفيها إماتتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكة (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك ، ومنه قوله تعالى : وهو الذى يتوفاكم بالليل (فَيُمْسِكُ) الأنفس (الَّتِي قَضَىٰ) قُضِيَ حمزة وعلى (عَلَيْهَا الْمَوْتَ) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) النائمة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الأنفس التى تسكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفَس والنائم يتنفس ، ولكل إنسان نفسان إحداها نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت ، والأخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك ، فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، وعن على رضى الله عنه قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ، وعنه مارأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة ، وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها ، وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهراً أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) إن فى توفى الأنفس مائتة

ونائمة وإمسا كها وإرسالها إلى أجل (لَآيَاتٍ) على قدرة الله وعلمه (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أَمِ اتَّخَذُوا) بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار (مِن دُونِ اللَّهِ) من دون إذنه (شُفَعَاءَ) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه (قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئاً قط ولا عقل لهم (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه وانتصب جميعاً على الحال (لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) مدار المعنى على قوله وحده أى إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشْمَأَزَّتْ) أى نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) لافتتانهم بها ، وإذا قيل لا إله إلا الله وحده لاشريك له نفروا لأن فيه نفياً لآلهتهم ، ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية فى بابه ، فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ، والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه ، والعامل فى إذا ذكر هو العامل فى إذا المفاجأة، تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (أَنتَ تَحْكُمُ) تقضى (بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من الهدى والضلالة ، وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين إلى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال : آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية ، وروى أنه قال على أثره قتل من كان ﷺ يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ) الهاء تعود إلى ما (لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ) شدته (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هى سيئات ، وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء. وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لى ون الله ما لم أحتسبه (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى سيئات أعمالهم التى كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وَحَاقَ بِهِم) ونزل بهم وأحاط (مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) جزاء هزئهم (فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى إذا أعطاك على غير جزاء (نِعْمَةً مِّنَّا) ولا تقف عليه لأن جواب إذا (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منى أنى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وإنما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئاً من النعمة وقسما منها وقيل ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أى إن الذى أوتيته على علم (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) إنكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدإ لأجله ، وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنها فتنة ، والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من أستبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض ، فإن قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول ﷺ ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة إلا أنت، وقوله: ولو أن للذين ظلموا. متناول لهم ولكل ظالم إن جعل عاما أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل : ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب ، وأما الآية

الأولى فلم تقع مسببة وما هى إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة أنك تقول : زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فهذا تسبيب ظاهر ، ثم تقول : زيد كافر بالله فإذ مسه ضر التجأ إليه ، فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قَدْ قَالَهَا) هذه المقالة وهى قوله إنما أوتيته على علم (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى قارون وقومه حيث قال : إنما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها ، فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى جزاء سيئات كسبهم ، أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها . (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (مِنْ هَٰؤُلَاءِ) أى من مشركى قومك (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك ، فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) جنوا عليها بالإسراف فى المعاصى والغلو فيها (لَا تَقْنَطُوا) لاتيأسوا، وبكسر النون على وبصرى (مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) بالعفو عنها إلا الشرك ، وفى قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى ، ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها . قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه ، وعن رسول الله ﷺ : «ماأحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية» (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ) بستر عظائم الذنوب (الرَّحِيمُ) بكشف فظائع الكروب (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) وتوبوا إليه (وَأَسْلِمُوا لَهُ) وأخلصوا له العمل (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) مثل قوله : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وقوله (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)

أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم (أَن تَقُولَ) لئلا تقول (نَفْسٌ) إنما نكرت لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير (يَٰحَسْرَتَىٰ) الألف بدل من ياء المتكلم، وقرئ: يا حسرتِي على الأصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فِى جَنبِ ٱللَّهِ) فى أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته، وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال: أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجانب والجنب، ثم قالوا: فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه، وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه، ومنه الحديث: من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل، أى لأجله، وقال الزجاج: معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والإقرار بنبوة محمد ﷺ (وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ) المستهزئين. قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها، ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال. فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى) أى أعطانى الهداية (لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) من الذين يتقون الشرك. قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى: هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم: لو هدانا الله لهديناكم. يقولون: لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى، وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى، وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) من الموحدين (بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ) بلى رد من الله عليه كأنه يقول: بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله، وآثرت الضلالة على

الهدى ، واشتغلت بضد ماأمرت به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك، وبلى جواب لنفى تقديرى لأن المعنى لو أن الله هدانى ماهديت وإنما لم يقرن الجواب به ، لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ، ونفى الصفات عنه (وُجُوهُهُم) مبتدأ (مُّسْوَدَّةٌ) خبر والجملة فى محل النصب على الحال إن كان ترى من رؤية البصر وإن كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) منزل (لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) هو إشارة إلى قوله واستكبرت (وَيُنَجِّي اللهُ) وينجى روح (الَّذِينَ اتَّقَوْا) من الشرك (بِمَفَازَتِهِمْ) بفلاحهم يقال : فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ) النار (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) كأنه قيل : وما مفازتهم ؟ فقيل : لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزى أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى : فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب . أى بمنجاة منه ؛ لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ، ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ، ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ، ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها . ولا محل للا يمسهم على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) رد على المعتزلة والثنوية (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حافظ (لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ، ومنه قولهم : فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها مقليد ، وقيل لا واحد لها من لفظها ، والكلمة أصلها فارسية (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ) هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنه خالق كل شيء ، فهو مهيمن عليه ، فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بمايليه على أن كل شيء فى السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئكهم الخاسرون ، وقيل سأل

عثمان رسول الله ﷺ عن تفسير قوله : له مقاليد السموات والأرض فقال: يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولاحول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه ، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئـــك هم الخاسرون (قُلْ) لمن دعاك إلى دين آبائك (أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّيَ أَعْبُدُ) تأمرونّي مكي، تأمرونني على الأصل شامي، تأمرونيَ مدني ، وانتصب أفغير الله بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أَيُّهَا الْجَـٰهِلُونَ) بتوحيد الله (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) من الأنبياء عليهم السلام (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) الذي عملت قبل الشرك (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ) وإنما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأن معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك وإلى الذين من قبلك مثله واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب ، وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لايشركون لأن الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولأنه على سبيل الفرض. والمحالات يصح فرضها ، وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر (بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال : لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن عبدت فاعبد الله ؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وما عظموه حق عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره ، ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَالسَّمَـٰوَاتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ) والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه

تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك قوله جميعاً ، وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والأرض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والأرضُ إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة ، والقَبضة: المرة من القبض . والقُبضة: المقدار المقبوض بالكف ، ويقال : أعطنى قبضة من كذا تريد معنى القُبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنين محتمل والمعنى والأرضون جميعاً قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الأرضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضهاقبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان أى لا تفى إلا بأكلة فذة من أكلاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة ، والمطويات من الطى الذى هوضد النشر كما قال: يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب. وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه ، وقيل : قبضته ملكه بلا مدافع ولامنازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ) مات (مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) هى فى محل الرفع لأن المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى ، وإنماحذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب أو ينظرون أمر الله فيهم ، ودلت الآية على أن النفخة اثنتان : الأولى للموت والثانيةللبعث والجمهور على أنها ثلاث : الأولى للفزع ، كما قال : ونفخ فى الصور ففزع ، والثانية للموت والثالثة للإعادة (وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) أى بعدله بطريق الاستعارة . يقال للملك العادل : أشرقت الآفاق بعدلك ، وأضاءت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان ، وقال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها

ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لهـا منه ، وقال الإمام أبو منصور رحمه الله : يجوز أن يخلق الله نوراً فينور به أرض الموقف ، وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أى صحائف الأعمال ، ولـكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وَجِاىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (وَالشُّهَدَاءِ) الحفظة وقيل هم الأبرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وَقُضِيَ بَيْنَهُم) بين العباد (بِالْحَقِّ) بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها بإثبات العدل (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أى جزاءه (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) من غير كتاب ولا شاهد ، وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون . أى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد فى شر ولا ينقص من خير (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ) سوقاً عنفاً ، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل (زُمَرًا) حال أى أفواجاً متفرقة بعضها فى أثر بعض (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ) بالتخفيف فيهما كوفى (أَبْوَابُهَا) وهى سبعة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) من بنى آدم (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قَالُوا بَلَىٰ) أتونا وتلوا علينا (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى ولـكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الـكفر والضلال (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) اللام فيه للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) المراد سوق مراكبهم ، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى دار الـكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية إلا أن جزاءها محذوف ، وإنما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شىء لا يحيط به

الوصف ، وقال الزجاج : تقديره حتى إذا جاءوها (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ) دخلوها فحذف دخلوها ؛ لأن فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها فمندهم جاءوها محذوف ، والمعنى : حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها ، وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى : جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . فلذلك جيء بالواو كأنه قال : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى ، وطهرتم من خبث الخطايا ، وقال الزجاج : أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث ، وقال ابن عباس : طاب لكم المقام ، وجعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة لأنها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر ، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه (نَتَبَوَّأُ) حال (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ) فى الدنيا الجنة (وَتَرَى الْمَلَٰئِكَةَ حَآفِّينَ) حال من الملائكة (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) أى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أى ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله (يُسَبِّحُونَ) حال من الضمير فى حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى يقولون : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكاليف (وَقُضِيَ بَيْنَهُم) بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنة والنار (بِالْحَقِّ) بالعدل (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) أى يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها ، وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وكان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر.

[الحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما]

﴿ سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمٓ) وما بعده بالإمالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد ، وبين الفتح والكسر مدنى، وغيرهم بالتفخيم ، وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم (تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ) أى هذا تنزيل الكتاب (مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (الْعَلِيمِ) بمن صدق به وكذب ، فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غَافِرِ الذَّنبِ) ساتر ذنب المؤمنين (وَقَابِلِ التَّوْبِ) قابل توبة الراجعين (شَدِيدِ الْعِقَابِ) على المخالفين (ذِى الطَّوْلِ) ذى الفضل على العارفين أو ذى الغنى عن الكل ، وعن ابن عباس: غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله ، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله . والتوب والثوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع ، والطول الغنى والفضل ، فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة، قلت: أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية ، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه ، وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة ، فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف وإدخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال: جامع المغفرة والقبول ، وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل له تتابع فى هذا الشراب ، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير . وختم الكتاب قال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة . فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا

فاصنعوا إذارأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) صفة أيضاً لذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفة (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها ، وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فأعظم جهاد فى سبيل الله (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب ، ثم بين كيف ذلك فأعلم أن الأمم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) نوحا (وَالْأَحْزَابُ) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عادوثمود وقوم لوطوغيرهم (مِن بَعْدِهِمْ) من بعدقوم نوح (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ) من هذه الأمم التى هى قوم نوح والأحزاب (بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) ليتمكنوا منه فيقتلوه . والأخيذ : الأسير (وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ) بالكفر (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) ليبطلوا به الإيمان (فَأَخَذْتُهُمْ) مظهر مكى وحفص يعنى أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبتهم (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) وبالياء يعقوب أى فإنكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك ، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) كلمات ربك مدنى وشامى (أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ، ومعناه كما وجب إهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة . أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ، ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار ، ويلزم الوقف على النار ، لأنه لو وصل لصار (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ) يعنى حاملى العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لأصحاب النار وفساده ظاهر . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ، وفى الحديث «إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر

الملائكة » وقيل : حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يُسَبِّحُونَ) خبر المبتدأ وهو الذين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى مع حمده إذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمدلة (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) وفائدته مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله : ثم كان من الذين آمنوا . فأبان بذلك فضل الإيمان ، وقد روعى التناسب فى قوله : ويؤمنون به (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم ، وفيه دليل على أن الاشتراك فى الإيمان يجب أن يكون أدعى شىء إلى النصيحة والشفقة ، وإن تباعدت الأجناس والأماكن (رَبَّنَا) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شىء فى المعنى ، إذ الأصل وسع كل شىء رحمتك وعلمك ، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أى طريق الهدى الذى دعوت إليه (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ) من فى موضع نصب عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم ، والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أى الملك الذى لا يغلب ، وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً خالياً عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أى جزاء السيئات وهو عذاب النار (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ) أى رفع العذاب (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ) أى يوم القيامة إذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم ، فاستغنى بذكرها مرة ، والمقت أشد البغض ، وانتصاب (إِذْ

تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَٰنِ) بالمقت الأول عند الزمخشرى ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة : كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار إذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن ، وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله : ثم يوم القيامة يكفر بعضكم نبعض ويلعن بعضكم بعضا ، وإذ تدعون تعليل ، وقال جامع العلوم وغيره إذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الأول لأن قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم ، فلا يعمل فى إذ تدعون ؛ لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شىء يكون فى صلته لأن الإخبار عنه يؤذن بتمامه ، وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ، ولا بالثانى لاختلاف الزمانين ، وهذا لأنهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا إلى الإيمان فى الدنيا (فَتَكْفُرُونَ) فتصرون على الكفر (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) أى إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين ، وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم ، وصح أن يسمى خلقهم أمواتاً إماتة ، كما صح أن يقال : سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ، وليس ثمة نقل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر إلى كبر ، والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد ، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر ، فجعل صرفه عنه كنقله منه ، وبالإحياءتين : الإحياءة الأولى فى الدنيا ، والإحياءة الثانية البعث ، ويدل عليه قوله : وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم . وقيل : الموتة الأولى فى الدنيا ، والثانية فى القبر بعد الإحياء للسؤال ، والإحياء الأول إحياؤه فى القبر بعد موته للسؤال ، والثانى للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) لما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء ، فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ) من النار . أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطىء لنتخلص (مِّن سَبِيلٍ) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيراً ، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك

وهو قوله (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لاسبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (ٱلْعَلِىِّ) شأنه ، فلا يرد قضاؤه (ٱلْكَبِيرِ) العظيم سلطانه ، فلا يحد جزاؤه ، وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم : لاحكم إلا لله من هذا . وقال قتادة : لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه : من هؤلاء قيل المحكمون . أى يقولون : لا حكم إلا لله ، فقال على رضى الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل (هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) وبالتخفيف مكى وبصرى (رِزْقًا) مطراً ؛ لأنه سبب الرزق (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ، ثم قال للمنيبين : (فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ) فاعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله : الذى يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف ، ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافاً للملائكة إظهاراً لعظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام ، أو الوحى الذى تحيا به القلوب (مِنْ أَمْرِهِۦ) من أجل أمره أو بأمره (عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ) أى الله أو الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ) يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون . التلاقى : مكى ويعقوب (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ) ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل أو أكمة أو بناء (لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ) أى من أعمالهم وأحوالهم (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ، ثم يجيب نفسه بقوله (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) أى الذى قهر الخلق بالموت ، وينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم ، وقيل ينادى مناد فيقول : لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ

الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى أن كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر ، وأن الظلم مأمون منه لأنه ليس بظلام للعبيد ، وأن الحساب لا يبطئ لأنه لا يشغله حساب عن حساب ، فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) أى القيامة سميت بها لأزوفها أى لقربها ، ويبدل من يوم الآزفة (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ) أى التراق يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا (كَاظِمِينَ) ممسكين بحناجرهم . من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها ، أو إنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (مَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (مِنْ حَمِيمٍ) محب مشفق (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لأن الطاعة حقيقة لا تكون إلا لمن فوقك ، والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد نفى الضب وانجحاره ، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة ، فعن الحسن : والله ما يكون لهم شفيع البتة (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) وما تسره من أمانة وخيانة ، وقيل هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة ، ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الأعين خبر من أخبار هو فى قوله : هو الذى يريكم آياته . مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله : لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) أى والذى هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) وآلهتهم لا يقضون بشىء ، وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى. تدعون نافع (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون ، وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وأنها لا تسمع ولا تبصر (أَوَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) هم فصل ، وحقه أن يقع بين معرفتين إلا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الألف واللام، فأجرى مجراه. منكم شامى (وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ) أى حصوناً وقصوراً (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى الأخذ بسبب أنهم (كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ) قادر على كل شىء (شَدِيدُ الْعِقَابِ) إذا عاقب (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَـٰتِنَا) التسع (وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ) وحجة ظاهرة (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا) هو (سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ) فسموا السلطان المبين سحراً وكذبا (فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ) بالنبوة (مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَـآءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (وَاسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ) للخدمة (وَمَا كَيْدُ الْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ) ضياع يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى ، وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان ، فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن كيده ضائع فى الكرتين جميعاً (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لملئه (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ) كان إذا هم بقتله كفوه بقولهم : ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك ، وما هو إلا ساحر ، وإذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة ، والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ، ولكن كان فيه خب ، كان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شىء ، فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذى يهدم ملكه ، ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ، وقوله (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه ، وكان قوله : ذرونى أقتل موسى تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما فى نفسه من هول الفزع (إِنِّي أَخَافُ) إن لم أقتله (أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) أن يغير ما أنتم عليه . وكانوا يعبدونه

ويعبدون الأصنام (أَوْ أَن يُظْهِرَ) موسى (فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال ، والأول أولى لموافقة يبدل. والفساد فى الأرض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الأمن ، وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعاً كأنه قال إنى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه ، وقرأ غير أهل الكوفة وأن ، ومعناه إنى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وَقَالَ مُوسَىٰ) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) وفى قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه ، وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة ، وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ ، وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق ، وهو أقبح استكبار ، وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه ، وقال : لا يؤمن بيوم الحساب ؛ لأنه إذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها ، وعذت ولذت أخوان. وعت بالإدغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) قيل : كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ، ومن آل فرعون صفة لرجل ، وقيل : كان إسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أى يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل ، والظاهر الأول (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها إلا كلمة الحق ، وهى قوله (رَبِّيَ اللَّهُ) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وَقَدْ جَاءَكُم) الجملة حال (بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب إليه الربوبية وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به (وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) احتج عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً ، فإن يك كاذباً فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ، ولم يقل

كل الذى يعدكم مع أنه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الإنصاف فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له وليس فيه نفى إصابة الكل ، فكأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم ، وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا ، وتفسير البعض بالكل مزيف (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مجاوز للحد (كَذَّابٌ) فى ادعائه ؛ وهذا أيضاً من باب المجاملة ، والمعنى أنه إن كان مسرفا كذاباً خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه ، أو لو كان مسرفا كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات . وقيل أوهم أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ) عالين وهو حال من كم فى لكم (فِى ٱلْأَرْضِ) فى أرض مصر (فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا) يعنى أن لكم ملك مصر ، وقد علوتم الناس وقهرتموهم ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ، ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه ، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد ، وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم فى القرابة ، وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ) أى ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب إلا قتله ، وهذا الذى تقولونه غير صواب (وَمَآ أَهْدِيكُمْ) بهذا الرأى (إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ) طريق الصواب والصلاح ، أوما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر . يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول ، وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام . ولكنه كان يتجلد ، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة (وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ) أى مثل أيامهم ؛ لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ) ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع . ودأب هؤلاء دءوبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائباً دائما منهم لا يفترون عنه ، ولا بد من حذف مضاف ، أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بأنه عطف بيان لمثل الأول (وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) أى وما يريد الله أن يظلم عباده

فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنهم استحقوه بأعمالهم ، وهو أبلغ من قوله : وما ربك بظلام للعبيد، حيث جعل المنفى إرادة ظلم منكّر ومن بعد عن إرادة ظلم مّا لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد ، وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد ، لأن أهل اللغة قالوا إذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلماً لك معناه لا أريد أن أظلمك ، وهذا تخويف بعذاب الدنيا ، ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) أى يوم القيامة . التنادى مكى ويعقوب فى الحالين وإثبات الياء هو الأصل وحذفها حسن لأن الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآى على الدال ، وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الأعراف : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف . وقيل ينادى مناد : ألا إن فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، ألا إن فلاناً شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) منحرفين عن موقف الحساب إلى النار (مَالَكُم مِّنَ اللَّهِ) من عذاب الله (مِنْ عَاصِمٍ) مانع ودافع (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) مرشد (وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَـٰتِ) هو يوسف بن يعقوب ، وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف ابن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة ، وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر ويخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِۦ رَسُولًا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان . أى أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ) أى مثل هذا الإضلال يضل الله كل مسرف فى عصياته مرتاب شاك فى دينه (الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ) بدل من مَن هو مسرف وجاز إبداله منه وهو جمع لأنه لا يريد مسرفا واحداً بل كل مسرف (فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ) فى دفعها وإبطالها (بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ) حجة (أَتَـٰهُمْ كَبُرَ مَقْتاً) أى عظم بغضاً ، وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه ، ويجوز أن يرفع الذين على

الابتداء ، ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتاً (عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ). قلب بالتنوين أبو عمرو وإنما وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كما تقول : سمعت الأذن وهو كقوله : فإنه آثم قلبه ، وإن كان الآثم هو الجملة (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) تمويهاً على قومه أو جهلا منه (يَـٰهَـٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا) أى قصراً . وقيل الصرح : البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد ، ومنه يقال : صرّح الشىء إذا ظهر (لَّعَلِّيٓ) وبفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أَبْلُغُ الْأَسْبَـٰبَ) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وإبانة أنه يقصد أمراً عظيما (أَسْبَـٰبَ السَّمَـٰوَٰتِ) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها وكل ما أداك إلى شىء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فَأَطَّلِعَ) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيهاً للترجى بالتمنى . وغيره بالرفع عطفاً على أبلغ (إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ) والمعنى فأنظر إليه (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) أى موسى (كَـٰذِبًا) فى قوله له إله غيرى (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) المستقيم . وبفتح الصاد كوفى[1] ويعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صدوداً والمزين الشيطان بوسوسته كقوله : وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . أو الله تعالى ، ومثله : زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسران وهلاك (وَقَالَ الَّذِيٓ ءامَنَ يَـٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) وهو نقيض الغى وهو ، تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى . أجمل أولا ، ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَـٰعٌ) تمتع يسير ، فالإخلاد إليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هى الوطن والمستقر بقوله (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) يُدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ، ثم وازن

---

(١) الذى بغيث النفع : قرأ الكوفيون بضم الصاد والباقون بالفتح .

بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذى ثمرته الجنات ، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذى عاقبته النار بقوله (وَيَـٰقَوْمِ مَالِيَ) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ) أى الجنة (وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ) هو بدل من تدعوننى الأول يقال: دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له (وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال : وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّـٰرِ) وهو الله سبحانه وتعالى ، وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة ، وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون وجيء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى ، لأن الثانى داخل على كلام هو بيان المجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لَا جَرَمَ) عند البصريين لارد لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع مافى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) معناه أن ماتدعوننى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته وماتدعون إليه وإلى عبادته لايدعو هو إلى ذلك ، ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أودعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لااستجابة لها ولامنفعة كلادعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله: كما تدين تدان (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) وأن رجوعنا إليه (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) وأن المشركين (هُمْ أَصْحَـٰبُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وَأُفَوِّضُ) وأسلم (أَمْرِي) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو (إِلَى اللَّهِ) لأنهم توعدوه (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) بأعمالهم ومآلهم (فَوَقَـٰهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا) شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم ، وقيل إنه خرج من عندهم هارباً إلى جبل فبعث قريباً من ألف فى طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وَحَاقَ) ونزل (بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ النَّارُ) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل : ماسوء العذاب ؟ فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال : عرض الامام الأسارى على السيف إذا قتلهم به (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار ،

وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال لخزنة جهنم (أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ) من الإدخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا ياآل فرعون (أَشَدَّ الْعَذَابِ) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ) واذكر وقت تخاصمهم (فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يعنى الرؤساء (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تباعا كخدم فى جمع خادم (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيبًا) جزءا (مِّنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) التنوين عوض من المضاف إليه أى إنا كلنا فيها لايغنى أحد عن أحد (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ) للقوّام بتعذيب أهلها وإنما لم يقل لخزنتها لأن فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيما ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنّام بعيدة القعر وفيها أعنى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) بقدر يوم من الدنيا (مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوٓا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أَوَلَمْ تَكُ) أى أولم تك قصة وقوله (تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم) تفسير للقصة (بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات (قَالُوا) أى الكفار (بَلَىٰ قَالُوا) أى الخزنة تهكما بهم (فَادْعُوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وَمَا دُعَٰٓؤُا الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك فى أمس واليوم، والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الأنبياء والحفظة، فالأنبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون

على بنى آدم بما عملوا من الأعمال. تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) هذا بدل من يوم يقوم أى لايقبل عذرهم. لاينفع كوفى ونافع (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ) يريد به جميع ماأتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ) أى التوراة والإنجيل والزبور لأن الكتاب جنس أى تركنا الكتاب من بعد هذا إلى هذا (هُدًى وَذِكْرَىٰ) إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لِأُوْلِى الْأَلْبَـٰبِ) لذوى العقول (فَاصْبِرْ) على مايجرعك قومك من الغصص (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يعنى إن ماسبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) أى لذنب أمتك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَـٰرِ) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا العصر والفجر وقيل قل سبحان الله وبحمده (إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ) لاوقف عليه لأن خبر إن (إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) تعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لايكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله: لو كان خيرا ماسبقونا إليه. أو إرادة دفع الآيات بالجدل (مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ) ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لما تقول ويقولون (الْبَصِيرُ) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لَخَلْقُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حججوا بخلق السموات الأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فإن من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) لأنهم لايتأملون لغلبة الغفلة عليهم (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا الْمُسِىٓءُ) لازائدة (قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ) تتعظون بتاءين كوفى، وبياء وتاء غيرهم، وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (إِنَّ السَّاعَةَ

لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا)لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيهالأنه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) لايصدقون بها (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي) اعبدونى (أَسْتَجِبْ لَكُمْ)أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) وقال عليه السلام: «الدعاء هو العبادة» وقرأهذه الآية ﷺ وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ) سُيدخلون مكي وأبو عمرو (دَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) هو من الإسناد المجازى أى مبصرا فيه لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لأنهما متقابلان معنى لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج أى ساكن لاريح فيه (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لأن المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك إنما يكون بالإضافة(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لأن فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله: إن الإنسان لكفور. وقوله: إن الإنسان لظلوم كفار (ذَٰلِكُمُ)الذى خلق لكم الليل والنهار (اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلهية وخلق كل شىء والوحدانية (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان(كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) مستقرا (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا فوقكم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) اللذيذات(ذَٰلِكُمُ

اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ) فاعبدوه
(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ)
عن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمدلله رب العالمين ولما
طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل (قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللهِ لَمَّا جَآءَنِىَ الْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وَأُمِرْتُ أَنْ
أُسْلِمَ) أستقيم وأنقاد (لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم) أى أصلكم (مِّن تُرَابٍ
ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس
(ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثُمَّ لِتَكُونُوا
شُيُوخًا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والأعشى (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
مِن قَبْلُ) أى من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيوخة (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى) معناه
ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ما فى
ذلك من العبر والحجج (هُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن
فَيَكُونُ) أى فإنما يكونه سريعا من غير كلفة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللهِ
أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام
أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَٰبِ) بالقرآن (وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا
من الكتاب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ) إذ ظرف زمان ماض والمراد به
هنا الاستقبال كقوله: فسوف يعلمون. وهذا لأن الأمور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى
مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال (وَالسَّلَٰسِلُ) عطف على
الأغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى إذ الأغلال والسلاسل فى أعناقهم (يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ)
يجرون فى الماء الحار (ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومعناه
أنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) أى
تقول لهم الخزنة (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللهِ) يعنى الأصنام التى تعبدونها (قَالُوا
ضَلُّوا عَنَّا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْـًٔا

أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شىء فإذا هو ليس بشىء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَٰفِرِينَ)مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لوطلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادقوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذَٰلِكُم) العذاب الذى نزل بكم(بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان فيقال لهم (ادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ)السبعة المقسومة لكم. قال الله تعالى: لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم. (خَٰلِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود(فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) عن الحق جهنم (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللهِ) بإهلاك الكفار (حَقٌّ) كائن (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ) أصله فإن نريك ومامزيدة لتوكيدمعنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لاتقول إن تكرمنى أكرمك ولكن إماتكرمنى أكرمك(بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره وإما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أوإن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أممهم(مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى: أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس . وعن على رضى الله عنه إن الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ)وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية إلا بإذن الله فمن أين لى بأن آتى بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن فى الإتيان بها (فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللهِ) أى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات(قُضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (اللهُ الَّذِى جَعَلَ) خلق(لَكُمُ الْأَنْعَٰمَ) الإبل (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ) أى الألبان والأوبار (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ) أى لتبلغوا عليها

ما تحتاجون إليه من الأمور (وَعَلَيْهَا)وعلى الأنعام (وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) أى على الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ فَأَيَّ ءَايَٰتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ) أنها من عند الله وأى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لإبهامه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ) عددا (وَأَشَدَّ قُوَّةً) بدنا (وَءَاثَارًا فِى الْأَرْضِ) قصورا ومصانع (فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم) ما نافية (مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ) يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا، أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا)شدة عذابنا (قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سُنَّتَ اللَّهِ) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ)أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع وأن العذاب نازل بمكذبى الرسل (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَٰفِرُونَ) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسرانهم إذا

عاينوا العذاب، وفائدة ترادف الفاءات فى هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء، وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم .

﴿ سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حٓمٓ) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تَنزِيلٌ) خبره وإن جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) صفته (كِتَٰبٌ) خبره (فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ) ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) صفتان لقرآنا (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) أى لا يقبلون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ) من التوحيد (وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ) ثقل يمنع من استماع قولك (وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّنَا عَٰمِلُونَ) على ديننا أو فاعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ

منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ)هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم: إنى لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت نبوتى بالوحى إلىّ وأنا بشر وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلىّ أن إلهكم إله واحد (فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى مايسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وَٱسْتَغْفِرُوهُ) من الشرك (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) لايؤمنون بوجوب الزكاة ولايعطونها أولايفعلون مايكونون به أزكياء وهو الإيمان (وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (هُمْ كَٰفِرُونَ) وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب شىء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة إلا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين تعليما للأناة ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل (وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا) شركاء وأشباها (ذَٰلِكَ) الذى خلق ماسبق (رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وَجَعَلَ فِيهَا) فى الأرض (رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (مِن فَوْقِهَا) إنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عزوجل (وَبَٰرَكَ) بالماء والزرع والشجر والثمر (فِيهَا) فى الأرض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم، وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول: سرت

من البصرة إلى بغداد فى عشرة وإلى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لأنه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لأنه قال خلق الأرض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر، وفى الحديث: إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سَوَآءً) سواء بعقوب صفة للأيام أى فى أربعة أيام مستويات تامات، سواء بالرفع يزيد أى هى سواء، غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (لِّلسَّآئِلِينَ) متعلق بقدر أى قدرفيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَآئِعِينَ) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد، تقول العرب: فعل فلان كذا. ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكمل الأول وابتدأ الثانى ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وإنما ذكر الأرض مع السماء فى الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين لأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: والأرض بعد ذلك دحاها. فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا، وقوله طوعا وكرها لبيان تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك. لتفعلن هذا شئت

أوأبيت ولتفعلنه طوعاأو كرهاوانتصابهماعلى الحال بمعنى طائعتين أومكرهتين وإنمالم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنهما سموات وأرضون لأنهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فَقَضَاهُنَّ) فأحكم خلقهن. قال: * وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع إلى السماء لأن السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سَبْعَ سَمَوَاتٍ) والفرق بين النصبين فى سبع سموات أن الأول على الحال والثانى على التمييز (فِى يَوْمَيْنِ) فى يوم الخميس والجمعة (وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) ماأمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القريبة من الأرض (بِمَصَابِيحَ) بكواكب (وَحِفْظًا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الغالب غير المغلوب (الْعَلِيمِ) بمواقع الأمور (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان بعد هذا البيان (فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة (أَن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا) أى القوم (لَوْ شَاءَ رَبُّنَا) إرسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لانؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. وقولهم: فإنا بما أرسلتم به كافرون. خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله ﷺ وينظر مايريد فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيئا إلا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فأخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ماهو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لاولم أهتد إلى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فَأَمَّا عَادٌ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)أى تعظموا فيهاعلى أهلها بما لايستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) كانواذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أَوَلَمْ يَرَوْا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان(أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)أوسع منهم قدرة لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) عاصفة تصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل إنهاالدبور (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ)مشئومات عليهم. نحْسات مكى وبصرى ونافع ونُحِس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الأربعاء فى آخر شوال إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا فى الأربعاء (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)أضاف العذاب إلى الخزى وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ) وهومن الإسنادالمجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) من الأصنام التى عبدوها على رجاء النصر لهم (وَأَمَّا ثَمُودُ) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فَهَدَيْنَاهُمْ) وبالنصب المفضل بإضمار فعل يفسره فهديناهم أى بينا لهم الرشد (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) فاختاروا الكفر على الإيمان (فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ) داهية العذاب (الْهُونِ) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم، وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لأن الهدى المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأماالهدى المضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان لاغير، وقال صاحب الكشاف فيه: فإن قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى

تحصيل البغية وحصولها كما تقول: ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل مايوجبها ويقتضيها وإنما تمحل بهذا لأنه لايتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لأنه يخالف مذهبه الفاسد (وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) اختيار العمى على الهدى (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللهِ إِلَى النَّارِ) أى الكفار من الأولين والآخرين. نحشر أعداء نافع ويعقوب (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) صاروا بحضرتها ومامزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد أن وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) من الحيوان والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على إنطاق كل حيوان (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) أى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لايعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ) وذلك الظن هو الذى أهلككم، وذلكم مبتدأ وظنكم خبر وهو الذى ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) أى فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ) وإن يطلبوا الرضا فماهم من المرضيين أو إن يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم إلى مايحبون جزعا مماهم فيه لم يعتبوا

ثم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ) أى قدرنا لمشركى مكة ، يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة، وقيل سلطنا عليهم(قُرَنَاءَ) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماتقدم من أعمالهم وماهم عازمون عليها أو مابين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لابعث ولا حساب(وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) كلمة العذاب (فِيٓ أُمَمٍ) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم) قبل أهل مكة (مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْءَانِ) إذا قرئ (وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لاطائل تحته (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللهِ) ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النَّارُ) عطف بيان للجزاء أوخبر مبتدأ محذوف (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جَزَآءً) أى جوزوا بذلك جزاء (بِمَا كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ، مكى وشامى وأبو بكر . وبالاختلاس أبو عمرو (الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا) أى الشيطانين اللذين أضلانا(مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى، قال تعالى: وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) فى النار جزاء إضلالهم إيانا (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ) أى نطقوا بالتوحيد (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا [illegible] ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول

قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان ، وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار لا الفرار بعد الإقرار (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰئِكَةُ) عند الموت (أن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه (لاَ تَخَافُوا) والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ماتقدمون عليه (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الإنسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا، وقال محمد بن على الترمذى: تتنزل عليهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الأرواح الأبدان أن لا تخافوا سلب الإيمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى سالف الزمان (نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ) كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ) من النعيم (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) تتمنون (نُزُلًا) هو رزق نزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) نعت له (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ) إلى عبادته هو رسول الله دعا إلى التوحيد (وَعَمِلَ صَٰلِحًا) خالصا (وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) تفاخرا بالإسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة إلى الله (وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ) أى وما يلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) إلا أهل الصبر

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وإنما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لأنه على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لاتستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب، وعن الحسن: والله ماعظم حظ دون الجنة، وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى ﷺ فصار وليا مصافيا ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ من شره وامض على حلمك ولا تطعه ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتك ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنزغ الشيطان ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾ فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ فإنهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ الضمير فى خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة مالا يعقل حكم الأنثى أو الإناث، تقول الأقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فإن من عبد مع الله غيره لايكون عابدا لله ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أى الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ لا يملون والمعنى فإن استكبروا ولم يمتثلوا ماأمروا به وأبوا إلا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فإن الله تعالى لايعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة

وموضع السجدة عندنا لايسئمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والأول أحوط(وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَٰشِعَةً)يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لانبات فيها(فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ)المطر(اهْتَزَّتْ)تحركت بالنبات(وَرَبَتْ)انتفخت (إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فيكون قادرا على البعث ضرورة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن، يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الأرض إذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة. يلحدون حمزة(لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ) وعيد لهم على التحريف (أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم عليه(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لَمَّا جَآءَهُمْ) حين جاءهم وخبر إن محذوف أى يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض(وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ) أى منيع محمى بحماية الله (لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ) التبديل أو التناقض (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أى بوجه من الوجوه (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) مستحق للحمد (مَّا يُقَالُ لَكَ) مايقول لك كفار قومك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) إلا مثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة(إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) ورحمة لأنبيائه (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لأعدائهم ويجوز أن يكون مايقول لك الله إلا مثل ماقال للرسل من قبلك، والمقول هو قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ) أى الذكر (قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ)بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للإنكار يعنى لأنكروا وقالوا: أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل إليه عربى. الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والأعجمى الذى لايفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب إلى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح، والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا

فيه متعنتا لأنهم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم وفيه إشارة إلى أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لأبي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية (قُلْ هُوَ) أي القرآن (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى) إرشاد إلى الحق (وَشِفَاءٌ) لما في الصدور من الشك إذ الشك مرض (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ) في موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أي صمم إلا أن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الأخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر (وَهُوَ) أي القرآن (عَلَيْهِمْ عَمًى) ظلمة وشبهة (أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) يعني أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد بأقبح الأسماء (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير العذاب (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) لأهلكهم إهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا (وَإِنَّهُمْ) وإن الكفار (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الريبة (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ) فنفسه نفع (وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) فنفسه ضر (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) فيعذب غير المسيء (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) أي علم قيامها يرد إليه أي يجب على المسئول أن يقول الله يعلم ذلك (وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ) مدني وشامي وحفص وغيرهم بغير ألف (مِّنْ أَكْمَامِهَا) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ) حملها (وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ) أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي) أضافهم إلى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الأظهر إذ الله تعالى كان عالما بذلك

وإعلام العالم محال أما الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بما علم به إلا أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا الآن إنا لنشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ أى ماّمنا أحد اليوم يشهد بأن لك شريكا وماّمنا إلا من هو موحد لك أو ماّمنا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى ماّمنا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِن قَبْلُ) فى الدنيا (وَظَنُّوا)وأيقنوا(مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ مهرب(لَّا يَسْئَمُ) لا يمل (الْإِنسَانُ) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ)من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف إلى المفعول (وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ) الفقر (فَيَئُوسٌ) من الخير (قَنُوطٌ) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حق وصل إلىّ لأنى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عنى (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) أى ماأظنها تكون قائمة(وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي) كما يقول المسلمون (إِنَّ لِي عِندَهُ) عند الله (لَلْحُسْنَىٰ) أى الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد لا يفتر عنهم (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ) هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ)الضر والفقر (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ كثير أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء

ودوامه وهو من صفة الأجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيئوس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لأن الأول فى قوم والثانى فى قوم أو قنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قُلْ أَرَءَيْتُمْ) أخبرونى (إِن كَانَ) القرآن (مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ) ثم جحدتم أنه من عند الله (مَنْ أَضَلُّ) منكم إلا أنه وضع قوله (مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ) من فتح البلاد شرقا وغربا (وَفِي أَنفُسِهِمْ) فتح مكة (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ) أى القرآن أو الإسلام (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) موضع بربك الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف وقوله (أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شىء شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شىء ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد (أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ) شك (مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم .

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فصل (حمٓ) من (عٓسٓقٓ) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا بأخواتها ولأنه آيتان وكهيعص آية واحدة (كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك (وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) وإلى الرسل من قبلك (ٱللهُ) يعنى أن ماتضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله إليك مثله وفى غيرها من السور وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله والمعنى أن الله كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب إلا أوحى إليه بحم عسق. يوحى بفتح الحاء مكى. ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله (ٱلْعَزِيزُ) الغالب بقهره (ٱلْحَكِيمُ) المصيب فى فعله

بقوله (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكاً وملكاً (وَهُوَ الْعَلِيُّ) شأنه (الْعَظِيمُ) برهانه (تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ) وبالياء نافع وعلى (يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ) يتشققن ، ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لأنها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجملت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الأرض فالكناية راجعة إلى الأرض لأنه بمعنى الأرضين وقيل يتشققن لكثرة ماعلى السموات من الملائكة، قال عليه السلام «أطت السماء أطا وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد» (وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) خضوعا لما يرون من عظمته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ) أى للمؤمنين منهم كقوله : ويستغفرون للذين آمنوا . خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من ألطافه متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب (أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لهم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ) أى جعلوا له شركاء وأندادا (اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها (وَمَآ أَنتَ) يا محمد (عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بموكل عليهم ولامفوض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك (أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) وذلك إشارة إلى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لأن هذا المعنى كرره الله فى كتابه أو هو مفعول به لأوحينا (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) حال من المفعول به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ) أى مكة لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (وَمَنْ حَوْلَهَا) من العرب (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه (لَا رَيْبَ فِيهِ) اعتراض لا محل له، يقال: أنذرته كذا

وأنذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثانى (فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ) أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) أى مؤمنين كلهم (وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ) أى يكرم من يشاء بالإسلام (وَٱلظَّـٰلِمُونَ) والكافرون (مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ) شافع (وَلَا نَصِيرٍ) دافع (أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولى سواه إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء (وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أى ما خالفتكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فَحُكْمُهُ) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (إِلَى ٱللَّهِ) وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذَٰلِكُمُ) الحاكم بينكم (ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فيه رد كيد أعداء الدين (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ) خلق لكم من جنسكم من الناس (أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا) أى وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يَذْرَؤُكُمْ) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فِيهِ) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير فيه على به لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ) قيل إن كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شيء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شيء كقوله تعالى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به. وهذا لأن المراد نفى المثلية وإذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شيء لأنهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته

ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الـكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فإذا علم أنه من باب الـكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء إلا ما تعطيه الـكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة من الجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فـكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع المسموعات بلا أذن (الْبَصِيرُ) لجميع المرئيات بلاحدقة، وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم أنه لاصفة له كالامثل له (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) مر فى الزمر (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ) أى يضيق (إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ شَرَعَ) بين وأظهر (لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ) أى شرع لـكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام ، ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلماً ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة قال الله تعالى: لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه: لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب. (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) عظم عليهم وشق عليهم (مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من إقامة دين الله والتوحيد (اللَّهُ يَجْتَبِى) يجتلب ويجمع (إِلَيْهِ) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) يقبل على طاعته (وَمَا تَفَرَّقُوا) أى أهل الـكتاب بعد أنبيائهم (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (بَغْياً بَيْنَهُمْ) حسداً وطلباً للرياسة والاستطالة بغير حق (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهى بل الساعة موعدهم (لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ) لأهلـكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا

الْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ (لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مُرِيبٍ) مدخل فى الريبة وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله ﷺ كقوله تعالى: وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم. هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل (فَلِذَٰلِكَ) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فَادْعُ) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (وَاسْتَقِمْ) عليها وعلى الدعوة إليها (كَمَا أُمِرْتَ) كما أمرك الله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ) المختلفة الباطلة (وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ) بأى كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعنى الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله : ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) فى الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلىّ (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم) أى كلنا عبيده (لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه إنا لانؤاخذ بأعمالكم وأنتم لاتؤاخذون بأعمالنا (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) أى لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوبين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لاإيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يوم القيامة (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ) يخاصمون فى دينه (مِن بَعْدِ مَااسْتُجِيبَ لَهُ) من بعد مااستجاب له الناس ودخلوا فى الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا . كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبيناقبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد مااستجيب لمحمدعليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) باطلة وسماها حجة وإن كانت شبهة لزعمهم أنها حجة (عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (اللَّهُ الَّذِى أَنزَلَ الْكِتَٰبَ) أى جنس الكتاب (بِالْحَقِّ) بالصدق أو ملتبسا به (وَالْمِيزَانَ) والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله فى زمن نوح

عليه السلام (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لاتدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) استهزاء (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا) وجلون لهولها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) الكائن لامحالة (أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ) المماراة الملاحّة لأن كل واحد منهما يمرى ماعند صاحبه (لَفِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ) عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على أنه لابد من دار جزاء (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) فى إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه وهو بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أومن ينشر المناقب ويستر المثالب أويعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد : لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ماجحدوه (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ) أى يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته فيه، فى الحديث إن من عبادى المؤمنين من لايصلح إيمانه إلا الغنى ولوأفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين من لايصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (وَهُوَ الْقَوِىُّ) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (الْعَزِيزُ) المنيع الذى لايغلب (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) سمى مايعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نُؤْتِهِ مِنْهَا) أى شيئا منها لأن من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لا مايريده ويبتغيه (وَمَا لَهُ فِى الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لألف الاستفهام وفى الكلام إضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ

مَالَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ) أى لم يأمر به (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وإن المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وإن أخر عنهم فى دار الدنيا (تَرَى الظَّـٰلِمِينَ) المشركين فى الآخرة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) من جزاء كفرهم (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) نازل بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ) عند نصب بالظرف لابيشاؤن (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) على العمل القليل (ذَٰلِكَ) أى الفضل الكبير (الَّذِى يُبَشِّرُ اللهُ) يَبْشُرُ مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ) أى به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا. ولما قال المشركون: أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ (أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ) يجوز أن يكون استثناء متصلا أى لاأسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ويجوز أن يكون منقطعا أى لاأسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال: على وفاطمة وابناها. وقيل معناه إلا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن من بطون قريش إلا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب إلى الله تعالى أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح (وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) يكتسب طاعة. عن السدى: أنها المودة فى آل رسول الله ﷺ نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه

ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت إلا أنها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) أى نضاعفها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقرىء حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود إلى الحسنة أو إلى الجنة (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمن أذنب بطوله (شَكُورٌ) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على الثاب (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لأن محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وإنما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على أنها مثبتة فى مصحف نافع (وَيُحِقُّ الْحَقَّ) ويظهر الإسلام ويثبته (بِكَلِمَاتِهِ) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فحا باطلهم وأظهر الإسلام (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) يقال قبلت منه الشىء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعود وإن كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وقال على رضى الله عنه: هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. وعن السدى: هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب. وعن غيره: هو أن لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره. وعن سهل: هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. وعن الجنيد: هو الإعراض عما دون الله (وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) وهو مادون الشرك، يعفو

لمن يشاء بلا توبة (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ) أى إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ماطلبوه وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام. مَنَّ عليهم بأن يقبل توبتهم إذا تابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم إذا دعوه ويزيدهم على ماسألوه، وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له مابالنا ندعوه فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه (وَالْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) أى لو أغناهم جميعا (لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغى وهو الكبر أى لتكبروا فى الأرض (وَلَٰكِن يُنَزِّلُ) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) بتقدير يقال قدره قدْرا وقدَرا (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ماتقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) وقرئ قنِطوا (وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذاً أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شىء (وَهُوَ الْوَلِيُّ) الذى يتولى عباده بإحسانه (الْحَمِيدُ) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ) أى علامات قدرته (خَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) مع عظمهما (وَمَا بَثَّ) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه (فِيهِمَا) من السموات والأرض (مِن دَابَّةٍ) الدواب تكون فى الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشىء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو فى فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. وإنما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الأناسى على الأرض أو

يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسي (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ) يوم القيامة (إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ) إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي، قال الله تعالى: والليل إذا يغشى (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ) غم وألم ومكروه (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم. بما كسبت بغير الفاء مدني وشامي على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط. وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ) أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة، وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ماوصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ماعفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه، وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة، وعن علي رضي الله تعالى عنه: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لايعاقب ثانيا وإذا عفا لايعود (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ) أي بفائتين ما قضي عليكم من المصائب (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ) متول بالرحمة (وَلَا نَصِيرٍ) ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ) جمع جارية وهي السفينة الجواري في الحالين مكي وسهل ويعقوب وافقهم مدني وأبو عمرو في الوصل (فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) كالجبال (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ) الرياح مدني (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجري (عَلَىٰ ظَهْرِهِ) على ظهر البحر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على بلائه (شَكُورٍ) لنعمائه أي لكل مؤمن مخلص فالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بِمَا كَسَبُوا) من الذنوب (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ) منها فلا يجازي عليها وإنما أدخل العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه لأن المعنى أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (وَيَعْلَمَ)

بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أى فى إبطالها ودفعها، ويعلمُ مدنى وشامى على الاستئناف ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ مهرب من عذابه ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ أى الكبائر من هذا الجنس ، كبيرَ الإثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك ﴿ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ ﴾ من أمور دنياهم ﴿ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ أى هم الأخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ نزلت فى الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وأتموا الصلوات الخمس ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه، وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدقون ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ ﴾ الظلم ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ ينتقمون ممن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وإنما حمدوا على الانتصار لأن من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ فالأولى سيئة حقيقة والثانية لا وإنما سميت سيئة لأنها مجازاة السوء أو لأنها تسوء من تنزل به ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار وإنما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين يبدءون بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار. فى الحديث: ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله

غلبتهم فلا يقوم إلا من عفا (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على إضافة المصدر إلى المفعول (فَأُولَٰئِكَ) إشارة إلى معنى من دون لفظه (مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يبتدئونهم بالظلم (وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (وَلَمَن صَبَرَ) على الظلم والأذى (وَغَفَرَ) ولم ينتصر (إِنَّ ذَٰلِكَ) أى الصبر والغفران منه (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من الأمور التى ندب إليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لأنه مفهوم كما حذف من قولهم : السمن منوان بدرهم، وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الأحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ) فما له من أحد يلى هدايته من بعد إضلال الله إياه ويمنعه من عذابه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار إذ العذاب يدل عليها (خَاشِعِينَ) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ) إلى النار (مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) دائم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ) من دون عذابه (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ) إلى النجاة (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم) أى أجيبوه إلى ما دعاكم إليه (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ) أى يوم القيامة (لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) من يتصل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو بيأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) أى ليس لكم مخلص من

العذاب ولاتقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودوّن فى صحائف أعمالكم، والنكير الإنكار (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان (فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) رقيبا (إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ ٱلْبَلَـٰغُ) ماعليك إلاتبليغ الرسالة وقد فعلت (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلإِنسَـٰنَ) المراد الجمع لاالواحد (مِنَّا رَحْمَةً) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فَرِحَ بِهَا) بطر لأجلها (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما. وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وإن تصبهم باعتبار المعنى (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بسبب معاصيهم (فَإِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ كَفُورٌ) ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال: إن الإنسان لظلوم كفار. والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أى يقرنهم (ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا) لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد مايشاء فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لاتلد وكذلك رجل عقيم إذا كان لايولد له وقدم الإناث أولا على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه لاما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا. وقيل نزلت فى الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ﷺ ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (إِنَّهُۥ عَلِيمٌ) بكل شىء (قَدِيرٌ) قادر على كل شىء (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ) وما صح لأحد من البشر (أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا) أى إلهاما كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام «رؤيا الأنبياء وحى» وهو كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد (أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ)

أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه. وليس المراد به حجاب الله تعالى لأن الله تعالى لايجوز عليه مايجوز على الأجسام من الحجاب ولكن المراد به أن السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) أى يرسل ملكا (فَيُوحِيَ) أى الملك إليه وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم. ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل فى معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمما من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحى أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا وهو اختيار الخليل، أو يرسلُ رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (بِإِذْنِهِ) إذن الله (مَا يَشَاءُ) من الوحى (إِنَّهُ عَلِيٌّ) قاهر فلا يمانع (حَكِيمٌ) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وَكَذَٰلِكَ) أى كما أوحينا إلى الرسل قبلك أو كما وصفنالك (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) إيحاء كذلك (رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (مَا كُنتَ تَدْرِي) الجملة حال من الكاف فى إليك (مَا الْكِتَابُ) القرآن (وَلَا الْإِيمَانُ) أى شرائعه أو ولا الإيمان بالكتاب لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فمنى به ماالطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ) أى الكتاب (نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) لتدعو وقرىء به (إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الإسلام (صِرَاطِ اللَّهِ) بدل (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وملكا (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) صيرناه (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) جوابا للقسم وهومن الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه، والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم أوالواضح للمتدبرين أوالذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ماتحتاج إليه الأمة فى أبواب الديانة (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا معانيه (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) وإن القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ، دليله قوله: بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ . وسمى أم الكتاب لأنه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ. إم الكتاب بكسر الألف على وحمزة (لَعَلِىٌّ) خبر إن أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حَكِيمٌ) ذوحكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ماقدم من إنزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه (صَفْحًا) مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لأنه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أَن كُنتُمْ) لأن كنتم إن كنتم مدنى وحمزة وهو من الشرط الذى يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قَوْمًا مُّسْرِفِينَ) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ) أى كثيرا من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه

تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا) تمييز والضمير للمسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعيد لهم (وَلَئِن سَأَلْتَهُم) أى المشركين (مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) كوفى وغيره مهادا أى موضع قرار (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لكى تهتدوا فى أسفاركم (وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد (فَأَنشَرْنَا) فأحيينا عدول من المغايبة إلى الإخبار لعلم المخاطب بالمراد (بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) يريد ميّتا (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) من قبوركم أحياء تَخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لأن الذى صفته، وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذى لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى إنكار البعث (وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) أى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الأنعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام (ثُمَّ تَذْكُرُوا) بقلوبكم (نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا) بألسنتكم (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا) ذلل لنا هذا المركوب (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين يقال أقرن الشىء إذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لايكون قرينة للضعيف (وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة. وعن النبى ﷺ أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله. فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخرلنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا. وقالوا إذا ركب فى السفينة قال : بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وحكى أن قوما ركبوا وقالو سبحان الذى سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لاتتحرك هزالا فقال إنى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه. وينبغى أن لايكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل

عنده أنه هالك لامحالة ومنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزءاً لوالده جُزُؤاً أبو بكر وحماد (إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) لجحود النعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ) أى بل أتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لايكون إلا من جنس الوالد (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولايأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن. قال مقاتل: لاتتكلم المرأة إلا وتأتى بالحجة عليها. وفيه أنه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى، ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل يُنَشَّأ حمزة وعلى وحفص أى يربى قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) أى سموا وقالوا إنهم اناث. عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لامنزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) وهذا تهكم بهم يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) التى شهدوا بها

على الملائكة من أنوثتهم (وَيُسْئَلُونَ) عنها وهذا وعيد (وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَاعَبَدْنَٰهُم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم أى لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الأصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ) القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار وإذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم . أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله إن أنتم إلا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد إنك لرسول الله ثم قال والله يشهد إن المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لايعاقبهم على شىء فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله فيه أن الملائكة إناث (بَلْ قَالُوٓا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلا قولهم (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ) على دين فقلدناهم وهى من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التى تؤم أى تقصد (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ) الظرف صلة المهتدون أو هما خبران (وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ) نبى (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ) أى متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) وهذا تسلية للنبى ﷺ وبيان أن تقليد الآباء داء قديم (قَٰلَ) شامى وحفص أى النذير ، قل غيرهما أى قيل للنذير قل

(أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ كَٰفِرُونَ) إنا ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) أى واذكر إذ قال (إِنَّنِى بَرَآءٌ) أى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ) يثبتنى على الهداية (وَجَعَلَهَا) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى (كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لإبراهيم (بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ) يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ) أى القرآن (وَرَسُولٌ) أى محمد عليه السلام (مُّبِينٌ) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ وَقَالُوا) فيه متحكمين بالباطل (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ) فيه استهانة به (عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) أى رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما، والقريتان : مكة والطائف. وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) أى النبوة والهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) أى لم نجعل قسمة الأدون إليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ) أى جعلنا

البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ) أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لَّجَعَلْنَا) لحقارة الدنيا عندنا (لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا) أى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شىء والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سَقْفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد إلى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إن نافية ولما بمعنى إلا أى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وقد قرىء به وقرأ لَمَا غير عاصم وحمزة على أن اللام هى الفارقة بين إن المخففة والنافية وما صلة أى وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (وَالْآخِرَةُ) أى ثواب الآخرة (عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) لمن يتقى الشرك (وَمَن يَعْشُ) وقرىء ومن يعشَ والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشي يعشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) وهو القرآن كقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه إشارة إلى أن من دوام عليه لم يقرنه الشيطان (وَإِنَّهُمْ) أى الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ) ليمنعون العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) عن سبيل الهدى (وَيَحْسَبُونَ) أى العاشون (أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) وإنما جمع ضمير من وضمير الشيطان لأن من مبهم فى جنس

العاشى وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فجاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا (حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنَا) على الواحد عراقىغيرأبى بكر أى العاشىجا آنا غيرهم أىالعاشى وقرينه (قَالَ) لشيطانه (يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ) أنت (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) إذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وإذ بدل من اليوم (أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أنكم فى محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى
ولا يبكون مثل أخى ولكن ... أعزى النفس عنه بالتأسى

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولن ينفعكم هذاالتمنى أوالاعتذار لأنكم فىالعذاب مشتركون لاشتراككم فىسببه وهوالكفر ويؤيده قراءة من قرأ إنكم بالكسر (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ) أى من فقد سمع القبول (أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ) أى من فقد البصر (وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) ومن كان فى علم الله أنه يموت على الضلال (فَإِمَّا) دخلت ما على إن توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نَذْهَبَنَّ بِكَ)أى نتوفينك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم(فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ) أشد الانتقام فى الآخرة (أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ) قبل أن نتوفاك يعنى يوم بدر (فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فإمانذهبن بك الآيتين (فَٱسْتَمْسِكْ) فتمسك (بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ) وهو القرآن واعمل به (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أى على الدين الذى لاعوج له (وَإِنَّهُۥ) وإن الذى أوحى إليك (لَذِكْرٌ لَّكَ) لشرف لك (وَلِقَوْمِكَ) ولأمتك (وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال

ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة إلى غيرها وقيل إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأمهم وقيل لهسلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والإنجيل وإنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل وسل بلا همزة مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله ﷺ بقوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) ما أجابوه به عند قوله إنى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ) يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة وهوجواب فلما لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل إذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ) وهو ماقال تعالى: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر إلى الإيمان (وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر. ياأيهُ الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أوبعهده عندك وهو النبوة أوبما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) مؤمنون به (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه (فِى قَوْمِهِۦ)

جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَـٰرُ) أى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ)من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أوالواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجرى خبر للمبتدأ، وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه، وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها نخرج إليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (مِّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)الكلام لما كان به من الرتة (فَلَوْلَآ) فهلا (أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار ، غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (مِّن ذَهَبٍ) أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ)استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الإسراع (فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَـٰسِقِينَ)خارجين عن دين الله (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ) آسف منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومعناه أنهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لانحلم عنهم (فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم سُلُفا حمزة وعلى، جمع سليف أى فريق قد سلف (وَمَثَلًا)وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (لِّلْـَٔاخِرِينَ)لمن يجيء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم. ولجميع الأمم فقال ألست

تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد، والملائكة يعبدون. فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه (إِذَا قَوْمُكَ) قريش (مِنْهُ) من هذا المثل (يَصِدُّونَ) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبي ﷺ بجدله، يصُدون مدني وشامي والأعشى وعلي من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وَقَالُوٓا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (مَا ضَرَبُوهُ) أي ماضربوا هذا المثل (لَكَ إِلَّا جَدَلًا) إلا لأجل الجدل والغلبة فى القول لالطلب الميز بين الحق والباطل (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون لم يرد به إلا الأصنام لأن ما لغير العقلاء إلا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه (إِنْ هُوَ) ماعيسى (إِلَّا عَبْدٌ) كسائر العبيد (أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل (وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ) أي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يَخْلُفُونَ) يخلفونكم فى الأرض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور لجعلنا منكم لولدنا منكم يارجال ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لاتتولد إلا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) وإن عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أي وإن نزوله علم للساعة (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فلا تشكن فيها من

المرية وهو الشك (وَاتَّبِعُونِ) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى أو هو أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله (هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) أى هذا الذى أدعوكم إليه (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ)عن الإيمان بالساعة أوعن الاتباع(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر العداوة إذأخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات (قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ) أى الإنجيل والشرائع (وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (مِن بَيْنِهِمْ) من بين النصارى (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ)وهو يوم القيامة (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) الضمير لقوم عيسى أو للكفار(أَن تَأْتِيَهُم) بدل من الساعة أى هل ينظرون إلا إتيان الساعة (بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أى وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الْأَخِلَّآءُ) جمع خليل (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية (يَٰعِبَادِ) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الَّذِينَ) منصوب المحل صفة لعبادى لأنه منادى مضاف (ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا) صدقوا بآياتنا (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ)لله منقادين له (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ) المؤمنات فى الدنيا (تُحْبَرُونَ) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ) جمع صحفة (مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لاعروة له(وَفِيهَا)وفى الجنة (مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ)مدنى وشامى وحفص بإثبات الهاء العائدة إلى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى

العيون (وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) تلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الإشارة والتى أورثتموها خبر المبتدأ أو التى أورثتموها صفة المبتدأ وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة (لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) من للتبعيض أى لاتأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ) خبر بعد خبر (لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ) خبر آخر أى لايخفف ولا ينقص (وَهُمْ فِيهِ) فى العذاب (مُبْلِسُونَ) آيسون من الفرج متحيرون (وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ) بالعذاب (وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ) هم فصل (وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ) لما آيسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليمتنا من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ) لابثون فى العذاب لاتتخلصون عنه بموت ولا فتور (لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ) كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لماسألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك (١) والمراد بقوله جئنا كم الملائكة اذهم رسل الله وهو منهم (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ) لاتقبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله ﷺ فى دار الندوة (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ) حديث أنفسهم (وَنَجْوَىٰهُم) مايتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بَلَىٰ) نسمعها ونطلع عليها (وَرُسُلُنَا) أى الحفظة (لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) عندهم يكتبون ذلك ، وعن يحيى بن معاذ :

---

(١) أى الضمير قال يعود على مالك .

من ستر من الناس عيوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من أمارات النفاق (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) وصح ذلك ببرهان (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هي إن النافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقني فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له. وُلْد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) أى هو رب السموات والأرض والعرش فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها وإذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لأن التولد من صفة الأجسام (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا) في باطلهم (وَيَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أى القيامة وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طيّ وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد في طيّ جواد في تغلب وقرىء وهو الذى في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الأرض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيئا والتقدير وهو الذى هو في السماء إله وإله يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ولا يرتفع إله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول (وَهُوَ الْحَكِيمُ) في أقواله وأفعاله (الْعَلِيمُ) بما كان ويكون (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أى علم قيامها (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يرجعون مكى وحمزة وعلى (وَلَا يَمْلِكُ) آلهتهم (الَّذِينَ يَدْعُونَ) أى يدعونهم (مِن دُونِهِ) من دون الله (الشَّفَاعَةَ) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ)أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لأن فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (وَلَئِن سَأَلْتَهُم) أى المشركين (مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) لا الأصنام والملائكة (فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإقرار (وَقِيلِهِ) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله (يَا رَبِّ)والهاء يعود إلى محمد ﷺ لتقدم ذكره فى قوله: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة أى يعلم الساعة ويعلم قيله أى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. وجواب القسم(إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ) كأنه قيل وأقسم بقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم (وَقُلْ) لهم (سَلَامٌ) أى تسلم منكم ومتاركة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم. وبالتاء مدنى وشامى .

﴿ سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وجواب القسم(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الأول لقوله إنا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الأقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ

إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه فى هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة (حَكِيمٍ) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازى لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازا (أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) بدل من إنا كنا منذرين (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) مفعول له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا وعادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم (رَبِّ) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هو رب (السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) ومعنى الشرط أنهم كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا فقيل لهم ان إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ) أى هو ربكم (وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) وإن إقرارهم غير صادر عن

علم وتيقن بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (فَارْتَقِبْ) فانتظر (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ) يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مُبِينٍ) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يَغْشَى النَّاسَ) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) أى سنؤمن إن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه إلى الجنون (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى الكفر الذى كنتم فيه أو إلى العذاب (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ) هى يوم القيامة أو يوم بدر (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لأن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ) هى أن المفسرة لأن مجيء الرسول إلى من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلىّ سلموا إلى (عِبَادَ اللَّهِ) هو

مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معى كقوله: فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا إلى ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى، وعلل ذلك بقوله (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) أى على رسالتى غير متهم (وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللهِ) أن هــــذه مثل الأولى فى وجهيها أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (إِنِّى ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة تدل على أنى نبى (وَإِنِّى عُذْتُ) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) أن تقتلونى رجما ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بمــا كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ) أى إن لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى أو نخلونى كفافا لا لى ولا علىّ ولاتتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى مافيه فلاحكم ذلك. ترجونى، فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فَدَعَا رَبَّهُ) شاكيا قومه (أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (فَأَسْرِ) من أسرى. فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال أسر (بِعِبَادِى) أى بنى اسرائيل (لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو: الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ) بعــد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لأنهم (كَمْ) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة

وقيل المنابر (وَنَعْمَةٍ) تنعم (كَانُوا فِيهَا فَـٰكِهِينَ) متنعمين (كَذَٰلِكَ) أى الأمر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر (وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ) ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ)لأنهم ماتوا كفارا، والمؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكى على المؤمن من الأرض مصلاه ومن السماء مصعد عمله، وعن الحسن أهل السماء والأرض (وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) أى لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الأولاد (مِن فِرْعَوْنَ) بدل من العذاب المهين بإعادة الجار كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك من فرعون (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا) متكبرا (مِّنَ الْمُسْرِفِينَ) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (وَلَقَدِ اخْتَرْنَـٰهُمْ) أى بنى اسرائيل (عَلَىٰ عِلْمٍ) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا (عَلَى الْعَـٰلَمِينَ) على عالمى زمانهم (وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ الْأَيَـٰتِ) كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك (مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا مُّبِينٌ) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ) يعنى كفار قريش (لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ) ما الموتة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ) والإشكال أن الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل إن هى إلا حياتنا الأولى وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الأولى والجواب أنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى: وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم. فقالوا إن هى إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله إلا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما فى قوله: ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) بمبعوثين يقال: أنشر الله الموتى. ونشرهم إذا بعثهم (فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله ﷺ والمؤمنين (إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) أى إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث

الموتى حق (أَهُمْ خَيْرٌ) فى القوة والمنعة (أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث: ماأدرى أكان تبع نبيا أوغير نبى (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) مرفوع بالعطف على قوم تبع (أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) كافرين منكرين للبعث (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى وما بين الجنسين (لَاعِبِينَ) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) بالجد ضد اللعب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنه خلق لذلك (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) وقت موعدهم كلهم (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا) أىّ ولى كان عن أىّ ولى كان شيئا من إغناء أى قليلا منه (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) الضمير للمولى لأنهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لايمنع من العذاب إلا من رحمه الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أعدائه (الرَّحِيمُ) لأوليائه (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طَعَامُ الْأَثِيمِ) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء أنه كان يقرىء رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذا وبهذا تستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارىء المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالايستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه إلى قولهما وعليه الاعتماد (كَالْمُهْلِ) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) بالياء مكى وحفص [وقرئ بالتاء] فالتاء للشجرة والياء للطعام (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خُذُوهُ) أى الأثيم (فَاعْتِلُوهُ) فقودوه بعنف وغلظة، فاعتُلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ) إلى وسطها ومعظمها (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) المصبوب هو الحميم لاعذابه إلا أنه إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه

عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)على سبيل الهزؤ والتهكم . أنك أى لأنك على (إِنَّ هَٰذَا) أى العذاب أو هذا الأمر هو (مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ) تشكون (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الإقامة (أَمِينٍ) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) بدل من مقام أمين (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ) ما رق من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ إذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى (مُّتَقَابِلِينَ) فى مجالسهم وهو أتم للأنس (كَذَٰلِكَ) الكاف مرفوعة أى الأمر كذلك (وَزَوَّجْنَاهُم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بِحُورٍ) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عِينٍ) جمع عيناء وهى الواسعة العين (يَدْعُونَ فِيهَا) يطلبون فى الجنة (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الإكثار (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا) أى فى الجنة (الْمَوْتَ) البتة (إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ) أى سوى الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ) أى للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لأن العبد لا يستحق على الله شيئا (ذَٰلِكَ) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (فَارْتَقِبْ) فانتظر ما يحل بهم (إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ) منتظرون ما يحل بك من الدوائر .

﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حٰمٓ) إن جعلتها إسماً للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ مِنَ اللَّهِ) صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (الْعَزِيزِ) فى انتقامه (الْحَكِيمِ) فى تدبيره (إِنَّ فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى إن فى خلق السموات والأرض لآيات (لِّلْمُؤْمِنِينَ) دليله قوله (وَفِى خَلْقِكُمْ) ويعطف (وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ) على الخلق المضاف لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (ءَايَـٰتٌ) حمزة وعلى بالنصب. وغيرهما بالرفع مثل قولك إن زيدا فى الدار وعمراً فى السوق أو وعمرو فى السوق (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ) أى مطر وسمى به لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَـٰحِ) الريح حمزة وعلى (ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) بالنصب على وحمزة ، وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت إنّ وفى . أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات. وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى . عملت الواو الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فإنه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكر فى فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير توكيدا لآيات الأولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها بإضمار هى والمعنى فى تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه وتأخير الآخر أن المنصفين من العباد إذا نظروا فى السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وفى خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا فإذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها

بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبوراً عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تِلْكَ) إشارة إلى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات (ءَايَٰتُ اللَّهِ) وقوله (نَتْلُوهَا) فى محل الحال أى متلوة (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة (فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِ) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يُؤْمِنُونَ) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) متبالغ فى اقتراف الآثام (يَسْمَعُ ءَايَٰتِ اللَّهِ) فى موضع جر صفة (تُتْلَىٰ عَلَيْهِ) حال من آيات الله (ثُمَّ يُصِرُّ) يقبل على كفره ويقيم عليه (مُسْتَكْبِرًا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى المعقول (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) كان مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْئًا) وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتَّخَذَهَا) اتخذ الآيات (هُزُوًا) ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية .

نفسى بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين (لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) مخز (مِّن وَرَآئِهِمْ) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام (جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا) من الأموال (شَيْئًا) من عذاب الله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا) ما فيهما مصدرية أو موصلة (مِن دُونِ اللَّهِ) من الأوثان (أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى جهنم (هَٰذَا هُدًى) إشارة إلى القرآن ويدل عليه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ) لأن آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى

الرجولية (لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ) هو أشد العذاب (أَلِيمٌ) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ)بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا) هو تأكيد مافى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (مِّنْهُ) حال أى سخر هذه الأشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا) أى قل لهم اغفروا يغفروا لحذف القول لأن الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل إنه مجزوم بلام مضمر تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الأمر (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)لايتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لايؤملون الأوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (لِيَجْزِىَ) تعليل للأمر بالمغفرة أى إنما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قَوْمًا)على المدح لهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم . لنجزى شامى وحمزة وعلى . ليُجْزَى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لأن قوله إذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لايقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الإحسان (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى لها الثوب وعليها العقاب (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أى إلى جزائه (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ) التوراة (وَالْحُكْمَ) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم (وَالنُّبُوَّةَ)خصها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) على عالمى زمانهم (وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ) آيات ومعجزات (مِّنَ الْأَمْرِ) من أمر الدين (فَمَا

اخْتَلَفُوٓا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (إِلاَّ مِن بَعْدِ ماجَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أى
إلا من بعد ماجاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم
أى لعداوة وحسد بينهم (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لاعن
جهل يكون الإنسان به معذورا(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ)بعد اختلاف أهل الكتاب(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ)
على طريقة ومنهاج (مِّنَ الْأَمْرِ) من أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج
والدلائل (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ولا تتبع مالاحجة عليه من أهواء الجهال
ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك (إِنَّهُمْ)
إن هؤلاء الكافرين(لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هَٰذَا) أى القرآن (بَصَائِرُ
لِلنَّاسِ) جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة
(وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ) من العذاب (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) لمن آمن وأيقن بالبعث
(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان (اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ)
اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أَن نَّجْعَلَهُمْ)
أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف فى(كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والجملة التى هى (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) بدل من الكاف
لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد، سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال
من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم
ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون
والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام
بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة
وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة ، وقيل معناه إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا
فى الحياة فى الرزق والصحة، وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام
فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد إلى الصباح، وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول:

يافضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) بئس مايقضون إذاحسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد على مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) ليدل على قدرته (وَلِتُجْزَىٰ) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَيٰهُ) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ) فلا يقبل وعظا (وَقَلْبِهِ) فلايعتقد حقا (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً) فلايبصر عبرة، غَشْوَةً حمزة وعلى (فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ) من بعد إضلال الله إياه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فأصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ماقال :

إذا طلبتك النفس يوما بشهوة وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ماهويت فإنما هواك عدو والخلاف صديق

(وَقَالُوا مَا هِيَ) أى ماالحياة لأنهم وعدوا حياة ثانية (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) التى نحن فيها (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هوالمؤثر فى هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام : «لاتسبوا الدهر فإن الله هوالدهر» أى فإن الله هوالآتى بالحوادث لاالدهر (وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن يعنى مافيه من ذكر البعث (بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ) وسمى قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه فى زعمهم حجة (إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ) أى أحيوهم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعوى البعث ، وحجتهم

خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم إلا مقالتهم: ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وأن قالوا الخبر (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) فى الدنيا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) فيها عند انتهاء أعماركم (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائكم ضرورة (لَا رَيْبَ فِيهِ) أى فى الجمع (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر فى الدلائل (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) جالسة على الركب، يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الإبدال من كل أمة (تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا (هَٰذَا كِتَابُنَا) أضيف الكتاب إليهم للابسته إياهم لأن أعمالهم مثبتة فيه وإلى الله تعالى لأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (يَنطِقُ عَلَيْكُم) يشهد عليكم بما عملتم (بِالْحَقِّ) من غير زيادة ولا نقصان (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن الإيمان بها (وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كافرين (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالجزاء (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع عطف على محل إن واسمها. والساعة حمزة عطف على وعد الله (لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) أى شىء الساعة (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفى ماسواه وزيد نفى ماسوى الظن توكيدا بقوله (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ) ظهر لهؤلاء الكفار (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) قبائح أعمالهم أوعقوبات أعمالهم السيئات كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)

ونزل بهم جزاء استهزائهم (وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى نتركـكم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ) أى منزلكم (وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ذَٰلِكُم)العذاب(بِأَنَّكُمُ) بسبب أنكم (ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) لا يَخرجون حمزة وعلى (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب(وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)وكبّروه فقدظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والأرض (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) فى انتقامه(ٱلْحَكِيمُ)فى أحكامه .

﴿ سورة الأحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) ملتبسا بالحق (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه وهو يوم القيامة (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه إليه (مُعْرِضُونَ) لايؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون مامصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (قُلْ أَرَءَيْتُم) أخبرونى(مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) تعبدونه من الأصنام (أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ) أى شىء خلقوا مما فى الارض إن كانوا آلهة (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ) شركة مع الله فى خلق السموات والأرض (ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ماأنتم عليه من عبادة غير الله (أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين

(إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أن الله أمركم بعبادة الأوثان (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ) أى أبدا (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً) أى الأصنام لعبدتها (وَكَانُوا) أى الأصنام (بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عبدتهم (كَٰفِرِينَ) يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا ومعنى الاستفهام فى من أضل إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شىء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضـــــدا فليسوا فى الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى : إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لَمَّا جَآءَهُمْ) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر (هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر أمره فى البطلان لا شبهة فيه (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إن محمدا عليه السلام افتراه أى اختلقه وأضافه إلى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أى إن افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والإنكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) موعدة بالغفران والرحمة إن تابوا

عن الكفر وآمنوا (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) أى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى إنى لست بأول مرسل فتنكروا نبوتى (وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ) أى ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان. وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى ما يفعل يجوز أن يكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وإنما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أنّ يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما أدرى ما وما فى حيزه (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ) القرآن (مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل إن هذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب قال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال رسول الله ﷺ أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (عَلَىٰ مِثْلِهِۦ) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فَـَٔامَنَ) الشاهد (وَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن الإيمان به وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ) والواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم

أضل الناس وأظلمهم (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) أى لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا إن عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) لو كان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا إليه هؤلاء (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ) العامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) مسبب عنه وقولهم إفك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الأولين (وَمِن قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَٰبُ مُوسَىٰ) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (إِمَامًا) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى إماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (وَرَحْمَةً) لمن آمن به وعمل بما فيه (وَهَٰذَا) القرآن (كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لِّسَانًا عَرَبِيًّا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أومن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لِّيُنذِرَ) أى الكتاب ، لتنذر حجازى وشامى (ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (وَبُشْرَىٰ) فى محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له (لِلْمُحْسِنِينَ) للمؤمنين المطيعين (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا) على توحيد الله وشريعة نبيه محمد ﷺ (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى القيامة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) عند الموت (أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الإشارة الذى دل عليه أولئك (جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا) كوفى أى وصيناه بأن يحسن بوالديه إحسانا ، حُسْنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أو بأمر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ) ومدة حمله وفطامه (ثَلَٰثُونَ شَهْرًا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت

حولين لقوله تعالى: حولين كاملين. بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبوحنيفة رضي الله عنه : المراد به الحمل بالأكف. وفَصْلُهُ يعقوب والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى(حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ) هو جمع لاواحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ) المراد به نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه(وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ) قيل هى الصلوات الخمس (وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ)أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ) من كل ذنب(وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) من المخلصين (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ) حمزة وعلى وحفص. يُتقبل وَيُتجاوز أَحْسَنُ غيرهم (فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ) هو كقولك أكرمنى الأمير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم(وَعْدَ ٱلصِّدْقِ) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبى ﷺ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه (ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ) فى الدنيا (وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل إسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان ياأيها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه : والذى قال لوالديه أف لكما . فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت: والله ماهو به

ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله أى قطعة (أُفٍّ لَّكُمَآ) مدنى وحفص، أفَّ مكى وشامى، أفٌّ غيرهم وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما (أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) أن أبعث وأخرج من الأرض (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى) ولم يبعث منهم أحد (وَهُمَا) أبواه (يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (وَيْلَكَ) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (ءَامِنْ) بالله وبالبعث (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) صدق (فَيَقُولُ) لهما (مَا هَٰذَآ) القول (إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أى لأملأن جهنم (فِىٓ أُمَمٍ) فى جملة أمم (قَدْ خَلَتْ) قد مضت (مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ وَلِكُلٍّ) من الجنسين المذكورين الأبرار والفجار (دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر أو من أجل ماعملوا منهما وإنما قال درجات وقد جاء «الجنة درجات والنار دركات» على وجه التغليب (وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى وليوفيهم أعمالهم ولايظلمهم حقوقهم، قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات فاللام متعلقة بمحذوف (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أَذْهَبْتُمْ) أى يقال لهم أذهبتم وهوناصب الظرف (طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شىء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى (وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) بالطيبات (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان وقرئ به (بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) أى باستكباركم وفسقكم (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ) أى هودا (إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ) جمع حقف وهو رمل

مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو واد بين عمان ومهرة (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين أنذر قومه وبين (أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) والمعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قَالُوا) أي قوم هود (أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا) لتصرفنا فالأفك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عَنْ ءَالِهَتِنَا) عن عبادتها (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) من معاجلة العذاب على الشرك (إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في وعيدك (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ) بوقت مجيء العذاب (عِندَ اللَّهِ) ولاعلم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ) وبالتخفيف أبو عمرو أي الذي هو شأني أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) أي ولكنكم جاهلون لاتعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فَلَمَّا رَأَوْهُ) الضمير يرجع إلى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عَارِضًا) إما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) روى أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة (بَلْ هُوَ) أي قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ) من العذاب ثم فسره فقال (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بِأَمْرِ رَبِّهَا) رب الريح (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) عاصم وحمزة وخلف أي لا يرى شيء إلا مساكنهم . غيرهم لا ترى إلا مساكنهم والخطاب للرائي من كان (كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) أي مثل ذلك نجزي من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير

لمشركى العرب. عن ابن عباس رضى الله عنهما: اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ماتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة (وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ) إن نافية أى فيما مامكنا كم فيه إلا أن إن أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى أن الأصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء وقد جعلت إن صلة وتؤول بأنا مكناهم فى مثل ما مكنا كم فيه والوجه هو الأول لقوله تعالى: هم أحسن أثاثاً ورئياً ـ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا. وما بمعنى الذى أو نكرة موصوفة (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْئِدَةً) أى آلات الدرك والفهم (فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ) أى من شىء من الإغناء وهو القليل منه (إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ) إذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته فى وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وَحَاقَ بِهِم) ونزل بهم (مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم) يا أهل مكة (مِّنَ الْقُرَىٰ) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وَصَرَّفْنَا الْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا (فَلَوْلَا) فهلا (نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً) القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) غابوا عن نصرتهم (وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (مِّنَ الْجِنِّ) جن نصيبين (يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ) منه عليه الصلاة والسلام (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) أى الرسول ﷺ أو القرآن أى كانوا منه بحيث يسمعون (قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (أَنصِتُوا) اسكتوا مستمعين

روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أوتسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله ﷺ وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو فى صلاته فروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم فقال إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحدغيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله ﷺ هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فَلَمَّا قُضِىَ) أى فرغ النبى ﷺ من القراءة (وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) إياهم (قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ) وإنما قالوا من بعد موسى لأنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ) إلى الله تعالى (وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ اللَّهِ) أى محمدا ﷺ (وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) قال أبو حنيفة رضى الله عنه لاثواب لهم إلاالنجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبويوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْأَرْضِ) أى لا ينجى منه مهرب (وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه (بِقَٰدِرٍ) محله الرفع لأنه خبر أنّ يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها

وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لالرؤيتهم (عَلَىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ) هو جواب للنفى (إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) يقال لهم (أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ)وناصب الظرف القول المضمر وهذا إشارة إلى العذاب (قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بكفركم فى الدنيا(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ) أولو الجد والثبات والصبر (مِنَ الرُّسُلِ) من للتبعيض والمراد بأولى العزم ما ذكر فى الأحزاب: وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم . ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لامحالة وإن تأخر (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ) أى أنهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بَلَاغٌ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فَهَلْ يُهْلَكُ) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام «من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا ».

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الإسلام أوصدوا غيرهم عنه. قال الجوهرى: صد عنه يصد صدودا أعرض، وصده عن الأمر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أَضَلَّ

أَعْمَالَهُمْ) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل وأعمالهم ماعملوه فى كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ماعملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هم ناس من قريش أو من الأنصار أو من أهل الكتاب أو عام (وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ) وهو القرآن وتخصيص الإيمان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الإيمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) أى القرآن وقيل إن دين محمد هو الحق إذ لايرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى والإصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الضرب (يَضْرِبُ اللَّهُ) أى يبين الله (لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الأبرار (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من اللقاء وهو الحرب (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء ولأن قتل الإنسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته (حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ) أكثرتم فيهم القتل(فَشُدُّوا الْوَثَاقَ)فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الأسارى حتى لايفلتوا منكم (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ)أى بعد

أن تأسروهم (وَإِمَّا فِدَآءً) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فإما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق، والمن والفداء المذكوران فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لأن سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المسلمين[1] فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لايرى فداءهم لابمال ولابغيره لئلا يعودوا حربا علينا، وعند الشافعى رحمه الله تعالى للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أثقالها وآلاتها التى لاتقوم إلا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لايخلو من أن يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعى رحمه الله أنهم لايزالون على ذلك أبدا إلى أن لايكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لاتبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذَٰلِكَ) أى الأمر ذلك فهو مبتدأ وخبر أوافعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (وَلَٰكِن) أمركم بالقتال (لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ) أى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) بصرى وحفص. قاتلوا غيرهم (فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) إلى طريق الجنة أو إلى الصواب فى جواب منكر ونكير (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (وَيُدْخِلُهُمُ

---

(١) فى نسخة المشركين وعليها فالضمير فى أساراهم المسلمين اهـ.

ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) عن مجاهد عرفهم ، ساكنهم فيها حتى لايحتاجون أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ) أى دين الله ورسوله (يَنصُرْكُمْ) على عدوكم ويفتح لكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) فى مواطن الحرب أو على محجة الإسلام (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فَتَعْسًا لَّهُمْ) وعطف قوله (وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ) على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذَٰلِكَ) أى التعس والضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ) أى القرآن (فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) يعنى كفار أمتك (فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلكهم هلاك استئصال (وَلِلْكَٰفِرِينَ) مشركى قريش (أَمْثَٰلُهَا) أمثال تلك الهلكة لأن التدمير يدل عليها (ذَٰلِكَ) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) وليهم وناصرهم (وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) أى لاناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (وَيَأْكُلُونَ) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) منزل ومقام (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله ﷺ (كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم) للحمل على لفظ من ومعناه (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ) صفة الجنة العجيبة الشأن (ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ) عن الشرك (فِيهَآ أَنْهَٰرٌ) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لما

ألاترى إلى صحة قولك التى فيها أنهار أو حال أى مستقرة فيها أنهار(مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء إذا تغير طعمه وريحه أسِن مكى(وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ) كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها(وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ) تأنيث لذ وهو اللذيذ (لِّلشَّـٰرِبِينَ) أى ماهو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) مثل مبتدأ خبره (كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا) حاراً فى النهاية (فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار وهو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ودخوله فى حيزه وهو قوله: أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله. وفائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالاً تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا)بالإيمان واستماع القرآن(زَادَهُمْ) الله (هُدًى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم مايتقون (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) أى ينتظرون (أَن تَأْتِيَهُم) أى إتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها وهو مبعث محمد ﷺ وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ) قال الأخفش التقدير فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ) أن الشأن (لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفى شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب

فأمره بالاستغفار له ولكنا لانعلمه غير أن ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) فى معايشكم ومتاجركم (وَمَثْوَاكُمْ) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم فى الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر وسئل سفيان ابن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) فى معنى الجهاد (مُّحْكَمَةٌ) مبينة غير متشابهة لاتحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى أمر فيها بالجهاد (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فَأَوْلَى لَهُمْ) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) فإذا جد الأمر ولزمهم فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) فى الإيمان والطاعة (لَكَانَ) الصدق (خَيْرًا لَّهُمْ) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ والإرهاب فقال (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى فلعلكم إن أعرضتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الإفساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات . وخبر عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم إن توليتم (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى المذكورين (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الموعظة (وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) عن إبصارهم طريق الهدى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد

العصاة حتى لايجسروا على المعاصى وأم فى (أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لايتوصل إليها ذكر ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الأقفال إلى القلوب لأن المراد الأقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) أى المنافقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) زين (لَهُمْ) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن نحو ان زيدا عمرو مربه (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) ومد لهم فى الآمال والأمانى وأُمْلِيَ أبو عمرو أى امهلوا ومدفى عمرهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أى المنافقون قالوا لليهود (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى عدواة محمد والقعود من نصرته (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص. أسرارهم غيرهم جمع سر (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) أى فكيف يعملون وماحيلتهم حينئذ (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) عن ابن عباس رضى الله عنهما: لايتوفى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذَٰلِكَ) إشارة إلى التوفى الموصوف (بِأَنَّهُمُ) بسبب أنهم (اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ) من معاونة الكافرين (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) من نصرة المؤمنين (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالى لايبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها * وعن أنس رضى الله عنه : ماخفى على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لأنهم كانوا لايقدرون على كتمان مافى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لوكالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) فيميز خيرها من شرها (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) بالقتال إعلاما لااستعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى إظهار العدل (حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ) على الجهاد أى نعلم كائنا ماعلمناه

*نه سيكون (وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم. ويبلو أبو بكر * وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لاتبلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) من بعد ماظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالنفاق أو بالرياء (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فَلَا تَهِنُوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار إلى الصلح (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) أى الأغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (وَاللهُ مَعَكُمْ) بالنصرة أى ناصركم (وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) تنقطع فى أسرع مدة (وَإِن تُؤْمِنُوا) بالله ورسوله (وَتَتَّقُوا) الشرك (يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ) ثواب إيمانكم وتقواكم (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) أى لايسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول * وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض (إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ) أى يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شىء يقال أحفاه فى المسئلة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه إذا استأصله (تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ) أى الله أو البخل (أَضْغَانَكُمْ) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لأنه عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (هَا أَنتُمْ) هاللتنبيه (هَٰؤُلَاءِ) موصول بمعنى الذين صلته (تُدْعَوْنَ) أى أنتم الذين تدعون (لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) هى النفقة فى الغزو أو الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر (فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ) بالرفع لأن من هذه ليست للشرط أى فمنكم ناس يبخلون به (وَمَن يَبْخَلْ) بالصدقة وأداء الفريضة (فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) أى يبخل عن داعى نفسه لاعن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ) أى أنه لا يأمر بذلك

لحاجته إليه لأنه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب (وَإِن تَتَوَلَّوْا) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق فى سبيله وهو معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس * وسئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناله رجال من فارس (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) أى ثم لايكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم .

﴿ سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه مغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضى لأنها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا * وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول ﷺ ثم مجه فى البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة (لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير إنا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله إذا جاء نصر الله والفتح إلى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل (مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم من حديث

مارية وما تأخر من امرأة زيد (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيماً) ويثبتك على الدين الرضى (وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا إلى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لأمر الله (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيماً وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ) أى ولله جنود السموات والأرض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ) مكى وأبو عمرو أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها السوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف إلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) جهنم (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً) غالبا فلا يرد بأسه (حَكِيمًا) فيما دبر (إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (وَمُبَشِّرًا) للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) للكافرين من النار (لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) والخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته (وَتُعَزِّرُوهُ) وتقووه بالنصر (وَتُوَقِّرُوهُ) وتعظموه (وَتُسَبِّحُوهُ)

من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الأولين للنبي ﷺ فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (بُكْرَةً) صلاة الفجر (وَأَصِيلًا) الصلوات الأربع (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) أي بيعة الرضوان ولما قال (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وإنما يبايعون الله خبر إن (فَمَن نَّكَثَ) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بالعقود ـ والموفون بعهدهم (عَلَيْهُ اللَّهَ) حفص (فَسَيُؤْتِيهِ) وبالنون حجازي وشامي (أَجْرًا عَظِيمًا) الجنة (سَيَقُولُ لَكَ) إذا رجعت من الحديبية (الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك أنه عليه السلام حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو ﷺ وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) هي جمع أهل اعتلوا بالشغل بأعمالهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس ما يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا)

ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلى (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) من غنيمة وظفر (بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) زينه الشيطان (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) من علو الكفر وظهور الفساد (وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) أى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله والإيمان برسوله فهو كافر ونكر (سَعِيرًا) لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدبره تدبير قادر حكيم (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) سبقت رحمته غضبه (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديبية (إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ) إلى غنائم خيبر (لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) كلم الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئاً (قُل لَّن تَتَّبِعُونَا) إلى خيبر وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ) من قبل انصرافهم إلى المدينة إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمة (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من كلام الله (إِلَّا قَلِيلًا) إلا شيئا قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين أن الأول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثانى إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل

ينقادون لأن فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فَإِن تُطِيعُوا) من دعاكم إلى قتاله (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً) فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة (وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ) أي عن الحديبية (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) في الآخرة (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) نفى الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في الجهاد وغير ذلك (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن الطاعة (يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً) ندخله ونعذبه مدني وشامي (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي ﷺ حين نزل بالحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وَأَثَابَهُمْ) وجازاهم (فَتْحاً قَرِيباً) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً) منيعا فلا يغالب (حَكِيماً) فيما يحكم فلا يعارض (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) هي ما أصابوه مع النبي ﷺ وبعده إلى يوم القيامة (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) المغانم يعني مغانم خيبر (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (وَلِتَكُونَ) هذه الكفة (آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وَأُخْرَىٰ) معطوفة على هذه أي فعجل

لكم هذه الغنائم ومغانم أخرى هى مغانم هوازن فى غزوة حنين (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) لما كان فيها من الجولة (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا، وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) قادرا (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ) لغلبوا وانهزموا (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يلى أمرهم (وَلَا نَصِيراً) ينصرهم (سُنَّةَ اللَّهِ) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلى (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) تغييرا (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ) أى أيدى أهل مكة (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم) عن أهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (بِبَطْنِ مَكَّةَ) أى بمكة أو بالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) أى أقدركم وسلطكم (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) وبالياء أبو عمرو (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ) هو ما يهدى إلى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ) محبوسا أن يبلغ، ومعكوفا حال. وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (مَحِلَّهُ) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على أن المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ) بمكة (لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ) صفة للرجال والنساء جميعا (أَن تَطَئُوهُمْ) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ) إثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه

بإذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة إذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تميز والإثم إذا قصر (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلق بأن تطئوهم يعنى أن تطئوهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقه لما كف أيديكم عنهم وقوله (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الإسلام من رغب فيه من مشركيهم (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا) هو الجواب تقديره ولولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (مِنْهُمْ) من أهل مكة (عَذَابًا أَلِيمًا) والعامل فى (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قريش لعذبنا أى لعذبناهم فى ذلك الوقت أو اذكر (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) المراد بحمية الذين كفروا وهى الأنفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما يروى أن رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبى ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة. فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهمّ المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه

فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ) الجمهور على أنها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وَكَانُوا) أى المؤمنون (أَحَقَّ بِهَا) من غيرهم (وَأَهْلَهَا) بتأهيل الله إياهم (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) فيجرى الأمور على مصالحها (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: صدقوا ما عاهدوا الله عليه . روى أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا : إن رؤيا رسول الله ﷺ حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبىّ وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بِالْحَقِّ) متعلق بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتميز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه، وجوابه (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) وعلى الأول هو جواب قسم محذوف (إِن شَاءَ اللهُ) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته (ءَامِنِينَ) حال والشرط معترض (مُحَلِّقِينَ) حال من الضمير فى آمنين (رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها (لَا تَخَافُونَ) حال مؤكدة (فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ) أى من دون فتح مكة (فَتْحًا قَرِيباً) وهو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ) بالتوحيد (وَدِينِ الْحَقِّ) أى الإسلام (لِيُظْهِرَهُ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جنس الدين يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات (وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا) على أن ما وعده كائن ، وعن الحسن شهد على نفسه أنه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا .

وشهيداً تمييز أو حال (مُحَمَّدٌ) خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رَسُولُ اللهِ) وقف عليه نصير (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه (تَرَاهُمْ رُكَّعاً) راكعين (سُجَّداً) ساجدين (يَبْتَغُونَ) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ) علامتهم (فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذَٰلِكَ) أى المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم (فِي التَّوْرَاةِ) وعليه وقف (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ) مبتدأ خبره (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ (فَآزَرَهُ) قواه، فأزره شامى (فَاسْتَغْلَظَ) فصار من الرقة إلى الغلظ (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) فاستقام على قصبه جمع ساق (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبى ﷺ قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان، وقولك أنفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس

وهذه الآية ترد قول الروافض إنهم كفروا بعد وفاة النبي ﷺ إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته .

﴿ سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا) قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع فى النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهى متوجه إلى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيى ويميت أو هو من قدّم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدّموا بحذف إحدى تاءى تتقدموا (بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشىء باسم غيره إذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله أى سرنى حسن حال زيد فكذلك هناالمعنى بين يدى رسول الله ﷺ وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله ﷺ من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لأن من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت وعن الحسن أن إناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لما تقولون (عَلِيمٌ) بماتعملون وحق مثله أن يتقى (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك

منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) أى إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) أى إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أولا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى ﷺ أبو بكر وعمر إلا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى ﷺ فيتأذى بصوته، وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) تم اسم إن عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أُولَئِكَ) مبتدأ خبره (الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر إن والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة * وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) جملة أخرى قيل نزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر

معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ـ دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظيم ماارتكب الرافعون أصواتهم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي ﷺ من وراء حجراته وقالوا اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله ﷺ والفعل وإن كان مسندا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفي العام إذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من إجلال محل رسول الله ﷺ منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الإضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أي ولو ثبت صبرهم، ومحل أنهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى: واصبر نفسك

مع الذين يدعون ربهم. وقولهم صبرهن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لايتجرعه إلا الحر وقوله (حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (لَكَانَ) الصبر (خَيْرًا لَّهُمْ) فى دينهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ) أجمعوا أنها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله ﷺ مصدقا إلى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فى الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين إليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا إليه الصدقات فرجع وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والأنباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ (فَتَبَيَّنُوٓا۟) فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج من الشىء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشىء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا) لئلا تصيبوا (بِجَهَـٰلَةٍ) حال يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة (فَتُصْبِحُوا۟) فتصيروا (عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ماوقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ) فلا تكذبوا فإن الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا إليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ)وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت

صفة الذين حبب الله إليهم الإيمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة مابعدها لما قبلها نفيا وإثباتا (وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (وَالْفُسُوقَ) وهو الخروج عن محجة الإيمان بركوب الكبائر (وَالْعِصْيَانَ) وهو ترك الانقياد بما أمر به الشارع (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الرَّٰشِدُونَ) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة ، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً) الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام والانتصاب على المفعول له أى حبب وكره للفضل والنعمة (وَاللهُ عَلِيمٌ) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حَكِيمٌ) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الأفاضل (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالأيدى والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فأصلحوا بينهما نظرا إلى اللفظ (فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ) البغى الاستطالة والظلم وإباء الصلح (فَقَٰتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ) أى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ماقاتلت فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فَإِن فَآءَتْ) عن البغى إلى أمر الله (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسِطُوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ماأمر به فى إصلاح ذات البين (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين والقسط: الجور ، والقسط: العدل، والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) هذا تقرير لما ألزمه من تولى الإصلاح

بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الإخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على أنه إذا نشب مثل ذلك بين الأخوين ولادا لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وإزاحته بالصلح بينهما فالإخوة فى الدين أحق بذلك، إخوتكم يعقوب (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا والآية تدل على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان لأنه سماهم مؤمنين مع وجود البغى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) القوم: الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى: الرجال قوامون على النساء وهو فى الأصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية إذ لو كانت النساء داخلة فى قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله :

وما أدرى ولست إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وإن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه، وقوله: عسى أن يكونوا خيرا منهم. كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهى وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى، وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن

أحول كلبا ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ ﴾ ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز: الطعن والضرب باللسان ولا تلمُزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ماتلمزون به لأن من فعل مااستحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ ﴾ التنابز بالألقاب التداعى بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو مايتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذماله فأما مايحبه فلا بأس به وروى أن قوما من بنى تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت. وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة ، وعن أنس رضى الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا ﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَٰنِ ﴾ الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ماسما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الإيمان استقباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذى يحظره الإيمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودى يافاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ ﴾ مما نهى عنه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴾ وحد وجمع للفظ من ومعناه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى: واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام. ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوءا فأما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا أو احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض، والإثم: الذنب الذى يستحق

صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب (وَلَا تَجَسَّسُوا) أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل: لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فهو غيبة وإلا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) ميتًا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى، وانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فَكَرِهْتُمُوهُ) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أن تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) التواب: البليغ فى قبول التوبة، والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يبغى لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندى شىء فأخبرهما سلمان فقالا : لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما . فقالا: ماتناولنا لحما، قال : إنكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه. ثم قرأ الآية، وقيل غيبة الخلق إنما تكون من الغيبة عن الحق (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد إلا وهو يدلى بمثل ما يدلى به

الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ)
الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن
والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن
تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل ، خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها (لِتَعَارَفُوا) أى إنما
رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه لاأن تتفاخروا
بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل فى الأنساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الإنسان غيره
ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فى الحديث:
من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: كرم الدنيا الغنى
وكرم الآخرة التقوى. وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال: الحمد لله الذى أذهب عنكم عُبية الجاهلية وتكبرها ياأيها الناس إنما الناس رجلان
مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله. ثم قرأ الآية، وعن يزيد بن شجرة مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن
لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض
فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت (إِنَّ اللهَ
عَلِيمٌ) كرم القلوب وتقواها (خَبِيرٌ) بهم النفوس فى هواها (قَالَتِ الأَعْرَابُ) أى بعض
الأعراب لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بنى أسد قدموا المدينة فى
سنة جدبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (ءَامَنَّا) أى ظاهرا وباطنا (قُل)
لهم يامحمد (لَّمْ تُؤْمِنُوا) لم تصدقوا بقلوبكم (وَلَـٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) فالإيمان هو التصديق
والإسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى
إلى قوله (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ) فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من
غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان وهذا من حيث اللغة
وأما فى الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما عرف، وفى لما معنى التوقع وهو دال على أن بعض

هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان، فإن قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل قل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ماادعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالإيمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غيرمعتد به وليس قوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فإن فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم توقيت لماأمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا (وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى السر بترك النفاق (لَا يَلِتْكُم) لا يألتكم بصرى (مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) أى لاينقصكم من ثواب حسناتكم شيئاً ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بستر الذنوب (رَّحِيمٌ) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لما صدقوه ولما كان الإيقان وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخى إشعارا باستقراره فى الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذى هو المؤمنون (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ) أى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مخلصون

فنزل (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ) أى بأن (أَسْلَمُوا) يعنى بإسلامهم والمن ذكر الأيادى تعريضا للشكر (قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ) أى المنة لله عليكم (أَنْ هَدَىٰكُمْ) بأن هداكم أو لأن (لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين فى ادعائكم الإيمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شىء فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب .

﴿ سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الكلام فى (قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوٓا) كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) أى محمد ﷺ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن إلا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شىء وإقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله (فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالإنكار

ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع. مِتنا نافع وعلى وحمزة وحفص (ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أى بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأ كله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الإصبع إذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أَفَلَمْ يَنظُرُوا) حين كفروا بالبعث (إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ) إلى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) رفعناها بغير عمد (وَزَيَّنَّاهَا) بالنيرات (وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) من فتوق وشقوق أى أنها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) دحوناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) يبتهج به لحسنه (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ) لنبصر به ونذكر (لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى ربه مفكر فى بدائع خلقه (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا) كثير المنافع (فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طوالا فى السماء (لَّهَا طَلْعٌ) هو كل مايطلع من ثمر النخيل (نَّضِيدٌ) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة ما فيه من الثمر (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ) أى أنبتناها رزقا للعباد لأن الإنبات فى معنى الرزق

فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أوهو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وَأَحْيَيْنَا بِهِ) بذلك الماء (بَلْدَةً مَيْتاً) قدجف نباتها (كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأن إحياء الموات كإحياء الأموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الأخدود (وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) سماهم إخوانه لأن بينهم وبينه نسبا قريبا (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كُلٌّ) أى كل واحد منهم (كَذَّبَ الرُّسُلَ) لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فَحَقَّ وَعِيدِ) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم (أَفَعَيِينَا) عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار (بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أى أنا لم نعجز عن الخلق الأول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) بعد الموت وإنما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وأن حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) المراد قرب علمه منه (مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والإضافة للبيان كقولهم بعير سانية (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) يعنى الملكين الحافظين (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد القاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئا ومن أجل الطوى رمانى

أى رمانى بأمر كنت منه بريئا وكان والدىمنه بريئا وإذ منصوب بأقرب لمافيه من معنى يقرب والمعنى إنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شىء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة وهو مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ) مايتكلم به وما يرمى به من فيه (إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَتِيدٌ) حاضر ثم قيل يكتبان كل شىء حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان إلا مافيه أجر أو وزر وقيل إن الملكين لايجتنبانه إلا عند الغائط والجماع . لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ماأنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) أى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بِالْحَقِّ) أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة (ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ) الإشارة إلى الموت والخطاب للإنسان فى قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات (تَحِيدُ) تنفر وتهرب (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) يعنى نفخة البعث (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والإشارة إلى مصدر نفخ (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) أى ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ماهو فى حكم المعرفة (لَّقَدْ كُنتَ) أى يقال لها لقد كنت (فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لايبصر شيئا فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدا لتيقظه (وَقَالَ قَرِينُهُ) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه (هَٰذَا) أى ديوان عمله ، مجاهد : شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين . هذا أى الذى وكلت به (مَا لَدَيَّ

عَتِيدٌ) هذا مبتدأ وما نـكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شيء ثابت لدىّ عتيد ثم يقول الله تعالى (أَلْقِيَا) والخطاب للسائق والشهيد أو للمالك وكأن الأصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لأن الفاعل كالجزء من الفعل فـكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والألف بدل من النون إجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ) بالنعم والمنعم (عَنِيدٍ) معاند مجانب للحق معاد لأهله (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله (مُعْتَدٍ) ظالم متخط للحق (مُرِيبٍ) شاك فى الله وفى دينه (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا ءاخَرَ) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) أو بدل من كل كفار وفألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لـكفار لأن النكرة لاتوصف بالموصول (قَالَ قَرِينُهُ) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملـكين وقول قرينه ماقال له وأما هذه فهى مستأنفة كاتستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فـكأن الـكافر قال رب هو أطغانى فقال قرينه (رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ) أى ما أوقعته فى الطغيان ولـكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا) هو استئناف مثل قـــوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فـــاذا قال الله فقيل قال لا تختصموا (لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْـكُم بِالْوَعِيدِ) أى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتـكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لـكم حجة علىّ والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) أى لا تطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى بإدخال الـكفار فى النار (وَمَا أَنَا بِظَلَّـٰمٍ لِلْـعَبِيدِ) فلا أعذب عبـدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يَوْمَ) نصب بظلام أو بمضمر هواذكر وأنذر (نَقُولُ) نافع وأبو بكر أى يقول الله (لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) وهو مصدر كالمحيد أى أنها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أى هل

بقى فىّ موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت أوأنها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كإنطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت أم لا (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) غيرنصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالصليل والصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هَٰذَا) مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت (مَا تُوعَدُونَ) صفته وبالياء مكى (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاع إلى ذكر الله خبره (حَفِيظٍ) حافظ لحدوده جاء فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أوابا حفيظا (مَّنْ) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من فى معنى الجمع (خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب (بِالْغَيْبِ) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب أوصفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب. الحسن: إذا أغلق الباب وأرخى الستر (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) أى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرين الخلود (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) على مايشتهون والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم) قبل قومك (مِّن قَرْنٍ) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم) من قومك (بَطْشًا) قوة وسطوة (فَنَقَّبُوا) فخرقوا (فِي الْبِلَادِ) وطافوا والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر (هَلْ مِن مَّحِيصٍ) مهرب من الله أو من الموت (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَذِكْرَىٰ) تذكرة وموعظة (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) واع لأن من لا يعى قلبه فكأنه

لا قلب له (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) أصغى إلى المواعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) إعياء، قيل نزلت فى اليهود ـ لعنت ـ تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذى وقع من التشبيه فى هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ وأنكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أى على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون فى أمر البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أوعلى الصلاة فالصلاة (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) الفجر (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) العشاءان أوالتهجد (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر، وإدبار حجازى وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (وَاسْتَمِعْ) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى. المنادى بالياء فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وفى الوصل مدنى وأبوعمرو، وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى إسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الأرض إلى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الأرض (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ) بدل من يوم ينادى . الصيحة النفخة الثانية (بِالْحَقِّ) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) من القبور (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي) الخلق (وَنُمِيتُ) أى نميتهم فى الدنيا (وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ) أى مصيرهم (يَوْمَ تَشَقَّقُ) خفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الْأَرْضُ عَنْهُمْ) أى تتصدع الأرض فتخرج

الموتى من صدوعها (سِرَاعًا) حال من المجرور أى مسرعين (ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ) كقوله بمسيطر أى ما أنت بمسلط عليهم إنما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الأمر بمعنى أجبره أى ماأنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان (فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) كقوله : إنما أنت منذر من يخشاها. لأنه لا ينفع إلا فيه والله أعلم .

﴿ سورة الذاريات مكية وهى ستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالذَّٰرِيَٰتِ) الرياح لأنها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذَرْوًا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فَالْحَٰمِلَٰتِ) السحاب لأنها تحمل المطر (وِقْرًا) مفعول الحاملات (فَالْجَٰرِيَٰتِ) الفلك (يُسْرًا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا) الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح وإسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجوّ جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجوّ باسطة له فتقسم المطر (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لَصَادِقٌ) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء على الأعمال (لَوَٰقِعٌ) لكائن (وَالسَّمَآءِ) هذا قسم آخر (ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال إن خلقة السماء

كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف، الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أويصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هومأفوك (قُتِلَ) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الْخَرَّاصُونَ) الكذابون المقدرون مالايصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) فى جهل يغمرهم (سَاهُونَ) غافلون عما أمروا به (يَسْئَلُونَ) فيقولون (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أورفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار (هَٰذَا) مبتدأ خبره (الَّذِي) أى هذا العذاب هو الذى (كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فى الدنيا بقولكم فأتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أى وتكون العيون وهى الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر إن (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ) قبل دخول الجنة فى الدنيا (مُحْسِنِينَ) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم مابعده (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون ومامزيدة للتوكيد ويهجعون خبركان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لأنه صار موصوفا بقوله من الليل

خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تـكون ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لأن ما النافية لايعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم، والسحر السدس الأخير من الليل (وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ) لمن يسأل لحاجته (وَالْمَحْرُومِ) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وَفِى الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون متفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال (لِّلْمُوقِنِينَ) للموحدين الذين سلـكوا الطريق السوى البرهانى الموصّل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيقانا على إيقانهم (وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فإنه إذا جسا منها شىء جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لأنه يفضى إلى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) تنظرون نظر من يعتبر (وَفِى السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ) أى المطر لأنه سبب الأقوات ، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولـكنكم تحرمونه بخطاياكم (وَمَا تُوعَدُونَ) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ما توعدون (مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) بالرفع كوفى غير حفص صفة

الحق أى حق مثل نطقكم، وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة وعن الأصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود فقال : من الرجل؟ فقلت : من بنى أصمع قال من أين أقبلت؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الله ، قال : اتلو علىّ فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل واصفر فسلم علىّ واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هَلْ أَتَاكَ) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال وفى الأرض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لأنه فى الأصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لأنهم كانوا فى حسبانه كذلك (الْمُكْرَمِينَ) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لأنه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ) نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام ابراهيم لهم وإلا فبإضمار اذكر (فَقَالُوا سَلَامًا) مصدر سادّ مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قَالَ سَلَامٌ) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم. حمزة وعلى: سلم والسلم السلام (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) أى أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) فذهب إليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) ليأكلوا

منه فلم يأكلوا (قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ) أنكر عليهم ترك الأكل أوحثهم عليه (فَأَوْجَسَ) فأضمر (مِنْهُمْ خِيفَةً) خوفا لأن من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قَالُوا لاَ تَخَفْ) إنا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) أى يبلغ ويعلم والمبشر به إسحق عند الجمهور (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ) فى صيحة من صر القلم والباب، قال الزجاج: الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فأخذت فى صياح وصرتها قولها يا ويلتا (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قَالُوا كَذَٰلِكِ) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قَالَ رَبُّكِ) أى إنما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) فى فعله (الْعَلِيمُ) فلا يخفى عليه شىء وروى أن جبريل قال لها حين استبعدت انظرى إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلا فى بعض الأمور (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أولهما (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) أى قوم لوط (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مُّسَوَّمَةً) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عِندَ رَبِّكَ) فى ملكه وسلطانه (لِلْمُسْرِفِينَ) سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يعنى لوطا ومن آمن به (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) أى غير أهل بيت وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وَتَرَكْنَا فِيهَا) فى قراهم (آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وَفِي مُوسَىٰ) معطوف على وفى

الأرض آيات أوعلى قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فَتَوَلَّىٰ) فأعرض عن الإيمان (بِرُكْنِهِ) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن إليه الإنسان من مال وجند (وَقَالَ سَاحِرٌ) أى هو ساحر (أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وإنما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لأن موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) هى التى لاخير فيها من إنشاء مطر أوإلقاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والأظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) هو كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شىء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته (وَفِي ثَمُودَ) آية أيضا (إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) فاستكبروا عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة. الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وَهُمْ يَنظُرُونَ) لأنها كانت نهارا يعاينونها (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ) أى هرب أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه (وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى وأهلكنا قوم نوح لأن ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح . وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (مِّن قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) كافرين (وَالسَّمَاءَ) نصب بفعل يفسره (بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ) بقوة والأيد القوة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الإنفاق أو لموسعون ما بين السماء والأرض (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر

أى فرشنا الأرض فرشناها (فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ) نحن (وَمِن كُلِّ شَىْءٍ) من الحيوان (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (فَفِرُّوٓا إِلَى اللَّهِ) أى من الشرك إلى الإيمان بالله أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن أو مما سواه إليه (إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) والتكرير للتوكيد والإطالة فى الوعيد أبلغ (كَذَٰلِكَ) الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم) من قبل قومك (مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم (أَتَوَاصَوْا بِهِ) الضمير للقول أى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أى لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ) فلا لوم عليك فى إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وَذَكِّرْ) وعظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) بأن تزيد فى عملهم[1] (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلابد أن توجد منهم فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس. وقيل إلا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل إلا ليكونوا عبادا لى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس

(١) فى نسخة: علمهم.

رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليلة قوله: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين . نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته إلا للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته إلا للكتابة وإن استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ) ماخلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) قال ثعلب أن يطعموا عبادى وهى إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى: من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة * قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) نزول العذاب وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) أى من يوم القيامة وقبل من يوم بدر. ليعبدونى، أن يطعمونى. فلا يستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب وافقه سهل فى الوصل. الباقون بغير ياء والله أعلم .

﴿ سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالطُّورِ) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) هو القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (فِى رَقٍّ) هو الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه (مَّنشُورٍ) مفتوح لا ختم عليه أو لا ئح (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون إليه أبدا

وقيل الكعبة لسكونها معمورة بالحجاج والعمار (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء أو العرش (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) المملوء أو الموقد والواو الأولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) أى الذى أوعد الكفار به (لَوَاقِعٌ) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله ﷺ أكلمه فى الأسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أو اذكر (يَوْمَ تَمُورُ) تدور كالرحى مضطربة (السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) فى الهواء كالسحاب لأنها تصير هباء منثورا (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) فى الدنيا (أَفَسِحْرٌ هَٰذَا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ) فى أية جنات (وَنَعِيمٍ) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فَاكِهِينَ) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) وعطف قوله (وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ) على فى جنات أى إن المتقين استقروا فى جنات ... ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على أن تجعل

ما مصدرية والمعنى فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم (عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أكلا وشربا هنيئاً أوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه (مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (عَلَىٰ سُرُرٍ) جمع سرير (مَّصْفُوفَةٍ) موصول بعضها ببعض (وَزَوَّجْنَٰهُم) وقرناهم (بِحُورٍ) جمع حوراء (عِينٍ) عظام الأعين حسانها (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) مبتدأ والحقنا بهم خبره (وَاتَّبَعَتْهُمْ) وأتبعناهم أبوعمرو (ذُرِّيَّتُهُم) أولادهم (بِإِيمَٰنٍ) حال من الفاعل (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أى نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل إن الذرية وإن لم يبلغون مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا وإنما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء . ذريتهم ذرياتهم مدنى ذرياتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتهم شامى (وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شىء ألتناهم مكى ألت يألت ألت يألت لتان من الأولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وَأَمْدَدْنَٰهُم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يقترحوا (يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) خمرا أى يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لَّا لَغْوٌ فِيهَا) فى شربها (وَلَا تَأْثِيمٌ) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربى خمر الدنيا لأن عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لالغوَ فيها ولاتأثيمَ مكى وبصرى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كَأَنَّهُمْ) من بياضهم وصفائهم (لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) فى الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أومخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة فى الحديث: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يبابه لبيك لبيك (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ) أى فى الدنيا (فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) ارقاء القلوب من خشية الله أوخائفين

من نزع الإيمان وفوت الأمان أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿ وَوَقَـٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ هى الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ ﴾ من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يعنون فى الدنيا ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴾ المحسن ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ العظيم الرحمة الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب . أنه بالفتح مدنى وعلى أى بأنه أو لأنه ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل ﴿ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ كما زعموا وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ هو ﴿ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة. وأم فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم ﴾ عقولهم ﴿ بِهَـٰذَآ ﴾ التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ اختلقه محمد من تلقاء نفسه ﴿ بَل ﴾ رد عليهم أى ليس الأمر كما زعموا ﴿ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ ﴾ مختلق ﴿ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ مثل القرآن ﴿ إِن كَانُوا صَـٰدِقِينَ ﴾ فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لأنه بلسانهم وهم فصحاء ﴿ أَمْ خُلِقُوا ﴾ أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم ﴿ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ من غير مقدر ﴿ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لا شىء من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتمرون ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فلا يعبدون خالقهما ﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا ﴿ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ الأرباب

الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على مشيئتهم. وبالسين مكي وشامي (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ) منصوب يرتقون به إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أَمْ لَهُ الْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) على التبليغ والإنذار (فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ) المغرم أن يلتزم الإنسان ماليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين (فَالَّذِينَ كَفَرُوا) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هُمُ الْمَكِيدُونَ) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يمنعهم من عذاب الله (سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ) والكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مَّرْكُومٌ) قد ركم أى جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب (فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) بضم الياء عاصم وشامي الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق (يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) وإن لهؤلاء الظلمة (عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ الجماعة ألا

ترى إلى قـــوله ولتصنع على عينى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أى مكان قمت أو من منامك (وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ ٱلنُّجُومِ) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أى فى أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق .

﴿ سورة النجم إثنتان وستون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلنَّجْمِ) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (إِذَا هَوَىٰ) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة وجواب القسم (مَا ضَلَّ) عن قصد الحق (صَاحِبُكُمْ) أى محمد ﷺ والخطاب لقريش (وَمَا غَوَىٰ) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحى من عند الله يوحى إليه. ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى (عَلَّمَهُ) علم محمداً عليه السلام (شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ) ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذُو مِرَّةٍ) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فَٱسْتَوَىٰ) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء عليهم السلام فى صورته

الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء (وَهُوَ) أى جبريل عليه السلام (بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ) مطلع الشمس (ثُمَّ دَنَا) جبريل من رسول الله ﷺ (فَتَدَلَّىٰ) فزاد فى القرب، والتدلى هو النزول بقرب الشىء (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه: لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين ، وفى الحديث: لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها. والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات (أَوْ أَدْنَىٰ) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فَأَوْحَىٰ) جبريل عليه السلام (إِلَىٰ عَبْدِهِ) إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله ما ترك على ظهرها (مَآ أَوْحَىٰ) تفخيم للوحى الذى أوحى إليه قيل أوحى إليه إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ) فؤاد محمد (مَا رَأَىٰ) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن مارآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أَفَتُمَارُونَهُ) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه ، أفتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه فى المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين (وَلَقَدْ رَءَاهُ) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نَزْلَةً أُخْرَىٰ) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ) الجمهور على أنها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها ، وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل

تنتهى إليها أرواح الشهداء (عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ) أى الجنة التى يصير إليها المتقون وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء (إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ) أى رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش من ذهب (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ) بصر رسول الله ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها (وَمَا طَغَىٰ) وما جاوز ما أمر برؤيته (لَقَدْ رَأَىٰ) والله لقد رأى (مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت (أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ) أى أخبرونا عن هذه الأشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات. فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة، والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الأعز وقطعها خالد بن الوليد ، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها (ٱلْأُخْرَىٰٓ) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله وقالت: أخراهم لأولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون : إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه وضيزى فعلى إذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود، ضئزى بالهمز مكى من ضأزه مثل ضازه (إِنْ هِىَ) ما الأصنام (إِلَّآ أَسْمَآءٌ) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شىء منها وأشد منافاة لها (سَمَّيْتُمُوهَآ) أى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم

مَّـآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ) حجة (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) إلا توهم أن ماهم عليـه حق (وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ) وماتشتهيه أنفسهم (وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰٓ) الرسول والـكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنـكار أى ليس للإنسان يعنى الـكافر ما تمنى من شفاعة الأصنام أو من قوله: ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى. وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ) أى هـو مالـكهما وله الحـكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنى (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ) يعنى أن أمر الشفاعة ضيق فإن الملائـكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئا قط ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فـكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰٓئِكَةَ) أى كل واحد منهم (تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ) لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ) أى بمايقولون وقرئ بها أى بالملائـكة أو التسمية (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) هو تقليد الآباء (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أى إنما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشىء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا) فأعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ) منتهى علمهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهما (وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الأعمال الحسنى والمعنى أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملـكوت ليجزى المحسن من المـكلفين والمسىء منهم إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء (الَّذِينَ) بدل أو فى موضع رفع

على المدح أى هم الذين (يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰئِرَ ٱلْإِثْمِ) أى الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها، كبير حمزة وعلى أى النوع الكبير منه (وَٱلْفَوَٰحِشَ) ماخش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ماأوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (إِلَّا ٱللَّمَمَ) أى الصغائر والاستثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم) أى أباكم (مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم، وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء لاعلى سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ) أعرض عن الإيمان (وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ) قطع عطيته وأمسك، وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر * عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الإيمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم فى النار قال إنى خشيت عذاب الله فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه (أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ) فهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ) يخبر (بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ) أى التوراة (وَإِبْرَٰهِيمَ) أى وفى صحف إبراهيم (ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ) أى وفر وأتم كقوله فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرىء مخففا والتشديد مبالغة فى الوفاء * وعن الحسن ما أمره الله بشىء إلا وفى به، وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف

فى النار قال له جبريل : ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا * وعن النبى ﷺ : وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى ، وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى فسبحان الله حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفى سهام الإسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الأحزاب إن المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما فى صحف موسى وإبراهيم فقال (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) تزر من وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم وأن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما فى صحف موسى وإبراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل نفس ذنب نفس (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ) إلا سعيه وهذ أيضا مما فى صحف إبراهيم وموسى وأما ما صح فى الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل إن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعاً له وقائما بقيامه ولأن سعى غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ) أى يرى هو سعيه يوم القيامة فى ميزانه (ثُمَّ يُجْزَىٰهُ) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ) أو أبدله عنه (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) هذا كله فى الصحف الأولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: وإلى الله المصير (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) قيل أمات الآباء وأحيا الأبناء أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان أو أمات هنا وأحيا ثمة (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) إذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ) الإحياء بعد الموت (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ)

فهو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ) هم قوم هود وعاد الأخرى إرم. عاد لُّولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف (وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما أبقى لأن ما بعد الفاء لايعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا مابعد النفى لايعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى أهلك قوم نوح (مِّن قَبْلُ) من قبل عاد وثمود (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ) من عاد وثمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (أَهْوَىٰ) أى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فَغَشَّاهَا) ألبسها (مَا غَشَّىٰ) تهويل وتعظيم لماصب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ) أيها المخاطب (تَتَمَارَىٰ) تتشكك بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم أو بأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تتشكك (هَٰذَا نَذِيرٌ) أى محمد منذر (مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ) من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الأولى أى إنذار من جنس الإنذارات الأولى التى أنذر بها من قبلكم (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله: اقتربت الساعة (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) أى ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله: لايجليها لوقتها إلاهو. أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى غير أنه لا يكشفها (أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (تَعْجَبُونَ) إنكارا (وَتَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) خشوعا (وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ) غافلون أو لاهون لاعبون وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) أى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم .

﴿ سورة القمر خمس وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) نصفين وقرئ وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه * قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الأول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم (وَإِن يَرَوْا) يعنى أهل مكة (ءايَةً) تدل على صدق محمد ﷺ (يُعْرِضُوا) عن الإيمان به (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) محكم قوى من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى (وَكَذَّبُوا) النبى ﷺ (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وَكُلُّ أَمْرٍ) وعدهم الله (مُّسْتَقِرٌّ) كائن فى وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (وَلَقَدْ جَاءَهُم) أهل مكة (مِّنَ الْأَنبَاءِ) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أى منعته وأصله ازتجر ولكن التاء إذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا لأن التاء حرف مهموس والزاى حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا فى آخر كتاب سيبويه (حِكْمَةٌ) بدل من ما أو على هو حكمة (بَالِغَةٌ) نهاية الصواب أو بالغة من الله إليهم (فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) ما نفى والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) لعلمك أن الإنذار لايغنى فيهم. نصب (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) بيخرجون أو بإضمار اذكر. الداعى، إلى الداعى سهل ويعقوب ومكى فيهما وافق مدنى وأبو عمرو فى الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لمتابعة اللفظ والداعى إسرافيل عليه السلام (إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ) منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر

بالتخفيف مكى (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ) خاشعا عراقى غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل الأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الأبصار كناية عن الذلة لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) من القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) فى كثرتهم وتفرقهم فى كل جهة والجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاءوا كالجراد (مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) مسرعين مادى أعناقهم إليه (يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) صعب شديد (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل (وَقَالُوا مَجْنُونٌ) أى هو مجنون (وَازْدُجِرَ) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى) أى بأنى (مَغْلُوبٌ) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لى (فَانتَصِرْ) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ) ففتّحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض (فَالْتَقَى الْمَاءُ) أى مياه السماء والارض وقرئ الماءان أى النوعان من الماء السماوى والارضى (عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام

وبديسه والدسر جمع دسار وهوالمسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا أو بحفظنا أوبأعيننا حال من الضمير في تجرى أى محفوظة بنا (جَزَآءً) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعـده أى فعلنا ذلك جزاء (لِّمَن كَانَ كُفِرَ) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين . فكان نوح نعمة مكفورة (وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (ءَايَةً) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ يتعظ ويعتبر وأصـله مذتـكر بالذال والتاء ولـكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأدغمت الذال فى الدال (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) جمع نذير وهو الإنذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل. غيرهما بغيرياء وعلى هذا الاختلاف مابعده إلى آخر السورة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للادّكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه .ويروى أن كتب أهـل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى وإنذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أووإنذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة أوشديدة الصوت (فِى يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُّسْتَمِرٍّ) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلـكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تَنزِعُ النَّاسَ) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتـكبهم وتدق رقابهم (كَأَنَّهُمْ) حال (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادا بلا رءوس فيتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال كأنهم أعجاز نخل خاوية (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نَّتَّبِعُهُۥٓ) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) كأن يقول إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا إنكار لأن يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ) أصالح أم من كذبه. ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فِتْنَةً لَّهُمْ) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فَٱرْتَقِبْهُمْ) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (وَٱصْطَبِرْ) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فَتَعَاطَىٰ) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له (فَعَقَرَ) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وإنما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لأنه عقر بعونتهم (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) فى اليوم الرابع من عقرها (صَيْحَةً وَٰحِدَةً) صاح بهم جبريل عليه السلام (فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ) والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ إِنَّآ أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ) يعنى على قوم لوط (حَاصِباً) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (إِلاَّ ءالَ لُوطٍ) ابنتيه ومن آمن معه (نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ) من الأسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر إذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نِّعْمَةً) مفعول له أى إنعاما (مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ) نعمة الله بإيمانه وطاعته (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم) لوط عليه السلام (بَطْشَتَنَا) أخذتنا بالعذاب (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) فكذبوا بالنذر متشاكين (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) أعميناهم وقيل مسحناها وجلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فَذُوقُوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً) أول النهار (عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌ) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (وَلَقَدْ جَاءَ ءالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار (كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا) بالآيات التسع (فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ) لا يغالب (مُّقْتَدِرٍ) لا يعجزه شىء (أَكُفَّارُكُمْ) يا أهل مكة (خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰئِكُمْ) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ) أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ)

جماعة أمرنا مجتمع (مُنتَصِرٌ) ممتنع لا نرام ولا نضام (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) جمع أهــل مكة (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) أى الأدبار كما قال * كلوا فى بعض بطنــكم تعفوا * أى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) موعد عذابهم بعد بدر (وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ) أشد من موقف بدر والداهية الأمر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وَأَمَرُّ) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) عن الحق فى الدنيا (وَسُعُرٍ) ونيران فى الآخرة أوفى هلاك ونيران (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ) يجرون فيها (عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرهافكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غيرمنصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار إذا لوحته (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لأنه لورفع لأمكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشىء ويكون الخبر بقدر وتقديره إنا كل شىء مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره إنا كل شىء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الأمر فى الرفع عدل إلى النصب وتقديره إنا خلقنا كل شىء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شىء وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشىء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف. والقدْر والقدَر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شىء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف أنها نزلت فى القدرية (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ) إلا كلمة واحدة أى وما أمرنا لشىء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى أولئك الكفار أى وكل شىء مفعول لهم ثابت (فِي الزُّبُرِ) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت لشىء وفى الزبر خبر لكل (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ)

من الأعمال ومن كل ما هو كائن (مُسْتَطَرٌ) مسطور فى اللوح (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) فى مكان مرضى (عِندَ مَلِيكٍ) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومماسة (مُّقْتَدِرٍ) قادر وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شىء إلا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شىء قدير .

﴿سورة الرحمن جل وعلا مكية وهى ست وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) عدّد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شىء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدّم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدّم ما خلق الإنسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) بحساب معلوم وتقدير سوىّ يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (وَالنَّجْمُ) النبات الذى ينجم من الأرض لاساق له كالبقول (وَالشَّجَرُ) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يَسْجُدَانِ) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الأولى ثم جىء به بعد لأن الأولى وردت على سبيل التعديد تبكيتا

لمن أنكر آلاءه كمايبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبين التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل . وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهومناسب لسجود النجم والشجر (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أى كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الأرض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (أَلاَّ تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ) لئلا تطغوا أو هى أن المفسرة (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) وقوموا وزنكم بالعدل (وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا) خفضها مدحوة على الماء (لِلْأَنَامِ) للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فِيهَا فَاكِهَةٌ) ضروب مما يتفكه به (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كماينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ) هو ورق الزرع أو التبن (وَالرَّيْحَانُ) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى هو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب . والريحان بالجر حمزة وعلى أى والحب ذو العصف الذى هو علف الأنعام والريحان الذى هو مطعم الأنام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم . والحب ذا العصف والريحانَ شامى أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فَبِأَىِّ آلاءِ) أى النعم مما عدد من أول السورة جمع أَلى وإِلى (رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) الخطاب للثقلين

بدلالة الأنام عليهما (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ) طين يابس له صلصلة (كَٱلْفَخَّارِ)
أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخذف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمإ مسنون من
طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ) أبا الجن قيل هو إبليس (مِن مَّارِجٍ) هو اللهب الصافى
الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشىء إذا اضطرب واختلط (مِّن نَّارٍ)
هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله
فأنذرتكم نارا تلظى (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ)
أراد مشرق الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين
الماءين فى مرأى العين (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرة الله تعالى (لَّا يَبْغِيَانِ) لايتجاوزان
حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ)
يُخرَج مدنى وبصرى (مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ) بلا همز أبوبكرويزيدوهو كبار الدر (وَٱلْمَرْجَانُ)
صغاره وإنما قال منهما وهما يخرجان من الملح لأنهما لما التقيا وصارا كالشىء الواحد جاز
أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من
بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله وقيل لايخرجان إلا من ملتقى
الملح والعذب (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ) ولله (ٱلْجَوَارِ) السفن جمع جارية
قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وإن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز
على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (ٱلْمُنشَـَٔاتُ) المرفوعات الشرُع
المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الأمواج بجريهن (فِى
ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) جمع علم وهو الجبل الطويل (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ
عَلَيْهَا) على الأرض (فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو ٱلْجَلَٰلِ) ذوالعظمة والسلطان
وهو صفة الوجه (وَٱلْإِكْرَامِ) بالتجاوز والإحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله

وفي الحديث ألظّوا بياذا الجلال والإكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب إلى الحبيب (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كُلَّ يَوْمٍ) ظرفا بعادل عليه (هُوَ فِي شَأْنٍ) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاى أخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال أناأفسرها للملك فأعلمه فقال : أيها الملك شأن الله أنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الأمير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير إلى المواقيت وقيل إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت علىّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فما بال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الأمة وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فإنها شئون يبديها لاشئون يبتديها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شئون الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى إلى شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل. سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا) أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائى فاخرجوا ثم قال (لَا تَنفُذُونَ) لا تقدرون على النفوذ (إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة احتاطت به (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (وَنُحَاسٌ) أى دخان ونحاس مكى وابو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر (فَلَا تَنتَصِرَانِ) فلا تمتنعان منهما (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) فصارت كلون الورد الأحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كَالدِّهَانِ) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الأديم الأحمر (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ) أى فيوم تنشق السماء (لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) أى ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل إنس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم

على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالأقدام (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) ماء حار قدانتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الإنذار به من التنبيه (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو فأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جَنَّتَانِ) جنة الإنس وجنة الجن لأن الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) أغصان جمع فنن وخص الأفنان لأنها هى التى تورق وتثمر فنها تمد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين قال :

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا) فى الجنتين (عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) حيث شاءوا فى الأعالى والأسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف فى معنى الجمع (عَلَىٰ فُرُشٍ) جمع فراش (بَطَآئِنُهَا) جمع بطانة (مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها إلا الله (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكىء (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ) فى الجنتين لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ) نساء قصرن

أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ) صفاء (وَالْمَرْجَانُ) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ) فى العمل (إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ) فى الثواب وقيل ما جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة وعن إبراهيم الخواص فيه هل جزاء الإسلام الا دار السلام (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِن دُونِهِمَا) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جَنَّتَانِ) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَآمَّتَانِ) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ) ألوان الفواكه (وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولأن التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا إنما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ) أى خيرات فخففت وقرئ خيّرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى الْخِيَامِ) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (وَلَا جَآنٌّ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِـِٔينَ) نصب على الاختصاص (عَلَىٰ رَفْرَفٍ) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) ديباج أو طنافس (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وإنما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأولين حتى قيل ومن دونهما لأن مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَٰلِ) ذى العظمة . ذو الجلال شامى صفة للاسم (وَٱلْإِكْرَامِ) لأوليائه بالإنعام روى جابر أن

النبي ﷺ قرأ سورة الرحمن فقال: مالى أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر. وكررت هذه الآية فى هذه السورة إحدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم .

﴿ سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل إذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب إذا بإضمار اذكر (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى: ياليتنى قدمت لحياتى (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) أى هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شىء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) وفتتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله : وسيرت الجبال (فَكَانَتْ هَبَاءً) غبارا (مُّنبَثًّا) متفرقا (وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا) أصنافا يقال للأصناف التى بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثَلَاثَةً) صنفان فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الأزواج فقال (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول

وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال: ماهم وأى شىء هم؟ (وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) أى أىُّ شىء هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (وَٱلسَّٰبِقُونَ) مبتدأ (ٱلسَّٰبِقُونَ) خبره تقديره السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات وقيل الثانى تأكيد للأول والخبر (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ) والأول أوجه (فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) أى هم فى جنات النعيم (ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ) أى هم ثلة والثلة الأمة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ﷺ وقيل من الأولين من متقدمى هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى ﷺ الثلتان جميعا من أمتى (عَلَىٰ سُرُرٍ) جمع سرير ككثيب وكثب (مَّوْضُونَةٍ) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (مُّتَّكِـِٔينَ) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) يخدمهم (وِلْدَٰنٌ) غلمان جمع وليد (مُّخَلَّدُونَ) مبقون أبدا على شكل الولدان لايتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفى الحديث : أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بِأَكْوَابٍ) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وَأَبَارِيقَ) جمع إبريق وهو ماله خرطوم وعروة (وَكَأْسٍ) وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس (مِّن مَّعِينٍ) من خمر تجرى من العيون (لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أولا يفرقون عنها (وَلَا يُنزِفُونَ) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى أى لا ينفد شرابهم يقال أنزف القوم إذا فنى شرابهم (وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ)

يأخذون خيره وأفضله (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) يتمنون (وَحُورٌ) جمع حوراء (عِينٌ)
جمع عيناء أى وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان. وحورٍ
يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحورٍ
(كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ) فى الصفاء والنقاء (الْمَكْنُونِ) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر
حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أومصدر أى يجزون جزاء (لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا) فى الجنة (لَغْوًا) باطلا (وَلَا تَأْثِيمًا) هذيانا (إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) إلا قولا
ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أومفعول به لقيلا أى لا يسمعون فيها إلا
أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وَأَصْحَابُ
الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك
له كأنما خضد شوكه (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) الطلح شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من
أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع
الفجر وطلوع الشمس (وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ) جار بلا حد ولا خد أى يجرى على الأرض فى غير
أخدود (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) أى كثيرة الأجناس (لَّا مَقْطُوعَةٍ) لا تنقطع فى بعض
الأوقات كفواكه الدنيا بل هى دائمة (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل
لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) رفيعة القدر أو نضدت حتى
ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هى النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على
الأرائك قال الله تعالى: هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . ويدل عليه قوله
(إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فإما أن يراد اللاتى ابتدئ
انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لأن ذكر الفرش
وهى المضاجع دل عليهن (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن
أبكارا (عُرُبًا) عرْبا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها الحسنة
التبعل (أَتْرَابًا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام فى

﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ من صلة أنشأنا ﴿ ثُلَّةٌ ﴾ أى أصحاب اليمين ثلة ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فإن قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا ومن الحسن سابقوا الأمم أكثر من سابقى أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعى هذه الأمة ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ الشمال والمشأمة واحدة ﴿ فِى سَمُومٍ ﴾ فى حر نار ينفذ فى المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وماء حار متناهى الحرارة ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ من دخان أسود ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ أى فى الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ منعمين فنعمهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ ﴾ يداومون ﴿ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أى على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ تقديره أنبعث إذا متنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه إذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لأن إن والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى . أو آباؤنا مدنى وشامى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشىء أى حد ومنه مواقيت الإحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ عن الهدى ﴿ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾ بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم ﴿ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ ﴾ من لابتداء الغاية ﴿ مِّن زَقُّومٍ ﴾ من لبيان الشجر ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أنث ضمير الشجر على المعنى

وذكره على اللفظ فى منها وعليه (فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الْهِيمِ) هى إبل عطاش لاتروى جمع أهيم وهياء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملئوا منه البطون سلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هَٰذَا نُزُلُهُمْ) هو الرزق الذى يعد للناس تكرمة له (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الجزاء (نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا) فهلا (تُصَدِّقُونَ) تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) ما تمنونه أى تقذفونه فى الأرحام من النطف (ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥ) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) تقديرا قسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشىء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ) إنا قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ) وعلى أن ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم ومالا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ) النشاءة مكى وأبو عمرو (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) أن من قدر على شىء مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى (أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر (ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ) تنبتونه

وتردونه نباتا (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) المنبتون وفى الحديث : لايقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) هشيما متكسرا قبل إدراكه (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على مااقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها (إِنَّا) أى تقولون إنا ، أثنا أبو بكر (لَمُغْرَمُونَ) للزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بَلْ نَحْنُ) قوم (مَحْرُومُونَ) محارفون محدودون لا مجدودون لاحظ لنا ولابخت لنا ولو كنا مجدودين لماجرى علينا هذا (أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ) أى الماء العذب الصالح للشرب (ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) السحاب الأبيض وهوأعذب ماء (أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) بقدرتنا (لَوْنَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لأن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة الشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها فى مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الأول افتقرت فى جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لامحالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) التى منها الزناد (أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ) الخالقون لها ابتداء (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا) أى النار (تَذْكِرَةً) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به (وَمَتَاعًا) ومنفعة (لِّلْمُقْوِينَ) للمسافرين النازلين فى القواء

وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الإنسان فقال أفرأيتم ما تمنون لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (الْعَظِيمِ) صفة للمضاف أو للمضاف إليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فَلَآ أُقْسِمُ) أى فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرىء فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولايصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) وهو اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ) حسن مرضى أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فِى كِتَٰبٍ) أى اللوح المحفوظ (مَّكْنُونٍ) مصون عن أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه (تَنزِيلٌ) صفة رابعة للقرآن أى منزل (مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ) أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (أَنتُم مُّدْهِنُونَ) متهاونون به كمن يدهن

فى بعض الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله ﷺ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر أى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم (فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ) النفس أى الروح عند الموت (الْحُلْقُومَ) ممر الطعام والشراب (وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) إلى المحتضر (مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ) لا تعقلون ولا تعلمون (فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم (تَرْجِعُونَهَآ) تردون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب إليه منكم ياأهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم فى جحودكم آيات الله فى كل شىء ، إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وإن أرسل إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فَأَمَّآ إِن كَانَ) المتوفى (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فَرَوْحٌ) فله استراحة (وَرَيْحَانٌ) ورزق (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ) أى فسلام لك ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله إلا قيلا سلاما سلاما (وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ) هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أى

إدخال فيها وفى هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملة واحدة وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين (إِنَّ هَٰذَا) الذى أنزل فى هذه السورة (لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) أى الحق الثابت من اليقين (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ماتشتهى قال رحمة ربى قال أفلاتدعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه إلى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً . وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله : اقتربت ، الرحمن ، الواقعة ، والله أعلم.

﴿ سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ) جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الأعلى بلفظ الأمر استيعادا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع: المصدر والماضى والمضارع والأمر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله وتسبحوه وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام إما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح الله اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا (مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وَهُوَ الْعَزِيزُ) المنتقم من مكلف لم يسبح له عنادا (الْحَكِيمُ) فى مجازاة من سبح له انقيادا (لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) لا لغيره وموضع (يُحْيِي) رفع أى هو يحيي الموتى (وَيُمِيتُ) الأحياء أو نصب أى له ملك السموات والأرض محييا ومميتا (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ) هو القديم الذى كان قبل كل شىء (وَالْآخِرُ) الذى يبقى بعد هلاك كل شىء (وَالظَّاهِرُ) بالأدلة الدالة عليه (وَالْبَاطِنُ) لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئيا والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية

والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الأخرين فهو مستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضيـة والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شىء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شىء أى علم باطنه (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها فى طرفة عين لفعل ولـكن جعل الستة أصلا ليـكون عليها المدار (ثُمَّ اسْتَوَىٰ) استولى (عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) ما يدخل فى الأرض من البـذر والقطر والـكنور والموتى (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات وغيره (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الملائكة والأمطار (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) من الأعمال والدعوات (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على حسب أعمالـكم (لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) يدخل الليل فى النهار بأن ينقص من الليل ويزيد فى النهار (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا) يحتمل الزكاة والإنفاق فى سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) يعنى أن الأموال التى فى أيديكم إنمـا هى أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولـكم إياها للاستمتاع بها وجعلـكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالـكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليـكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه أو جعلـكم مستخلفين ممن كان قبلـكم فيما فى أيديكم بتوريثه إياكم وسينقله منـكم إلى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ورسله (مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) هو حال من معنى الفعل فى مالـكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائمـا أى ومالـكم كافرين بالله والواو فى (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأى عذر لـكم فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم (لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقـكم بقوله :

ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الأدلة فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه أُخِذ ميثاقكم أبو عمرو (هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد ﷺ (ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ) يعنى القرآن (لِّيُخْرِجَكُم) الله تعالى أو محمد بدعوته (مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص (رَّحِيمٌ) الرأفة أشد الرحمة (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا) فى أن لا تنفقوا (فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) يرث كل شىء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ) أى فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لأن قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أُولَٰئِكَ) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبى ﷺ: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه. (أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا) أى كل واحد من الفريقين (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى أى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم على قدر أعمالكم (مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بطيب نفسه والمراد الإنفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فَيُضَٰعِفَهُ لَهُ) أى يعطيه أجره على إنفاقه أضعافا مضاعفة من فضله (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم فى نفسه فيضعّفُهُ مكى فيضعّفَهُ شامى فيضاعفَهُ عاصم وسهل فيضاعفُهُ غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ)

ظرف لقـوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يَسْعَىٰ) يمضى (نُورُهُم) نور التوحيد والطاعات وإنما قال (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنـة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائـكة (بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ) أى دخول جنات لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجثث (تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ) هو بدل من يوم ترى (ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا) أى انتظرونا لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة. أنظرونا حمزة من النظرة وهى الإمهال جعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم (نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا) طردلهم وتهـكم بهم أى تقول لهم الملائـكة أو المؤمنون ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان (فَضُرِبَ بَيْنَهُم) بين المؤمنين والمنافقين (بِسُورٍ) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيـــل هو الأعراف (لَّهُۥ) لذلك السور (بَابٌ) لأهل الجنة يدخلون منه (بَاطِنُهُۥ) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ) أى النور أو الجنة (وَظَـٰهِرُهُۥ) ماظهر لأهل النار (مِن قِبَلِهِ) من عنده ومن جهته (ٱلْعَذَابُ) أى الظلمة أوالنار (يُنَادُونَهُمْ) أى ينادى المنافقون المؤمنين (أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قَالُوا) أى المؤمنون (بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ) محنتموها بالنفاق وأهلـكتموها (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وَارْتَبْتُمْ) وشكـكتم فى التوحيد (وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ) طول الآمال والطمع فى امتداد الأعمار (حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ) أى الموت (وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لايعذبـكم أوبأنه لابعث ولا حساب (فَٱلْيَوْمَ

لاَ يُؤْخَذُ) وبالتاء شامى (مِنكُمْ) أيها المنافقون (فِدْيَةٌ) ما يفتدى به (وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ) مرجعكم (هِيَ مَوْلَاكُمْ) هى أولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) النار (أَلَمْ يَأْنِ) من أنى الأمر يأنى إذا جاء إناه أى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن أبى بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزّل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر ومانزل من الحق القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء (وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهياً لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعدأن وبخوا وذلك أن بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ماأحدثوا من التحريف وغيره (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الأجل أوالزمان (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) باتباع الشهوات (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين أى وقليل منهم مؤمنون (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الأرض (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ) بتشديد الدال وحده مكى وأبوبكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين. الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فأدغمت التاء فى الصاد وقرئ على الأصل (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدّقوا كأنه قيل إن الذين اصدّقوا وأقرضوا والقرض الحسن أن يتصدق من

الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يُضَاعَفُ لَهُمْ) يضعّف مكى وشامى (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) أى الجنة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ) يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ) كلعب الصبيان (وَلَهْوٌ) كلهو الفتيان (وَزِينَةٌ) كزينة النسوان (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ) كتفاخر الأقران (وَتَكَاثُرٌ) كتكاثر الدهقان (فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ) أى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) بعد خضرته (ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وَفِى الْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) للكفار (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَٰنٌ) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى إلا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على أنه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ) لمن ركن إليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وإن طلبتموها فلا تحبوها فإن الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سَابِقُوٓا) أى بالأعمال الصالحة (إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين وذكر العرض

دون الطول لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول إن الجنة فى السماء الرابعة لأن التى فى إحدى السموات لا تكون فى عرض السموات والأرض (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) وهذا دليل على أنها مخلوقة (ذَٰلِكَ) الموعود من المغفرة والجنة (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ) وهم المؤمنون وفيه دليل على أنه لايدخل أحد الجنة إلا بفضل الله (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ثم بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الأرض فى موضع الجر أى ماأصاب من مصيبة ثابتة فى الأرض (وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد (إِلَّا فِى كِتَٰبٍ) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى إلا مكتوبا فى اللوح (مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ) من قبل أن نخلق الأنفس (إِنَّ ذَٰلِكَ) إن تقدير ذلك وإثباته فى كتاب (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) وإن كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لِّكَيْلَا تَأْسَوْا) تحزنوا حزنا يطغيكم (عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ) من الدنيا وسعتها أومن العافية وصحتها (وَلَا تَفْرَحُوا) فرح المختال الفخور (بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ) أعطاكم من الإيتاء . أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الإتيان يعنى أنكم إذاعلمتم أن كل شىء مقدر مكتوب عندالله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وإنما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الأشر المطغى الملهى عن الشكر (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم

فى الإمساك (وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى
عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن جميع المخلوقات
فكيف عنه (الْحَمِيدُ) فى أفعاله. فإن الله الغنى بترك هومدنى وشامى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا)
يعنى أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج والمعجزات (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ) أى الوحى وقيل الرسل الأنبياء والأول أولى لقوله معهم لأن الأنبياء ينزل عليهم
الكتاب (وَالْمِيزَانَ) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا
به (لِيَقُومَ النَّاسُ) ليتعاملوا بينهم إيفاء واستيفاء (بِالْقِسْطِ) بالعدل ولايظلم أحد أحداً
(وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والإبرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه (فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ) وهو القتال به (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من
صناعة إلا والحديد آلة فيها اومايعمل بالحديد (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ) باستعمال
السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع
رسوله فى سبيله (بِالْغَيْبِ) غائبا عنهم (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ) يدفع بقوته بأس من يعرض عن
ملته (عَزِيزٌ) يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أن
الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع
الأحكام والحدود ويأمر بالعدل والإحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل
والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان
ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية إنما تحض
العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند، ونزع عن صفقة الجماعة
اليد. وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ) خصا بالذكر
لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا) أولادهما (النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)
الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فَمِنْهُم) فمن
الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين (مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَسِقُونَ) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج من الطاعة والغلبة للفساق (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء (بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً) مودة ولينا (وَرَحْمَةً) تعطفا على إخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبى ﷺ رحماء بينهم (وَرَهْبَانِيَّةً) هى ترهبهم فى الجبال فارّين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابْتَدَعُوهَا) أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ) لم نفرضها نحن عليهم (إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه (فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ) الكافرون (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) الخطاب لأهل الكتاب (اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ) محمد ﷺ (يُؤْتِكُمْ) الله (كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِن رَّحْمَتِهِ) لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله (وَيَجْعَل لَّكُمْ) يوم القيامة (نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم الآية (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّئَلَّا يَعْلَمَ) ليعلم (أَهْلُ الْكِتَـٰبِ) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (أَلَّا يَقْدِرُونَ) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشأن لا يقدرون (عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ) أى لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وَأَنَّ الْفَضْلَ) عطف على أن لا يقدرون (بِيَدِ اللَّهِ) أى فى ملكه وتصرفه (يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ) من عباده (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) والله أعلم .

﴿سورة المجادلة مدنية وهى اثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَٰدِلُكَ) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب فظاهر منها فأتت رسول الله ﷺ فقالت إن أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فىّ فلما خلا سنى ونثرت بطنى ـ أى كثر ولدى ـ جعلنى عليه كأمه وروى أنها قالت: إن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلىّ جاعوا. فقال ﷺ: ما عندى فى أمرك شىء. وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وإنما هو أبو ولدى وأحب الناس إلىّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (فِى زَوْجِهَا) فى شأنه ومعناه (وَتَشْتَكِىٓ إِلَى اللَّهِ) تظهر ما بها من المكروه (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ) مراجعتكما الكلام من حار إذا رجع (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع شكوى المضطر (بَصِيرٌ) بحاله (الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ) عاصم يظّهّرون حجازى وبصرى غيرهم يَظّاهرون وفى (مِنكُم) توبيخ للعرب لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم (مِّن نِّسَآئِهِم) زوجاتهم (مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ) أمهاتُهم المفضل، الأول حجازى والثانى تميمى (إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا الَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ) يريد أن الأمهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله ﷺ لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فأبعد شىء من الأمومة فلذا قال (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ) تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية (وَزُورًا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) لما سلف منهم (وَالَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ) بين فى الآية الأولى أن ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى: حتى عاد كالعرجون القديم. ومن الثانى: وإن عدتم عدنا. ويعدى بنفسه كقولك عدته إذا أتيته وصرت إليه وبحرف الجر بإلى وعلى وفى واللام كقوله ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض

ماقالوا أو لتداركه علىحذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ماحرموا على حذف المضاف أيضا غير أنه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا أن النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الإمساك وهو أن لايطلقها عقيب الظهار (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيئا (مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا) الضمير يرجع إلى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أونظر إلى فرجها بشهوة (ذَٰلِكُمْ) الحكم (تُوعَظُونَ بِهِ) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لاتعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى وإذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختى من الرضاع أوعمتى من النسب أو امرأة ابنى أو أبى أو أم امرأتى أو ابنتها فهو مظاهر وإذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شىء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارةالظهار لأنه يضر بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فإن مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رضى الله عنه (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) الرقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ) فعليه صيام شهرين (مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ) الصيام (فَإِطْعَامُ) فعليه إطعام (سِتِّينَ مِسْكِينًا) لكل مسكين نصف صاع من بر أوصاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف إن جامع فى خلال الإطعام (ذَٰلِكَ) البيان والتعليم للأحكام (لِتُؤْمِنُوا) لتصدقوا (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وَتِلْكَ) أى الأحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة

(حُدُودُ اللهِ) التى لا يجوز تعديها (وَلِلْكَـٰفِرِينَ) الذين لا يتبعونها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يعادون ويشاقون (كُبِتُوا) أخزوا وأهلكوا (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من أعداء الرسل (وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وَلِلْكَـٰفِرِينَ) بهذه الآيات (عَذَابٌ مُّهِينٌ) يذهب بعزهم وكبرهم (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ) منصوب بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم (اللهُ جَمِيعًا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين فى حال واحدة (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزى على رءوس الأشهاد (أَحْصَـٰهُ اللهُ) أحاط به عددا لم يفته منه شىء (وَنَسُوهُ) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وإنما تحفظ معظمات الأمور (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) لا يغيب عنه شىء (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ) من كان التامة أى ما يقع (مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ) النجوى التناجى وقد أضيفت إلى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (إِلَّا هُوَ) أى الله (رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ) ولا أقل (مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت فى المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون ولأن أهل التناجى فى العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) فيجازيهم عليه (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله ﷺ فعادوا لمثل فعلهم وكان

تناجيهم بماهو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته، وينتجون حمزة وهو بمعنى الأول (وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) يعنى أنهم يقولون فى تحيتك السام عليك يامحمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ، ويا أيها الرسول، ويا أيها النبى (وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ) عذابا (يَصْلَوْنَهَا) حال أى يدخلونها (فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع جهنم (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر أنه خطاب للمؤمنين (إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) أى إذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وَتَنَٰجَوْا بِالْبِرِّ) بأداء الفرائض والطاعات (وَالتَّقْوَىٰ) وترك المعاصى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أوشر (إِنَّمَا النَّجْوَىٰ) بالإثم والعدوان (مِنَ الشَّيْطَٰنِ) من تزيينه (لِيَحْزُنَ) أى الشيطان وبضم الياء نافع (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ) الشيطان أوالحزن (بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بعلمه وقضائه وقدره (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى يكلون أمرهم إلى الله ويستعيذون به من الشيطان (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَٰلِسِ) [فى المجلس] توسعوا فيه ، فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله ﷺ وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال . مقاتل فى صلاة الجمعة (فَافْسَحُوا) فوسعوا (يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فَانشُزُوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) والعالمين منهم خاصة (دَرَجَٰتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وفى الدرجات قولان أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود

رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى ﷺ : فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وعنه ﷺ: عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة. وعنه ﷺ : يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء. فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال ﷺ : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا ابراهيم إنى عليم أحب كل عليم. وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فات من أدرك العلم. وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما (يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ) إذا أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً) أى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذَٰلِكَ) التقديم (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى دينكم (وَأَطْهَرُ) لأن الصدقة طهرة (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟) ما تتصدقون به (فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء، قال: التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. قلت وما الفساد، قال: الكفر والشرك بالله. قلت وما الحق قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلت وما الحيلة قال : ترك الحيلة. قلت وما علىّ قال: طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال: كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال: الجنة قلت وما الراحة قال: لقاء الله. فلما فرغت منها نزل نسخها (ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟) ما أمرتم به وشق عليكم (وَتَابَ ٱللَّهُ

عَلَيْكُمْ) أى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وهذا وعد ووعيد (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون إليهم أسرار المؤمنين (مَّا هُم مِّنكُمْ) يا مسلمون (وَلَا مِنْهُمْ) ولا من اليهود كقوله: مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أى يقولون والله إنا لمسلمون لا منافقون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون منافقون (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) نوعا من العذاب متفاقما (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى إنهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ) الكاذبة (جُنَّةً) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) عن طاعته والإيمان به (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ) من عذاب الله (شَيْئًا) قليلا من الإغناء (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ) أى لله فى الآخرة أنهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) فى الدنيا على ذلك (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ) فى الدنيا (عَلَىٰ شَيْءٍ) من النفع أو يحسبون أنهم على شىء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) استولى عليهم (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) جنده (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ

اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كَتَبَ اللَّهُ) فى اللوح (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بالحجة والسيف أو بأحدهما (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ) لا يمتنع عليه ما يريد (عَزِيزٌ) غالب غير مغلوب (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (مَنْ حَادَّ اللَّهَ) خالفه وعاداه (وَرَسُولَهُ) أى من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لاينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وبقوله (أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) أى أثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى بروح من الإيمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أوغناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجربه (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا (أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) أنصار حقه ودعاة خلقه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب .

﴿ سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها فى بنى النضير وذلك أن النبى ﷺ حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبى الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا إلى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر ﷺ محمد بن مسلمة الأنصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج ﷺ مع الجيش إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى يهود بنى النضير (مِنْ دِيَارِهِمْ) بالمدينة واللام فى (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى. وقولك جئته لوقت كذا .أى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله ﷺ لما خرجوا «امضوا فإنكم أول الحشر ونحن على الأثر». قتادة: إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة. وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول ﷺ (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه

أن فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى منازلتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ) أى أمر الله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ) الخوف (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) يخربون أبو عمرو والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخرّبون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديّار والذى دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم إلى التخريب إزالة متحصنهم وأن يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين أنهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه (فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِى ٱلْأَبْصَٰرِ) أى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهذا دليل على جواز القياس (وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (وَلَهُمْ) سواء أجلوا أو قتلوا (فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ) الذى لا أشد منه (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم (شَآقُّوا ٱللَّهَ) خالفوه (وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ) ورسوله (فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل أى شىء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما فى قوله (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا) لأنه فى معنى اللينة ، واللينة : النخلة من الألوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ) فقطعها وتركها بإذن الله (وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ) وليذل اليهود ويغيظهم أذن

فى قطعها (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ) جعله فيئاله خاصة (مِنْهُمْ) من بنى النضير (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الإبل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة وكان ﷺ على حمار فحسب (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ) يعنى أن ما خوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شىء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى مافى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة مايدول للإنسان أى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ) أى أعطاكم من قسمة غنيمة أو فىء (فَخُذُوهُ) فاقبلوه (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ) من أخذه منها (فَانتَهُوا) عنه ولا تطلبوه (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالف رسول الله ﷺ والأجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله ﷺ ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه (لِلْفُقَرَاءِ) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الإبدال من لله وللرسول وإن كان المعنى لرسول الله أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول

الله عن التسمية بالفقير وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزوجل (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) بمكة وفيه دليل على أن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع أنه كانت لهم ديار وأموال (يَبْتَغُونَ) حال (فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم وجهادهم (وَالَّذِينَ) معطوف على المهاجرين وهم الأنصار (تَبَوَّءُوا الدَّارَ) توطنوا المدينة (وَالْإِيمَانَ) وأخلصوا الإيمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه (مِن قَبْلِهِمْ) من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم فى تبوىء دار الهجرة والإيمان وقيل من قبل هجرتهم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) ولا يعلمون فى أنفسهم طلب محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة يعنى أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شىء منه تحتاج إليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفىء حيث خصهم النبى ﷺ به وقيل لايجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ماأوتوا فحذف المضافان (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فقر وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم روى أنه نزل برجل منهم ضيف فنوّم الصبية وقرّب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول أبو زيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (وَمَن يُوقَ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة قال عمر رضي الله عنه دخل فى هذا الفيء كل من هو مولود إلى يوم القيامة فى الإسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) قيل هم المهاجرون والأنصار عائشة رضي الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبوهم (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حقدا (لِّلَّذِينَ آمَنُوا) يعنى الصحابة (رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) وقيل لسعيد بن المسيب ماتقول فى عثمان وطلحة والزبير قال أقول ماقوليه الله وتلى هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) أى ألم تر يا محمد إلى عبد الله بن أبيّ وأشياعه (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى بنى النضير والمراد إخوة الكفر (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ) من دياركم (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) روى أن ابن أبيّ وأصحابه دسوا إلى بنى النضير حين حاصرهم النبي ﷺ لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ) فى قتالكم (أَحَدًا أَبَدًا) من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو فى خذلانكم وإخلاف ما وعدنا كم من النصرة (وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) إنما قال ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً) أى أشد مرهوبية مصدر رهب المبنى

المفعول وقوله (فِي صُدُورِهِم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم (مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ) لا يقدرون على مقاتلتكم (جَمِيعاً) مجتمعين يعني اليهود والمنافقين (إِلَّا) كائنين (فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ) بالخنادق والدروب (أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ) جدار مكي وأبو عمرو (بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تَحْسَبُهُمْ) أي اليهود والمنافقين (جَمِيعاً) مجتمعين ذوي ألفة واتحاد (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذَٰلِكَ) التفرق (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قَرِيباً) أي استقروا من قبلهم زمنا قريبا (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب النار (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) أي مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم إلى قوله إني برىء منكم (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) عاقبة الإنسان الكافر والشيطان (أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا) عاقبتهما خبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها أي في النار في موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) في أوامره فلا تخالفوها (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ) نكر النفس تقليلا للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة (مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعني يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره

إى لفسد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ماعملنا ربحنا ماقدما خسرنا ما خلفنا (وَاتَّقُوا اللّٰهَ) كرر الأمر بالتقوى تأكيدا أواتقوا الله فى أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لأنه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وهو (إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وفيه تحريض على المراقبة لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) الخارجون عن طاعة الله (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) هـذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن عق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهـذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدع أى تشقق من خشية الله وجائز أن يكون هذا تمثيلا كما فى قوله إنا عرضنا الأمانة ويدل عليه قوله (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وهى إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ) الذى لا يزول ملكه (الْقُدُّوسُ) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السَّلَامُ) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (الْمُؤْمِنُ) واهب

الأمن وعن الزجاج الذى آمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (الْمُهَيْمِنُ) الرقيب على كل شىء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء (الْعَزِيزُ) الغالب غير المغلوب (الْجَبَّارُ) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القـــدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (الْمُتَكَبِّرُ) البليغ الكبرياء والعظمة (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ) القدر لما يوجده (الْبَارِئُ) الموجد (الْمُصَوِّرُ) فى الأرحام (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) الدالة على الصفات العلا (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته. فأعدت عليه فأعاد علىّ فأعدت عليه فأعاد علىّ .

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى أن مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها : أمسلمة جئت قالت : لا . قال : أفمهاجرة جئت . قالت : لا . قال : فما جاء بك. قالت: احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهــل مكة اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله ﷺ أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبا

وقال: ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ) عدى اتخذ إلى مفعوليه وهما عدوى وأولياء والعدوّ فعول من عدا كعفوّ من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد وفيه دليل على أن الكبيرة لاتسلب اسم الإيمان (تُلْقُونَ) حال من الضمير فى لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ) أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله: ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة. أو ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون إليهم إخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة التى بينكم وبينهم (وَقَدْ كَفَرُوا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أى لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم (بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ) دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أَن تُؤْمِنُوا) تعليل ليخرجون أى يخرجونكم من مكة لإيمانكم (بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ) متعلق بلاتتخذوا أى لاتتولوا أعدائى إن كنتم أوليائى وقول[1] النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى) مصدر فى موضع الحال أى إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى) ومبتغين مرضاتى (تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ) أى تفضون إليهم بمودتكم سرا أو تسرون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودة وهو استئناف (وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ) والمعنى أى طائل لكم فى أسراركم وقد علمتم أن

---

(١) القول بمعنى القول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ .

الإخفاء والإعلان سيان فى علمى وأنا مطلع رسولى على ماتسرون (وَمَن يَفْعَلْهُ) أى هذا الإسرار (مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إِن يَثْقَفُوكُمْ) إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (وَيَبْسُطُوآ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ) بالقتل والشتم (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فإذاً موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وإن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودّوا قبل كل شىء كفركم وارتدادكم يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شىء عنده أن يقصد أهم شىء عند صاحبه (لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قراباتكم (وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم ثم قال (يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفرّ منكم غدا. يَفْصِلُ عاصم. يُفَصَّلُ حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يُفَصَّلُ ابن ذكوان غيرهم يُفْصَلُ (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على أعمالكم (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ) قدوة فى التبرى من الأهل (حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ) أى فى أقواله ولهذا استثنى منها إلا قول إبراهيم (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ) جمع برىء كظريف وظرفاء (وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ) بالأفعال (وَالْبَغْضَآءُ) بالقلوب (أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) فحينئذ نترك عداوتكم (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) وذلك لموعدة وعدها إياه أى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لأبيه الكافر (وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ) أى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لاتليق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله: قل فمن يملك لكم من الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال أستغفر لك وما فى طاقتى إلا الاستغفار (رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا) متصل بما قبل

الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه (وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا) أقبلنا (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أى الغالب الحاكم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية فى التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أى ثوابه أى يخشى الله وعقبه بقوله (وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن الخلق (الْحَمِيدُ) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به ولما أنزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم فى تحول الحال إلى خلافه فقال (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم) أى من أهل مكة من أقربائكم (مَّوَدَّةً) بأن يوفقهم للإيمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو أريد به إطماع المؤمنين (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن أسلم من المشركين (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ) تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وإذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولى هؤلاء (وَمَن يَتَوَلَّهُمْ) منكم (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) حيث وضعوا التولى غير موضعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن

بالامتحان (مُهَاجِرَاتٍ) نصب على الحال (فَامْتَحِنُوهُنَّ) فابتلوهن بالنظر فى الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الأمارات وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضى إليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين (لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) أى لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيانا لأن ذلك فى الرجال لا فى النساء لأن المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الأول (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) أى مهورهن لأن المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على أن لا عدة على المهاجرة (وَلَا تُمْسِكُوا) ولا تمسّكوا بصرى (بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية. قال ابن عباس رضى الله عنهما: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّنّ بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (وَسْئَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وَلْيَسْئَلُوا مَآ أَنفَقُوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذَالِكُمْ حُكْمُ اللهِ) أى جميع ما ذكر فى هذه الآية (يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) وإن انفلت أحد منهن إلى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أحد

(فَعَاقَبْتُمْ) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ) حال (عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ) يريد وأد البنات (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) طاعة الله ورسوله (فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ) عما مضى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بتمحيق ما سلف (رَحِيمٌ) بتوفيق ما ائتنف وروى أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام: أبا يعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً. فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام: ولا يسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند. قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال: ولا يزنين. فقالت أو تزني الحرة فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وهو يشير إلى أن طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ) من ثوابها لأنهم ينكرون البعث (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) أي كما يئسوا إلا

أنه وضع الظاهر موضع الضمير (مِنْ أَصْحَٰبِ الْقُبُورِ) أن يرجعوا إليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة أى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم .

﴿ سورة الصف مدنية وهى أربع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) لم هى لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وإنما حذفت الألف لأن ما واللام أو غيرها كشىء واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ما قام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن فى الوصل فلإجرائه مجرى الوقف (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شىء خارج عن نظائره وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أتأمروننى أن أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا) أى صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ)

لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه إلى بعض وهو حال أيضا (وَإِذْ) منصوب باذكر (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فىّ (وَقَد تَّعْلَمُونَ) فى موضع الحال أى لم تؤذوننى عالمين علما يقينا (أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا أن تؤذونى (فَلَمَّا زَاغُوٓا) مالوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) من الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ) أى لا يهدى من سبق فى علمه أنه فاسق (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ) أى أرسلت إليكم فى حال تصديقى ماتقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى أن دينى التصديق: التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدىَ حجازى وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسول من معنى الإرسال (فَلَمَّا جَآءَهُم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بِالْبَيِّنَـٰتِ) بالمعجزات (قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ساحر حمزة وعلى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى الْإِسْلَـٰمِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ) وأىّ الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ) هذا تهكم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم أى بكلامهم (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) مكى وحمزة وعلى وحفص متمٌّ نورَه غيرهم أى متم الحق ومبلغه غايته (وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ) أى الملة الحنيفية (لِيُظْهِرَهُ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ

كُلِّهِ) على جميع الأديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن فى الأرض إلا دين الإسلام (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) تنجّيكم شامى (تُؤْمِنُونَ) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وإنما جىء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ) أى ماذكر من الإيمان والجهاد (خَيْرٌ لَّكُمْ) من أموالكم وأنفسكم (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ) أى إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفى تحبونها شىء من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشف [1] معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) عطف على تؤمنون لأنه فى معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ) أى أنصار دينه أنصارا لله حجازى وأبو عمرو (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى اللَّهِ) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى من أنصارى إلى الله ولكنه محمول على المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين

---

(١) فى بعض النسخ الكشاف وبمراجعته لم توجد فيه هذه العبارة .

قال لهم من أنصارى إلى الله ومعناه من جندى متوجها إلى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى مَن الأنصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى (وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ) به (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم .

﴿ سورة الجمعة مدنية وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقة يعنى إذا نظرت إلى كل شىء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الأشباه أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كل شىء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى إلى قوله وان من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هُوَ الَّذِي بَعَثَ) أرسل (فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ) أى بعث رجلا أميا فى قوم أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والأمى منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة أو الفقه فى الدين (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ) من قبل محمد ﷺ (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) كفر وجهالة وإن مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لاترى ضلالا أعظم منه (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ)

مجرور معطوف على الأميين يعنى أنه بعثه فى الأميين الذين على عهده وفى آخرين من الأميين (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر (ذَٰلِكَ) الفضل الذى أعطاه محمدا وهوأن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) اعطاءه وتقتضيه حكمته (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) أى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم فى قوله .

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا مايمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى وقت اختيارهم الظلم أو لايهدى من سبق فى علمه أنه يكون ظالما (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) هاد يهود إذا تهود (إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التى أعدها لأوليائه ثم قال (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى بسبب ماقدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل إلا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس

فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ) وعيد لهم (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فَإِنَّهُ مُلَـٰقِيكُمْ) لامحالة والجملة خبر إن ودخلت الفاء لتضمن الذى معنى الشرط (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ) النداء الأذان ومن بيان لإذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الأيام وفى الحديث : من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (فَاسْعَوْا) فامضوا وقرىء بها وقال الفراء: السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أى إلى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضى الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شىء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذَٰلِكُمْ) أى السعى إلى ذكر الله (خَيْرٌ لَّكُمْ) من البيع والشراء (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ) أى أديت (فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ) أمر إباحة (وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ فى الله (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) واشكروه على ما وفقكم لأداء فرضه (لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا) تفرقوا عنك إليها وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وإنما خص التجارة لأنها كانت أهم عندهم روى أن اهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فما بقى معه إلا ثمانية أو اثنا عشر فقال ﷺ: والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم عليهم الوادى نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وَتَرَكُوكَ) على المنبر (قَآئِمًا) تخطب وفيه دليل على أن الخطيب ينبغى أن يخطب قائما (قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم .

﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) أى والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله (وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ) فى ادعاء المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فَصَدُّوا) الناس (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) عن الإسلام بالتنفير [1] وإلقاء الشبه (إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذَٰلِكَ) إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. الآية (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) فختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم (فهمْ لَا يَفْقَهُونَ) لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الإيمان والخطاب فى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لرسول الله أو لكل من يخاطب (وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) كان ابن أبىّ رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون

---

(١) فى بعض اللسخ بالتنفير بالغين المعجمة أى بالصياح .

مجلس النبي ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم وموضع (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ) رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له (مُّسَنَّدَةٌ) إلى الحائط شبهوا فى استنادهم -وماهم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير -بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أوغيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع أو لأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلاأحلام، خشْب أبو عمرو غيرعباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم ثم قال (هُمُ الْعَدُوُّ) أى هم الكاملون فى العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فَاحْذَرْهُمْ) ولا تغترر بظاهرهم (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يعدلون عن الحق تعجباً من جهلهم وضلالتهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا لوَوا بالتخفيف نافع (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون (وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) عن الاعتذار والاستغفار روى أن رسول الله ﷺ حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من

الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله ﷺ فقال عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنق هـذا المنافق يا رسول الله فقال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب . قال : فإن كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا . قال : فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبدالله: أنت صاحب الكلام الذى بلغنى . قال : والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئاً من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قدوهم فلما نزلت قال رسول الله ﷺ لزيد: ياغلام إن الله قدصدقك وكذب المنافقين. فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت وما بقى لى إلا أن أسجد لمحمد، فنزل وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث إلا أياما حتى اشتكى ومات (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) أى ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا) يتفرقوا (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى وله الأرزاق والقسم فهورازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم (وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لايفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ) من غزوة بنى المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة والقوة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها . قال : ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (وَلَٰكِنَّ

الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) لا تشغلكم (أَمْوَٰلُكُمْ) والتصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ) وسرور كم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عَن ذِكْرِ اللَّهِ) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويتعذر عليه الإنفاق (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ) هلا أخرت موتى (إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ) إلى زمان قليل (فَأَصَّدَّقَ) فأتصدق وهو جواب لولا (وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل إن أخرتنى أصدق وأكن (وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا) عن الموت (إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا) المكتوب فى اللوح المحفوظ (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يعملون حماد ويحيى ، والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب .

﴿ سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء والقائم به وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) أى فمنكم آت بالكفر وفاعل له

ومنكم آت بالإيمان وفاعل له ويدل عليه (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ، ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء . شيئان لا غاية لهما ، الجمال والبيان (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) نبه بعلمه ما فى السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ماذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) الخطاب لكفار مكة (نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى العقبى (ذَلِكَ) إشارة إلى ماذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بِأَنَّهُ) بأن الشأن والحديث (كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فَكَفَرُوا) بالرسل (وَتَوَلَّوا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللهُ) أطلق ليتناول كل شىء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (وَاللهُ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) على صنعه

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوآ) أى أهل مكة ، والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لَّن يُبْعَثُوا)
أن مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره أنهم لن يبعثوا (قُلْ بَلَىٰ) هو إثبات لما بعد لن
وهو البعث (وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ) أكد الإخبار باليمين * فإن قلت ما معنى اليمين على شىء
أنكروه * قلت هو جائز لأن التهديد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه
كائن لامحالة (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ) البعث (عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) هين (فَآمِنُوا بِاللهِ
وَرَسُولِهِ) محمد ﷺ (وَالنُّورِ الَّذِىٓ أَنزَلْنَا) يعنى القرآن لأنه يبين حقيقة كل شىء فيهتدى
به كما بالنور (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فراقبوا أموركم (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ) انتصب الظرف
بقوله لتنبؤن أو بإضمار اذكر (لِيَوْمِ الْجَمْعِ) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون (ذَٰلِكَ
يَوْمُ التَّغَابُنِ) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التى
كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس
فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا
(وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَيُدْخِلْهُ) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ
خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ) شدة ومرض وموت أهل أو شىء
يقتضى هما (إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (وَمَن
يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون أو
يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما
أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلى صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر (وَاللهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن طاعة الله وطاعة رسوله
(فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) أى فعليه التبليغ وقد فعل (اللهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) بعث لرسول الله ﷺ على التوكل عليه حتى ينصره على

من كذبه وتولى عنه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ) أى إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فَٱحْذَرُوهُمْ) الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وَإِن تَعْفُوا۟) عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وَتَصْفَحُوا۟) تعرضوا عن التوبيخ (وَتَغْفِرُوا۟) تستروا ذنوبهم (فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم قيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) أى فى الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما فى العداوة لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ) جهدكم ووسعكم، قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (وَٱسْمَعُوا۟) ما توعظون به (وَأَطِيعُوا۟) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وَأَنفِقُوا۟) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ) أى انفاقا خيرا لأنفسكم. وقال الكسائى يكن الإنفاق خيرا لأنفسكم والأسمع أن تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ماهو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان ، لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بنية وإخلاص وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حَلِيمٌ) يقيل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (وَٱلشَّهَـٰدَةِ) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب (ٱلْعَزِيزُ) المعز بإظهار السيوب (ٱلْحَكِيمُ) فى الإخبار عن الغيوب والله أعلم .

﴿ سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ) خص النبي ﷺ بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يافلان افعلوا كذا إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه قدوة قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادًّا مسد جميعهم وقيل التقدير ياأيها النبي والمؤمنون ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام «من قتل قتيلا فله سلبه» ومنه: كان الماشى إلى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى . (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله ﷺ فى قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهـذا أحسن الطلاق (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لانقصان فيهن وخوطب الأزواج لغفلة النساء (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ) حتى تنقضى عدتهن (مِن بُيُوتِهِنَّ) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا حلف لا يدخل داره ومعنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له فى رفع الحظر (وَلَا يَخْرُجْنَ) بأنفسهن إن أردن ذلك (إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) قيل هى الزنا أى إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) أى الأحكام المذكورة (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِى) أيها المخاطب (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا) بأن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها، والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن

من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن آخر المدة (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أى فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للمدة عليها وتعذيبا لها (وَأَشْهِدُوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) من المسلمين (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر (ذَٰلِكُمْ) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى إنما ينتفع به هؤلاء (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ذلكم يوعظ به. أى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى ﷺ أنه قرأها فقال : مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة. وقال ﷺ : إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله. فمازال يقرؤها ويعيدها، وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله ﷺ فقال : أسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فقالت : نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيه فى الدارين (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) حفص أى منفذ أمره، غيره بالغٌ أمرَه أى

يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) تقديراً وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ) روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الإقراء فما عدةاللائى لم يحضن فنزلت (إِنِ ارْتَبْتُمْ) أى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) أى فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) عدتهن (أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهم أزواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ) أى ماعلم من حكم هؤلاء المعتدات (أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ) من اللوح المحفوظ (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (أَسْكِنُوهُنَّ) وكذا وكذا (مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم) هى من التبعيضية مبعضها محذوف أى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم (مِّن وُجْدِكُمْ) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد : الوسع والطاقة. وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لانفقة للمبتوتة لحديث فاطمة [١] بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال رسول الله ﷺ لا سكنى لك ولا

---

(١) قوله لحديث فاطمة الخ هــذا لا يناسب ما قبله فلعل هنا سقطا يدل عليه عبارة الكشاف وهى وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة الخ .

نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبى ﷺ يقول لها السكنى والنفقة (وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ) ولا تستعملوا معهن الضرار (لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) فى السكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أوغير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج (وَإِن كُنَّ) أى المطلقات (أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ) ذوات أحمال (فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) يعنى هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) فحكمهن فى ذلك حكم الأظآر ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم) أى تشاوروا على التراضى فى الأجرة وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات (بِمَعْرُوفٍ) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما وهما شريكان فيـــه وفى وجوب الإشفاق عليه (وَإِن تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب على ذلك (فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة وقوله له أى للأب أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ) أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا) أعطاها من الرزق (سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ) من أهل قرية (عَتَتْ) أى عصت (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا) بالاستقصاء والمناقشة (وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا) نكرا مدنى وأبو بكر منكرا عظيما (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) أى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى

لأن المنتظر من وعـد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فـكأن قد (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تـكرير للوعيد وبيان لـكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا) فليكن لـكم ذلك ياأولى الألباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا وإثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لـكأين (قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) أى القرآن وانتصب (رَّسُولًا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا أوبدل من ذكرا كأنه فى نفسه ذكرا وعلى تقدير حذف المضاف أى قد أنزل الله إليـكم ذا ذكر رسولا أو أريد بالذكر الشرف كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يَتْلُوا) أى الرسول أو الله عز وجل (عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ) الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون (مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الـكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العلم (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ) وبالنون مدنى وشامى (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ) مبتدأ وخبر (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل مافى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلاهذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات وقيل الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملـكه ينفذ فيهن (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اللام يتعلق بخلق (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الأول أى قد علم كل شيء علما وهو علام الغيوب .

﴿ سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكَ) روى أن رسول الله ﷺ خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها : اكتمى علىّ وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا مصادقتين وقيل خلابها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوّامة قوّامة وإنها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله ﷺ التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله (وَاللهُ غَفُورٌ) قد غفر لك ما زللت فيه (رَّحِيمٌ) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهى الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل أن رسول الله ﷺ أعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين (وَاللهُ مَوْلَـٰكُمْ) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الْحَكِيمُ) فيما أحل وحرم (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ) يعنى حفصة (حَدِيثًا) حديث مارية وإمامة الشيخين (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) أفشته إلى عائشة رضى الله عنها (وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ) وأطلع النبى ﷺ على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عَرَّفَ بَعْضَهُ)

أعلم ببعض الحديث (وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ) فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أى جازى عليه من قولك للمسىء لأعرفن لك ذلك وقيل المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت : والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) نبأ النبى حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قَالَتْ) حفصة للنبى ﷺ (مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ) بالسرائر (الْخَبِيرُ) بالضمائر (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير إن تتوبا إلى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فَقَدْ صَغَتْ) مالت (قُلُوبُكُمَا) عن الواجب فى مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) بالتخفيف كوفى وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط فى الغيرة وإفشاء سره (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ) وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأنه يتولى ذلك بذاته (وَجِبْرِيلُ) أيضا وليه (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برىء من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ (وَالْمَلَائِكَةُ) على تكاثر عددهم (بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظَهِيرٌ) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ) يبدّله مدنى وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقهن رسول الله ﷺ لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن (مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ) مقرات مخلصات (قَانِتَاتٍ) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تَائِبَاتٍ) من الذنوب راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عَابِدَاتٍ) لله (سَائِحَاتٍ) مهاجرات أو صائمات وقيل

الصائم سائح لأن السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد مايطعمه فشبه به الصائم فى إمساكه إلى أن يجىء وقت إفطاره (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) إنما وسط العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وَأَهْلِيكُم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) نوعا من النار لاتتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عَلَيْهَا) يلى أمرها وتعذيب أهلها (مَلَائِكَةٌ) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غِلَاظٌ شِدَادٌ) فى أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ) فى موضع الرفع على النعت (مَا أَمَرَهُمْ) فى محل النصب على البدل أى لايعصون ما أمر الله أى أمره كقوله أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وليست الجملتان فى معنى واحد إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون مايؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لاتعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) صادقة عن الأخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع وقيل نصوحاً من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها، وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا «إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن فى الضرع» وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالإركان (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) هذا على ماجرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ونصب (يَوْمَ) بيدخلكم (لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر

﴿ نُورُهُمْ ﴾ مبتدأ (يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ) فى موضع الخبر (يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين (وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ جَـٰهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَـٰفِقِينَ) بالقول الغليظ والوعد البليغ وقيل بإقامة الحدود عليهم (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق مابينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لاوصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة (إِذْ قَالَتْ) وهى تعذب (رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ) فكأنها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) أى من عمل فرعون أومن نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) من الرجال (فَنَفَخْنَا) فنفخ جبريل بأمرنا (فِيهِ) فى الفرج (مِن رُّوحِنَا) المخلوقة لنا (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا) أى بصحفه التى أنزلها على إدريس وغيره (وَكُتُبِهِ) بصرى وحفص، يعنى الكتب الأربعة (وَكَانَتْ مِنَ الْقَـٰنِتِينَ) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على إناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية

على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام. ومثـل حال المؤمنين فى أن وصلة الـكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عنـد الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وماأوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا . وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وإشارة إلى أن من حقهما أن يكونا فى الإخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ .

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعامن قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَبَارَكَ) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ) أى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهـو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من المقدورات أو من الإنعام والانتقام (قَدِيرٌ) قادر على الـكمال (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذى قبله (وَٱلْحَيَوٰةَ) أى مايصح بوجوده الإحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتـكم وحياتـكم أيها المـكلفون (لِيَبْلُوَكُمْ) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الأمير والأسير والحياة التى لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملـكم لا على علمه بكم (أَيُّكُمْ) مبتـدأ وخبره (أَحْسَنُ عَمَلًا) أى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لما وراءه إلا البعث والجزاء الذى لابد منه. وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس

داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر على الحياة التى هى أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (ٱلْغَفُورُ) الستور الذى لا ييأس منه أهل الإساءة والزلل (ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أوعلى ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ) للرسول أو لكل مخاطب (مِن تَفَٰوُتٍ) تفوُّت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أى من اختلاف واضطراب . وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشىء يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ) رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرر النظر مرتين أى كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أى كرر نظرك ودققه هل ترى خللا أو عيبا وجواب الأمر (يَنقَلِبْ) يرجع (إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلا أو بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وَهُوَ حَسِيرٌ) كليل معى ولم ير فيها خللا (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا) القربى أى السماء الدنيا منكم (بِمَصَٰبِيحَ) بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح، والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة (وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات، قال قتادة : خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم

به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يخبله لأن الكواكب لاتزول عن أماكنها لأنها قارة فى الفلك على حالها (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ) للشياطين (عَذَابَ السَّعِيرِ) فى الآخرة بعد الإحراق بالشهب فى الدنيا (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عَذَابُ جَهَنَّمَ) ليس الشياطين المرجومون مخصوصون بذلك (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع جهنم (إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سَمِعُوا لَهَا) لجهنم (شَهِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وَهِيَ تَفُورُ) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تَكَادُ تَمَيَّزُ) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (مِنَ الْغَيْظِ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة من الكفار (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ) اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأنه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه (فَكَذَّبْنَا) أى فكذبناهم (وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ) أى قال الكفار للمنذرين ما أنتم إلا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الإنذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) الإنذار سماع طالب الحق (أَوْ نَعْقِلُ) أى نعقله عقل متأمل (مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ) فى جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملزمتان (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ) وبضم الحاء يزيد وعلى، فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لاينفعهم وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) قبل معاينة العذاب (لَهُم مَّغْفِرَةٌ) للذنوب (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أى

الجنة (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوعندكم إسراركم وإجهاركم فى علم الله بهما روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنزلت ثم علله بقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) من فى موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والسر والجهر من خلقها وصفته أنه اللطيف أى العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء وفيه إثبات خلق الأقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الأصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتجا لا بهذا لنفى خلق الأفعال (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا) لينة سهلة مذللة لاتمنع المشى فيها (فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها أو طرقها (وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) أى من رزق الله فيها (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ) أى من ملكوته فى السماء لأنها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه فكأنه قال ءأمنتم خالق السماء وملكه أو لأنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ) كما خسف بقارون (فَإِذَا هِىَ تَمُورُ) تضطرب وتتحرك (أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) حجارة أن يرسل بدل من بدل الاشتمال وكذا أن يخسف (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قومك (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى إنكارى عليهم إذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ) جمع طائر (فَوْقَهُمْ) فى الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (وَيَقْبِضْنَ) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أى يصففن ويقبضن أو صافات

وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع عند القبض والبسط (إِلاَّ الرَّحْمَٰنُ) بقدرته وإلا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الأفلاك وما يمسكهن مستأنف وإن جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أَمَّنْ) مبتدأ خبره (هَٰذَا) ويبدل من هذا (الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ) ومحل (يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار إليه بالنصر غير الله تعالى (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ) أى ماهم إلا فى غرور (أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ) أم من يشار إليه ويقال هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بَل لَّجُّوا) تمادوا (فِي عُتُوٍّ) استكبار عن الحق (وَنُفُورٍ) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ) أى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفا وخبر من (أَهْدَىٰ) أرشد . وأكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبي عنى بالمكب أبو جهل وبالسوى النبى عليه السلام (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ) خلقكم ابتداء (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصها لأنها آلات العلم (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) هذه النعم لأنكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب والجزاء (وَيَقُولُونَ) أى الكافرون

للمؤمنين استهزاء (مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى كونه فأعلمونا زمانه (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) أى علم وقت العذاب (عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ) مخوف (مُّبِينٌ) أبين لكم الشرائع (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زُلْفَةً) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِى) القائلون الزبانية (كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا أوهو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لاتبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ) أى أماتنى الله كقوله إن امرؤ هلك (وَمَن مَّعِيَ) من أصحابى (أَوْ رَحِمَنَا) أو أخر فى آجالنا (فَمَن يُجِيرُ) ينجى (الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ماتصنعون مَنْ مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ) أى الذى أدعوكم إليه الرحمن (ءَامَنَّا بِهِ) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) فوضنا إليه أمورنا (فَسَتَعْلَمُونَ) إذا نزل بكم العذاب وبالياء على (مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) نحن أم أنتم (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا ذاهبا فى الأرض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ) جار يصل إليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعْن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل إنه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة .

﴿سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(نٓ) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن إنه الدواة وقول ابن عباس إنه الحوت الذى عليه الأرض واسمه بهموت فمشكل لأنه لابد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم (وَالْقَلَمِ) أى ما كتب به اللوح أوقلم الملائكة أو الذى يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (مَآأَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها فأنت اسم ما وخبرها (بِمَجْنُونٍ) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب قولهم وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (وَإِنَّ لَكَ) على احتمال ذلك والصبر عليه (لَأَجْرًا) لثوابا (غَيْرَ مَمْنُونٍ) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) قيل هو ما أمره الله تعالى به فى قوله: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وقالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن أى ما فيه من مكارم الأخلاق وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) أى عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ) المجنون لأنه فتن أى محن بالجنون والباء مزيدة أوالمفتون مصدر كالمعقول أى بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم الجنون فريق الإسلام أو فريق الكفر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد

أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ) لو تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) فيلينون لك ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني لأنه عدل به إلى طريق آخر وهـو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أى فهم يدهنون أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (وَلَا تُطِـعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مَّهِينٍ) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لأنه حقير عند الناس (هَمَّازٍ) عياب طعان مغتاب (مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ) نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ) بخيل، والخير: المال أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام والمراد الوليد بن المغيرة عنـد الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى (مُعْتَدٍ) مجاوز فى الظلم حـده (أَثِيمٍ) كثير الآثام (عُتُلٍّ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد ما عد له من المثالب (زَنِيمٍ) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها روى أنه دخل على أمه وقال إن محمدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فىّ فأما الزنيم فلا علم لى به فإن أخبرتنى بحقيقته وإلا ضربت عنقك فقالت : إن أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده فدعوت راعيا إلى نفسى فأنت من ذلك الراعى (أَن كَانَ ذَا مَالٍ) متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده أى لأن كان ذا مال (وَبَنِينَ) كذب بآياتنا يدل عليه (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن (قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ولا يعمل فيه قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ءأن حمزة وأبو بكر أى ألأن كان ذا مال كذب؟ آأن شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي ﷺ كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فإن كان من عدله أن يجزى المسىء إلى رسول الله ﷺ بعشرة كان من فضله أن من صلى عليـه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سَنَسِمُهُ) سنكويه (عَلَى الْخُرْطُومِ) على أنفه مهانة له وعلمة يعرف به وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت

سمة على خرطومه (إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي ﷺ حيث قال : اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف. (كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ) هم قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الأول (إِذْ أَقْسَمُوا) حلفوا (لَيَصْرِمُنَّهَا) ليقطعن ثمرها (مُصْبِحِينَ) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (وَلَا يَسْتَثْنُونَ) ولا يقولون إن شاء الله وسمى استثناء وإن كان شرطاً صورة لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد (فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وَهُمْ نَآئِمُونَ) أى فى حال نومهم (فَأَصْبَحَتْ) فصارت الجنة (كَٱلصَّرِيمِ) كالليل المظلم أى احترقت فاسودت أو كالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أَنِ ٱغْدُوا) باكروا (عَلَىٰ حَرْثِكُمْ) ولم يقل إلى حرثكم لأن الغدو إليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدو معنى الإقبال أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ) مريدين صرامه (فَٱنطَلَقُوا) ذهبوا (وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمعوا المساكين (أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا) أى الجنة وإن مفسرة وقرئ بطرحها بإضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين أى لا تمكنوه من الدخول (وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ) على جد فى المنع (قَٰدِرِينَ) عند أنفسكم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أى وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) أى جنتهم محترقة

(قَالُوٓا) فى بديهة وصولهم (إِنَّا لَضَآلُّونَ) أى ضللنا جنتنا وماهى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أعدلهم وخيرهم (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) هلا تستثنون إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خَيْرًا مِّنْهَآ) من من هذه الجنة (إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ) أعظم منه (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لما فعلوا ما يفضى إلى هذا العذاب ثم ذكر ماعنده للمؤمنين فقال (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) عن الشرك (عِندَ رَبِّهِمْ) أى فى الآخرة (جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ) من السماء (فِيهِ تَدْرُسُونَ)

تقرءون فى ذلك الكتاب (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) أى إن ما تختارونه وتشتهونه لكم والأصل تدرسون أن لكم ماتخيرون بفتح أن لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه وإنما كسرت لمجيء اللام ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله: وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح . وتخير الشيء واختاره أخذ خيره (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا) عهود مؤكدة بالأيمان (بَالِغَةٌ) نعت أيمان ويتعلق (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ببالغة أى أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل القسم عليه من التحكيم أو بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا حكمنا كم وأعطينا كم ما تحكمون (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم وهو جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سَلْهُمْ) أى المشركين (أَيُّهُم بِذَٰلِكَ) الحكم (زَعِيمٌ) كفيل بأنه يكون ذلك (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولايد ثمة ولا غل وإنما هو كناية عن البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعرف لأنها ساق معهودة عنده (وَيُدْعَوْنَ) أى الكفار ثمة (إِلَى السُّجُودِ) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك لأن ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع (خَاشِعَةً) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أَبْصَارُهُمْ) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يغشاهم صغار (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) على ألسن الرسل (إِلَى السُّجُودِ) فى الدنيا (وَهُمْ سَالِمُونَ) أى وهم أصحاء فلا يسجدون

فلذلك منعوا عن السجود ثم (فَذَرْنِي) يقال ذرني وإياه أي كله إليّ فإني أكفيكه (وَمَن يُكَذِّبُ) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) بالقرآن والمراد كل أمره إليّ وخل بيني وبينه فإني عالم بما ينبغي أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل عليّ في الانتقام منه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين (سَنَسْتَدْرِجُهُم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه إلى كذا أي استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصي (مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام « إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج » وتلا الآية (وَأُمْلِي لَهُمْ) وأمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) قوي شديد فسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك . والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أَمْ تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ) غرامة (مُّثْقَلُونَ) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي أي لست تطلب أجرا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ) أي اللوح المحفوظ عند الجمهور (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه ما يحكمون به (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم لأنهم وإن أمهلوا لم يهملوا (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ) كيونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه . والوقف على الحوت لأن إذ ليس بظرف لما تقدمه إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أي اذكر (إِذْ نَادَىٰ) دعا ربه في بطن الحوت بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (وَهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه (لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ) رحمة (مِّن رَّبِّهِ) أي لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره (لَنُبِذَ) من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بالفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) اصطفاه لدعائه وعذره (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له

ﷺ وقيل من الأنبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الأول لأنه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى: وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون. الآيات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء مدنى إن مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أى قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم من مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك. وكانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شىء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا هلك فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفى الحديث: العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر. وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (إنه لمجنون) إن محمدا لمجنون حيرة فى أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أى القرآن (إلا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والإنس يعنى أنهم جننوه لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أى ذكره عليه السلام وما هو أى محمد عليه السلام إلا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب إليه الجنون والله أعلم.

﴿ سورة الحاقة إحدى وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعه الواجبة الوقوع الثابتة المجىء التى هى آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والأصل الحاقة ماهى أى أىّ شىء هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أى حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأى شىء أعلمك (ما الحاقة) يعنى أنك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها لأنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. وما رفع بالابتداء وأدراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لأنها مفعول ثان لأدرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة وسميت بها

لأنها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال وللماذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة. واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ) أى بالدبور لقوله ﷺ : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. (صَرْصَرٍ) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عَاتِيَةٍ) شديد العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها بإذن الله غضبا على أعداء الله (سَخَّرَهَا) سلطها (عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ) وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى (حُسُومًا) أى متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فَتَرَى) أيها المخاطب (الْقَوْمَ فِيهَا) فى مهابها أو فى الليالى والأيام (صَرْعَىٰ) حال جمع صريع (كَأَنَّهُمْ) حال أخرى (أَعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ) جمع نخلة (خَاوِيَةٍ) ساقطة أو بالية (فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ) ومن تقدمه من الأمم. ومن قِبَله بصرى وعلى أى ومن عنده من أتباعه (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) قرى قوم لوط فهى ائتفكت أى انقلبت بهم (بِالْخَاطِئَةِ) بالخطأ أو بالفعلة او بالأفعال ذات الخطأ العظيم (فَعَصَوْا) أى قوم لوط (رَسُولَ رَبِّهِمْ) لوطا (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا (حَمَلْنَاكُمْ) أى آباءكم (فِي الْجَارِيَةِ) فى سفينة نوح عليه السلام (لِنَجْعَلَهَا) أى الفعلة وهى إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لَكُمْ تَذْكِرَةً) عبرة وعظة (وَتَعِيَهَا) وتحفظها (أُذُنٌ) بضم الذال غير نافع (وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) هى النفخة الأولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وَحُمِلَتِ

الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) رفعتا عن موضعهما (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) دقتاوكسرتا أى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فَيَوْمَئِذٍ) فحينئذ (وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب إذا وقعت ويومئذ بدل من إذا (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ) فتحت أبوابا (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (وَالْمَلَكُ) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) جوانبها واحدها رجا مقصور لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن إلى أطرافها (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) فوق الملك الذين على أرجائها (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أصناف (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فَأَمَّا) تفصيل للعرض (مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هَاؤُمُ) اسم للفعل أى خذوا (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الأول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرءوا عند البصريين لأنهم يعملون الأقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (إِنِّي ظَنَنْتُ) علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى إلى الظنون فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ) معاين حسابى (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكىء يقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى

أو هنئتم هنيئاً على الصدر (بِمَآ أَسْلَفْتُمْ) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (فِى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائمين أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ) لما يرى فيها من الفضائح (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (يَٰلَيْتَهَا) ياليت الموتة التى متها (كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ) أى لم ينفعنى ماجمعته فى الدنيا فانفى والمفعول محذوف أى شيئا (هَّلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيراذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) أى أدخلوه يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا) طولها (سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها إلا الله (فَاسْلُكُوهُ) فأدخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (إِنَّهُۥ) تعليل كأنه قيل ماله يعذب هـذا العذاب الشديد فأجيب بأنه (كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) على بذل طعام المسكين وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم أى أنه مع كفره لا يحرض غيره على إطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لأنه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله إنى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله إنه كان لا يؤمن

بالله العظيم وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا مايسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) من الأجسام والأرض والسماء (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) من الملائكة والأرواح فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء (إِنَّهُ) أى إن القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أى محمد ﷺ أوجبريل عليه السلام أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) كما تدعون (قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ) كما تقولون (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل. وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أى لاتنبت أصلا والمعنى لاتؤمنون ولاتذكرون البتة (تَنزِيلٌ) هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه (مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لأن القتّال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه وكذا (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) لقطعنا وتينه وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه (فَمَا مِنكُم) الخطاب للناس أوللمسلمين (مِّنْ أَحَدٍ) من زائدة (عَنْهُ) عن قتل محمد وجمع (حَاجِزِينَ) وإن كان وصف أحد لأنه فى معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله (وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَتَذْكِرَةٌ) لعظة (لِّلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به (وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) لعين اليقين ومحض اليقين (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله .

﴿ سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ هو النضر بن الحرث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبى ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: يدعون فيها بكل فاكهة. وسال بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال أيضا إلا أنه خفف بالتليين وسائل مهموز إجماعا ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ صفة لعذاب أى بعذاب واقع كائن للكافرين ﴿ لَيْسَ لَهُ ﴾ لذلك العذاب ﴿ دَافِعٌ ﴾ راد ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ متصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ أى مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال ﴿ تَعْرُجُ ﴾ تصعد وبالياء على ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ أى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى عرشه ومهبط أمره ﴿ فِى يَوْمٍ ﴾ من صلة تعرج ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فإما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار أو لأنه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ متعلق بسأل سائل لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه ﴿ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ بلا جزع ولا شكوى ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ إن الكفار ﴿ يَرَوْنَهُۥ ﴾ أى العذاب أو يوم القيامة ﴿ بَعِيدًا ﴾ مستحيلا ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه نصب ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ بقريبا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو

يدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كَالْمُهْلِ) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح (وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجمى بضم الياء أى ولا يسأل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يُبَصَّرُونَهُمْ) صفة أى حميا مبصرين معرفين إياهم أو مستأنف كأنه لما قال ولا يسئل حميم حميا قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الأول وهم ضمير الحميم الثانى أى يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم وإنما جمع الضميران وهما للحميمين لأن فعيلا يقع موقع الجمع (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للإضافة إلى غير متمكن (بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) وزوجته (وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ) وعشيرته الأدنين (الَّتِى تُؤْوِيهِ) تضمه انتماء إليها وبغير همز يزيد (وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً) من الناس (ثُمَّ يُنجِيهِ) الافتداء عطف على يفتدى (كَلَّا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (إِنَّهَا) إن النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة (لَظَىٰ) علم للنار (نَزَّاعَةً) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل. وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لإن أو على هى نزاعة (لِّلشَّوَىٰ) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين. أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت (تَدْعُوا) بأسمائهم يا كافر يا منافق إلىّ إلىّ أو تهلك من قولهم دعاك الله أى أهلكك أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته (مَنْ أَدْبَرَ) عن الحق (وَتَوَلَّىٰ) عن الطاعة (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَىٰ) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (إِنَّ الْإِنسَانَ) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خُلِقَ هَلُوعاً) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) والهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة

المنع عند مس الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر: الضر والفقر. والخير: السعة والغنى أو المرض والصحة (إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ) أى صلواتهم الخمس (دَائِمُونَ) أى يحافظون عليها فى مواقيتها وعن ابن مسعود رضى الله عنه (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) يعنى الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة (لِّلسَّائِلِ) الذى يسأل (وَالْمَحْرُومِ) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) خائفون واعترض بقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) بالهمز سوى أبى عمرو أى لا ينبغى لأحد وإن بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) نسائهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى إمائهم (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) على ترك الحفظ (فَمَنِ ابْتَغَىٰ) طلب منكحا (وَرَاءَ ذَٰلِكَ) أى غير الزوجات والمملوكات (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) لأمانتهم مكى وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وَعَهْدِهِمْ) أى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان (رَاعُونَ) حافظون غير خائنين ولا ناقضين. وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ) بشهادتهم سهل وبالألف حفص ويعقوب (قَائِمُونَ) يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف إظهارا للصلابة فى الدين ورغبة فى إحياء حقوق المسلمين (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم أو لأن إحداها للفرائض والأخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أُولَٰئِكَ) أصحاب

هذه الصفات (فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ) هما خبران (فَمَالِ) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك مممول (مُهْطِعِينَ) مسرعين حال من الذين كفروا (عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ) عن يمين النبى ﷺ وعن شماله (عِزِينَ) حال أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبى ﷺ حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جَنَّةَ نَعِيمٍ) كالمؤمنين (كَلَّآ) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ) أى من النطفة المذرة لذلك أبهم إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها من لا إيمان له (فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ) مطالع الشمس (وَٱلْمَغَٰرِبِ) ومغاربها (إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين (فَذَرْهُمْ) فدع المكذبين (يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ) فيه العذاب (يَوْمَ) بدل من يومهم (يَخْرُجُونَ) بفتح الياء وضم الراء سوى الأعشى (مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ) القبور (سِرَاعًا) جمع سريع حال أى إلى الداعى (كَأَنَّهُمْ) حال (إِلَىٰ نُصُبٍ) شامى وحفص وسهل. نَصَب المفضل. نَصْب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يُوفِضُونَ) يسرعون (خَٰشِعَةً) حال من ضمير يخرجون أى ذليلة (أَبْصَٰرُهُمْ) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يغشاهم هوان (ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) فى الدنيا وهم يكذبون به .

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا) قيل معناه بالسريانية الساكن (إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ) خوّف أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب أو أن مفسرة بمعنى أى لأن فى الإرسال معنى القول (قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عذاب الآخرة أو الطوفان (قَالَ يَٰقَوْمِ) أضافهم إلى نفسه إظهارا للشفقة (إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ) مخوف (مُّبِينٌ) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه وأن هذه نحو أن انذر فى الوجهين (وَاتَّقُوهُ) واحذروا عصيانه (وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به وأنهاكم عنه وإنما أضافه إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يَغْفِرْ لَكُم) جواب الأمر (مِّن ذُنُوبِكُمْ) للبيان كقوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان. أو للتبعيض لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو وقت موتكم (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) أى الموت (إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أى لو كنتم تعلمون مايحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل إن الله تعالى قضى مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى تبلغوا ألف سنة ثم أخبر أن الأجل إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام أمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا) دائما بلا فتور (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِى إِلَّا فِرَارًا) عن طاعتك ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده وإن لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله: وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم. والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه

إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هـــذا فلا يغرنك فإن أبى قد وصانى به (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ) إلى الإيمان بك (لِتَغْفِرَ لَهُمْ) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ) سدوامسامعهم لئلايسمعوا كلامى (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم فى دين الله (وَأَصَرُّوا) وأقاموا على كفرهم (وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) وتعظموا عن إجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا أو مصــدر دعوتهم كقعد القرفصاء لأن الجهار أحد نوعى الدعاء يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل أنه دعاهم ليلاونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان وثم تدل على تباعـد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدها (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك لأن الاستغفار طلب المغفرة فإن كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) لم يزل غفارا لذنوب من ينيب إليه (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر (عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) كثيرة الدرور ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يزدكم أموالا وبنين (وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوايحبون الأموال والأولاد فحركوا بهذا على الإيمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أوسبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له مارأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر. شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التى لا تخطىء وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجـدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال

يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) لا تخافون لله عظمة . عن الأخفش قال : والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أو لا تأملون له توقيرا أى تعظيما. والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم فى دار الثواب (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) فى موضع الحال أى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أى تارات وكرّات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولما نبههم أولا على النظر فى أنفسكم لأنها أقرب ثم على النظر فى العالم وما سوّى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضا على بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) أى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) أنشأكم استعير الإنبات للإنشاء (نَبَاتًا) فنبتم نباتا (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) بعد الموت (وَيُخْرِجُكُمْ) يوم القيامة (إِخْرَاجًا) أكده بالمصدر أى أىّ إخراج (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا) مبسوطة (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سُبُلًا) طرقا (فِجَاجًا) واسعة أو مختلفة (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) أى الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . وَوُلْده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كأسد وأسد (إِلَّا خَسَارًا) فى الآخرة (وَمَكَرُوا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح

وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه (مَكْرًا كُبَّارًا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وَقَالُوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ) على العموم أى عبادتها (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان: صنم على صورة رجل (وَلَا سُوَاعًا) هو على صورة امرأة (وَلَا يَغُوثَ) هو على صورة أسد (وَيَعُوقَ) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين (وَنَسْرًا) هو على صورة نسر أى هذه الأصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وَقَدْ أَضَلُّوا) أى الأصنام كقوله إنهن أضللن (كَثِيرًا) من الناس أو الرؤساء (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ) عطف على رب إنهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصونى وقال لا تزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لأنهما مفعولا قال (إِلَّا ضَلَالًا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (أُغْرِقُوا) بالطوفان (فَأُدْخِلُوا نَارًا) عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم فى النيران إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن والفاء فى فأدخلوا للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أى أحدا يدور فى الأرض وهو فيعال من الدور وهو من الأسماء المستعملة فى النفى العام (إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ) ولا تهلكهم (يُضِلُّوا عِبَادَكَ) يدعوهم إلى الضلال (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) إلا من إذا بلغ فجر وكفر

وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مُؤْمِنًا) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمنا لايعود إلى الكفر (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ) أى الكافرين (إِلاَّ تَبَارًا) هلاكا فأهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال أن لاتستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم .

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ) يا محمد لأمتك (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ) أن الأمر والشأن اجمعوا على فتح أنه لأنه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على أنه استمع فأن مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا لتعدى يعلم إليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فإن له نار جهنم وقالوا إنا سمعنا لأنه مبتدأ محكى بعد القول، واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا إلى وأنا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفا على أنه استمع أوعلى محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا إلى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على إنا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (اسْتَمَعَ نَفَرٌ) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (مِّنَ الْجِنِّ) جن نصيبين (فَقَالُوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبى ﷺ فى صلاة الفجر (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر

وضع موضع العجيب (يَهْدِيَ إِلَى الرُّشْدِ) يدعوا إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان (فَآمَنَّا بِهِ) بالقرآن ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) من خلقه وجاز أن يكون الضمير فى به لله تعالى لأن قوله بربنا يفسره (وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) عظمته يقال جد فلان فى عينى أى عظم ومنه قول عمر أوأنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم فى عيوننا (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا) كما يقول كفار الجن والإنس (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا أو إبليس إذ ليس فوقه سفيه (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أى بعدت أو قولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أى كان فى ظننا أن أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ) أى زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم (رَهَقًا) طغيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجن الإنس أو فزاد الجن الإنس رهقا إثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وَأَنَّهُمْ) وأن الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ) يا أهل مكة (أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد الموت أى أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) طلبنا بلوغ السماء واستماع أهلها، واللمس: المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف (فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع حارس ونصب على التميز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر إلى معناه لقيل شدادا (وَشُهُبًا) جمع شهاب أى كواكب مضيئة (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا) من السماء قبل هذا (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) لاستماع أخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فَمَن يَسْتَمِعِ)

يُرد الاستماع (اْلآنَ) بعد البعث (يَجِدْ لَهُ) لنفسه (شِهَابًا رَّصَدًا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أى يجدشهابا راصدا له ولأجله أوهو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعدمبعث النبي ﷺ (وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ) عذاب (أُرِيدَ بِمَن فِى الْأَرْضِ) بعدم استراق السمع (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا ورحمة (وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ) الأبرار المتقون (وَمِنَّا) قوم (دُونَ ذَٰلِكَ) فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أوأرادوا غير الصالحين (كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير أى قطعته (وَأَنَّا ظَنَنَّآ) أيقنا (أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ) لن نفوته (فِى الْأَرْضِ) حال أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيها (وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا) مصدر فى موضع الحال أى ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ) القرآن (ءَامَنَّا بِهِ) بالقرآن أو بالله (فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ) فهو لايخاف مبتدأوخبر (بَخْسًا) نقصا من ثوابه (وَلَا رَهَقًا) أى ولا ترهقه ذلة من قوله: وترهقهم ذلة. وقوله: ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة. وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ) المؤمنون (وَمِنَّا الْقَٰسِطُونَ) الكافرون الجائرون عن طريق الحق، قسط : جار وأقسط عدل (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) طلبوا هدى والتحرى طلب الأحرى أى الأولى (وَأَمَّا الْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا) فى علم الله (لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار ويتوقف فى كيفية ثوابهم (وَأَن) مخففة من الثقيلة يعنى وأنه وهى من جملة الموحى أى أوحى إلى أن الشأن (لَّوِ اسْتَقَٰمُوا) أى القاسطون (عَلَى الطَّرِيقَةِ) طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق (لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ماخولوا منه (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن أوالتوحيد

أو العبادة (يَسْلُكْهُ) بالياء عراقى غير أبى بكر يدخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه : ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح. أى ما شق على (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) من جملة الوحى أى أوحى إلى أن المساجد أى البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلاتدعوا على أن اللام متعلقة بلاتدعوا أى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فى المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله (يَدْعُوهُ) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبى ﷺ ولأنه لما كان واقعا فى كلامه ﷺ عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبدالله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كَادُوا) كاد الجن (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجابا بما تلاه من القرآن لأنهم رأوا مالم يروا مثله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي) وحده. قال غير عاصم وحمزة (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) مضرة (وَلَا رَشَدًا) نفعا أو أراد بالضر الغى بدليل قراءة أبى غيا ولا رشدا يعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم لأن الضار والنافع هو الله (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ) لن يدفع عنى عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام: فمن ينصرنى من الله إن عصيته. (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ) استثناء من لا أملك أى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا من الله وقل إنى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به يعنى لا ينجينى إلا أن أبلغ عن الله ماأرسلت به فإن ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وإن منفصلة من لا وتقديره أن لا أبلغ بلاغا أى إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك إن لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (وَرِسَالَاتِهِ) عطف على بلاغا كأنه

قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات أى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا قوله إليه وأن أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال بلّغ عنه إنما هى بمنزلة من فى براءة من الله أى بلاغا كائنا من الله (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حَتَّىٰ) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) من العذاب (فَسَيَعْلَمُونَ) عند حلول العذاب بهم (مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أهم أم المؤمنون؟ أى الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قُلْ إِنْ أَدْرِي) ما أدرى (أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ) من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أَمَدًا) غاية بعيدة يعنى أنكم تعذبون قطعا ولكن لا أدرى أهو حالٌ أم مؤجل (عَالِمُ الْغَيْبِ) هو خبر مبتدأ أى هو عالم الغيب (فَلَا يُظْهِرُ) فلا يطلع (عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا) من خلقه (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له فإنه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى إذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية بدلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فإن فيهم من يصدق خبره وكذلك التطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ) يدخل (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ) يدى رسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى (لِّيَعْلَمَ) الله (أَن قَدْ أَبْلَغُوا) أى الرسل (رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى أبلغوا لمعناه (وَأَحَاطَ) الله (بِمَا لَدَيْهِمْ) بما عند الرسل من العلم (وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) من

القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لايحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وعلم كل شىء معدودا محصورا أو مصدر فى معنى إحصاء والله أعلم.

﴿ سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) أى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى كان النبى ﷺ نائما بالليل متزملا فى ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا نِّصْفَهُ) بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل (أَوِ انقُصْ مِنْهُ) من النصف. بضم الواو غير عاصم وحمزة (قَلِيلًا) إلى الثلث (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) على النصف إلى الثلثين والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحدالأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنماوصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا إذا أقرّ أن لفلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف (وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ) بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الأسنان وكلام رتل بالتحريك أى مرتل وثغر رتل أيضا إذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات (تَرْتِيلًا) هو تأكيد فى إيجاب الأمر به وأنه لابد منه للقارئ (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ) سننزل عليك (قَوْلاً ثَقِيلًا) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أوثقيلا على المنافقين أوكلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) بالهمزةسوى ورش: قيام الليل. عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة

فصاحة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا) وطاءوفاقا شامى وأبو عمرو أى يواطىء فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق . غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله ﷺ: اللهم اشدد وطأتك على مضر. (وَأَقْوَمُ قِيلاً) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وانقطاع الحركات (إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرّغ نفسك فى الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) انقطع إلى عبادته عن كل شىء. والتبتل : الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تَبْتِيلًا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى بتّلك الله فتبتل تبتيلا أو جىء به مراعاة لحق الفواصل (رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) بالرفع أى هو رب أو مبتدأ خبره (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كقولك والله لا أحد فى الدار إلا زيد (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو فاتخذه كافيا لأمورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فىّ من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وَذَرْنِى) أى كِلْهم إلىّ فأنا كافيهم (وَالْمُكَذِّبِينَ) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى وإياهم (أُوْلِى النَّعْمَةِ) التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة (وَمَهِّلْهُمْ) إمهالا (قَلِيلًا) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة (إِنَّ لَدَيْنَآ) للكافرين فى الآخرة (أَنكَالاً) قيودا ثقالا جمع نِكْل (وَجَحِيماً) نارا محرقة (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) أى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وَعَذَاباً

أَلِيمًا) يخلص وجعه إلى القلب وروى أنه ﷺ قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائمًا فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى وغيره فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يَوْمَ) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) أى تتحرك حركة شديدة (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملا مجتمعا من كثب الشىء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مَّهِيلًا) سائلا بعد اجتماعه (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) يعنى محمدا عليه السلام (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) يعنى موسى عليه السلام (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أى ذلك الرسول إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الأول (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديدا غليظًا وإنما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشراً بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا) هو مفعول تتقون أى كيف تتقون عذاب يوم كذا إن كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى فى يوم القيامة إن كفرتم فى الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أى كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ) صفة ليوما والعائد محذوف أى فيه (شِيبًا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال (السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ) وصف لليوم بالشدة أيضاً أى السماء على عظمها وإحكامها تنفطر به أى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شىء منفطر وقوله به أى بيوم القيامة يعنى أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشىء بما يفطر به (كَانَ وَعْدُهُ) المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم أو إلى الفاعل وهو الله عز وجل (مَفْعُولًا) كائناً (إِنَّ هَٰذِهِ) الآيات الناطقة بالوعيد (تَذْكِرَةٌ) موعظة (فَمَن شَاءَ

اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) أى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ) أقل فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك (مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ) بضم اللام سوى هشام (وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) منصوبان عطف على أدنى مكي وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وَطَآئِفَةٌ) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الدال على أنه مختص بالتقدير ثم إنهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فَٱقْرَءُوا) فى الصلاة والأمر للوجوب أو فى غيرها والأمر للندب (مَا تَيَسَّرَ) عليكم (مِنَ ٱلْقُرْءَانِ) روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم) أى أنه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مَّرْضَىٰ) فيشق عليهم قيام الليل (وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ) حال من ضمير يضربون (مِن فَضْلِ ٱللَّهِ) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) سوّى بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أموت بين شعبتى رجل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله (فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم (وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ) المفروضة (وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ) الواجبة (وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ)

بالنوافل. والفرض لغة: القطع فالقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وإنما أضافه إلى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما تصدق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قَرْضًا حَسَنًا) من الحلال بالاخلاص (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيراً وهو فصل. وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا) وأجزل ثوابا (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من السيئات والتقصير في الحسنات (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) يستر على أهل الذنب والتقصير (رَّحِيمٌ) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم .

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهي ست وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى جابر أن النبي ﷺ قال كنت على جبل حراء : فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت إلى فوقي فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملك الذي ناداه ـ فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني . فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار . والشعار : الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فأدغم (قُمْ) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فَأَنذِرْ) فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وإن آذاك الفجار (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله الله أكبر وروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ «الله أكبر» فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت

الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) بالماء
عن النجاسة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى فى غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب
فى تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر
من الأفعال يقال فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر
ولأن من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (وَالرُّجْزَ) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم
بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى إليه (فَاهْجُرْ) أى اثبت على هجره لأنه كان بريئاً منه
(وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا رائيا
لما تعطيه كثيراً أو طالباً أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب
وهو من منّ عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابًا للنهى (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)
ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فَإِذَا نُقِرَ
فِى النَّاقُورِ) نفخ فى الصور وهى النفخة الأولى وقيل الثانية (فَذَٰلِكَ) إشارة إلى وقت
النقر وهو مبتدأ (يَوْمَئِذٍ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يَوْمٌ عَسِيرٌ) خبر كأنه قيل فيوم
النقر يوم عسير والفاء فى فإذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم
يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فإذا ما دل عليه الجزاء
أى فإذا نقر فى الناقور عسر الأمر (عَلَى الْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) وأكد بقوله غير يسير
ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من
أمور الدنيا (ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ) أى كله إلىّ يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه
بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وَحِيدًا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى
وحدى معه فإنى أكفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه
أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقته منفرداً بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه
(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا) مبسوطاً كثيراً أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع
والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضاً بالطائف لا ينقطع ثمرها
(وَبَنِينَ شُهُودًا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام
وعمارة (وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال

واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر . وقال الحسن أن أزيد أن أدخله الجنة فأوتيه مالا وولداً كما قال لأوتين مالا وولدا (كَلاَّ) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا) للقرآن (عَنِيدًا) معانداً جاحداً وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سَأُرْهِقُهُ) سأغشيه (صَعُودًا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار تصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبدا (إِنَّهُ فَكَّرَ) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحراً يعنى أنه فكر ماذا يقول فى القرآن (وَقَدَّرَ) فى نفسه مايقوله وهيأه (فَقُتِلَ) لعن (كَيْفَ قَدَّرَ) تعجيب من تقديره (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) كرر للتأكيد وثم يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول (ثُمَّ نَظَرَ) فى وجوه الناس أو فيما قدر (ثُمَّ عَبَسَ) قطب وجهه (وَبَسَرَ) زاد فى التقبض والكلوح (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الحق (وَاسْتَكْبَرَ) عنه أو عن مقامه وفى مقاله . وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخياً (فَقَالَ إِنْ هَٰذَا) ما هذا (إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) يروى عن السحرة . روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه فقام الوليد فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه . وذكر الفاء دليل على أن

هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى (سَأُصْلِيهِ) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سَقَرَ) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وَمَآ أَدْرَاكَ مَاسَقَرُ) تهويل لشأنها (لَا تُبْقِي) أى هى لا تبقى لحما (وَلاَ تَذَرُ) عظما أو لا تبقى شيئا يبقى فيها إلا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لَوَّاحَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هى لواحة (لِلْبَشَرِ) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد أى مسوّدة للجلود ومحرقة لها (عَلَيْهَا) على سقر (تِسْعَةَ عَشَرَ) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا (وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ النَّارِ) أى خزنتها (إِلاَّ مَلَٰئِكَةً) لأنهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لأنهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) تسعة عشر (إِلاَّ فِتْنَةً) أى ابتلاء واختبار (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر مايستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الأشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لايطلب فى الأعداد العلل أن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الأكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهى تسعة عشر وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) لأن عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فإذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوآ) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (إِيمَٰنًا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف

على ليستيقن أيضا (وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق (وَٱلْكَٰفِرُونَ) المشركون فإن قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا) وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله: هذه ناقة الله لكم آية. ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمى مثلا والمعنى أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم إنكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ) الكاف نصب وذلك إشارة إلى ماقبله من معنى الإضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال. لما قال أبو جهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر نزل (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) لفرط كثرتها (إِلَّا هُوَ) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وَمَا هِىَ) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وما سقر وصفتها (إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كَلَّا) إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون (وَٱلْقَمَرِ) أقسم به لعظم منافعه (وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. وغيرهم إذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناها ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ) أضاء وجواب القسم (إِنَّهَا) إن سقر (لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ) هى جمع الكبرى أى لإحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى إحدى النساء (نَذِيرًا) تمييز من إحدى أى انها لإحدى الدواهى إنذارا كقولك هى إحدى النساء عفافا وأبدل من (لِلْبَشَرِ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ)

بإعادة الجار (أَن يَتَقَدَّمَ) إلى الخير (أَوْ يَتَأَخَّرَ) عنه وعن الزجاج إلى ما أمر وعما نهى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرىء بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ) أى أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو إلا المسلمين فإنهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فِى جَنَّٰتٍ) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم لأن ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم لأن المسئولين يلقون إلى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين إلا أنه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ) أى لم نعتقد فرضيتها (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ) كما يطعم المسلمون (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ) الخوض: الشروع فى الباطل. أى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ) الحساب والجزاء (حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ) الموت (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ) من الملائكة والنبيين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث: إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ) عن التذكير وهو العظة أى القرآن (مُعْرِضِينَ) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ) أى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مُّسْتَنفِرَةٌ) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها. وبفتح الفاء مدنى وشامى أى استنفرها غيرها (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) حال وقد معها مقدرة والقسورة: الرماة أو الأسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بَلْ

يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك . ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقيل قالوا إن كان محمد صادقاً فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كَلَّا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال إن القرآن تذكرة بليغة كافية (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فإن نفع ذلك عائد إليه (وَمَا يَذْكُرُونَ) وبالتاء نافع ويعقوب (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) إلا وقت مشيئة الله وإلا بمشيئة الله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) فى الحديث : هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم .

﴿ سورة القيامة مكية وهى أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى أقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله :

* فى بئر لا حور سرى وما شعر *

وكقوله :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لإنكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الأمر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف أى لأنا أقسم ويقويه أنه فى الإمام بغير الألف ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أى النفس المتقية التى تلوم على التقصير فى التقوى

وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف أى لتبعثن دليله (أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَـٰنُ) أى الكافر المنكر للبعث (أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ) بعد تفرقها ورجوعها رفاتاً مختلطاً بالتراب (بَلَىٰ) أوجبت ما بعد النفى أى بلى نجمعها (قَـٰدِرِينَ) حال من الضمير فى نجمع أى نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ) أصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بَلْ يُرِيدُ ٱلإِنسَـٰنُ) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يَسْـَٔلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ) وذهب ضوؤه أو غاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ) أى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب أو جمعا فى ذهاب الضوء ويجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (يَقُولُ ٱلإِنسَـٰنُ) الكافر (يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ) هو مصدر أى الفرار من النار أوالمؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كَلَّا) ردع عن طلب المفر (لَا وَزَرَ) لاملجأ (إِلَىٰ رَبِّكَ) خاصة (يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ) مستقر العباد أوموضع قرارهم من جنة أونار مفوّض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (يُنَبَّؤُا ٱلإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ) يخبر (بِمَا قَدَّمَ) من عمل عمله (وَأَخَّرَ) مالم يعمله (بَلِ ٱلإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة أوأنثه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه أوهو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى : قدجاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الإنسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ) أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لأن جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر (لَا تُحَرِّكْ بِهِ) بالقرآن (لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) بالقرآن وكان ﷺ يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن

يتفلت منه فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة الوحى مادام جبريل يقرأ لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) فى صدرك (وَقُرْءَانَهُ) وإثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه(فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ) أى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ) أى قراءته عليك (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) إذا أشكل عليك شىء من معانيه (كَلَّا) ردع عن إنكار البعث أو ردع لرسول الله ﷺ عن العجلة وإنكار لها عليه وأكده بقوله (بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) كأنه قيل بل أنتم يا بنى آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شىء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وُجُوهٌ) هى وجوه المؤمنين (يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) حسنة ناعمة (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه لا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار فى دار القرار (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تَظُنُّ) تتوقع (أَن يُفْعَلَ بِهَا) فعل هو فى شدته (فَاقِرَةٌ) داهية تقصم فقار الظهر (كَلَّا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (إِذَا بَلَغَتِ) أى الروح وجاز وإن لم يجر لها ذكر لأن الآية تدل عليها (التَّرَاقِيَ) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يقف حفص على من وقيفة أى قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وَظَنَّ) أيقن المحتضر (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما:

بها همّان همّ الأهل والولد وهمّ القدوم على الواحد الصمد (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) هو مصدر ساقه أى مساق العباد إلى حيث أمر الله إما إلى الجنة أو إلى النار (فَلَا صَدَّقَ) بالرسول والقرآن (وَلَا صَلَّىٰ) الإنسان فى قوله : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه (وَلَٰكِن كَذَّبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّىٰ) عن الإيمان أو فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أَوْلَىٰ لَكَ) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ) بالياء ابن عامر وحفص أى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود إلى النطفة (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ) فخلق الله منه بشرا سويا (فَجَعَلَ مِنْهُ) من الإنسان (الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) أى من المنى الصنفين (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) أليس الفعّال لهذه الأشياء بقادر على الإعادة وكان ﷺ إذا قرأها يقول: سبحانك بلى. والله أعلم .

﴿ سورة الإنسان مكية وهى إحدى وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هَلْ أَتَىٰ) قد مضى (عَلَى الْإِنسَانِ) آدم عليه السلام (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لأنه كان طينا يمر به الزمان ولو غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الإنسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) أى ولد آدم وقيل الأول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة

لبثه فى بطن أمه إلى أن صار شيئا مذكورا بين الناس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) نعت أو بدل منها أى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجه ومزجه بمعنى ونطفة امشاج كبرمة أعشار فهو لفظ مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نَّبْتَلِيهِ) حال أى خلقناه مبتلين أى مريدين ابتلاءه بالأمر والنهى له (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ذا سمع وبصر (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بينا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع (إِمَّا شَاكِراً) مؤمنا (وَإِمَّا كَفُوراً) كافرا حالان من الهاء فى هديناه أى إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل فى الحالين أو من السبيل أى عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وأما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة وبه ليناسب أغلالا وسعيرا إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (وَأَغْلَالاً) جمع غُلٍّ (وَسَعِيرًا) نارا موقدة وقال (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهـــد وأشهاد وهم الصادقون فى الإيمان أو الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر (كَانَ مِزَاجُهَا) ماتمزج به (كَافُورًا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عَيْناً) بدل منه (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ) أى منها أوالباء زائدة أو هو محمول على المعنى أى يلتذ بها أو يروى بها وإنما قال أولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يُفَجِّرُونَهَا) يجرونها حيث شاءوا من منازلهم (تَفْجِيرًا) سهلا لا يمتنع عليهم (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ) شدائده (مُسْتَطِيرًا) منتشرا من استطار الفجر (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أى حب الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه أو على حب الله (مِسْكِيناً) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (وَيَتِيماً) صغيرا لا أب له (وَأَسِيرًا) مأسورا

مملوكا أو غيره ثم عللوا إطعامهم فقالوا (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ) أى لطلب ثوابه أو هو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئا (لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً) هدية على ذلك (وَلَا شُكُورًا) ثناء وهو مصدر كالشكر (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا) أى إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة أو إنا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه (فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ) صانهم من شدائده (وَلَقَّاهُمْ) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نَضْرَةً) حسنا فى الوجوه (وَسُرُورًا) فرحا فى القلوب (وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على الإيثار. نزلت فى على وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا إلا الماء فى وقت الإفطار (جَنَّةً) بستانا فيه مأكل هنئ (وَحَرِيرًا) ملبسا بهيا (مُّتَّكِئِينَ) حال من هم فى جزاهم (فِيهَا) فى الجنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) الأسرة جمع الأريكة (لَا يَرَوْنَ) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فِيهَا) فى الجنة (شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث: هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر. فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر أى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا) قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله: إنا نخاف من ربنا ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ (وَذُلِّلَتْ) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم أو معطوفة عليها أى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قُطُوفُهَا) ثمارها جمع قطف (تَذْلِيلًا وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ) أى يدير عليهم خدمهم كئوس الشراب والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء

﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ أى من فضة جمع كوب وهو إبريق لاعروة له ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾ كان تامة أى كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال ﴿ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ ﴾ أى مخلوقة من فضة فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى مافيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة. قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما . وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما. وابن كثير بتنوين الأول والتنوين فى الأول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لإتباعه الأول والوقف على الأول قد قيل ولايوثق به لأن الثانى بدل من الأول ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ صفة لقوارير من فضة أى أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم أو السقاة جعلوها على قدر رىّ شاربها فهى ألذ لهم وأخف عليهم. وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض ﴿ وَيُسْقَوْنَ ﴾ أى الأبرار ﴿ فِيهَا ﴾ فى الجنة ﴿ كَأْسًا ﴾ خمرا ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا ﴾ بدل من زنجبيلا ﴿ فِيهَا ﴾ فى الجنة ﴿ تُسَمَّىٰ ﴾ تلك العين ﴿ سَلْسَبِيلًا ﴾ سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها. قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ﴾ غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ لا يموتون ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم ﴿ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ وتخصيص المنثور لأنه أزين فى النظر من المنظوم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ ظرف أى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره وإذا اكتسبت الرؤية فى الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾ كثيرا ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ واسعا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك لا يعقبه هلك أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم ﴿ عَالِيَهُمْ ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف عليهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب. وبالسكون مدنى وحمزة على أنه مبتدأ خبره ﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ أى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج

(خُضْرٌ) جمع أخضر (وَإِسْتَبْرَقٌ) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الأول وجر الثاني أو عكسه غيرهم (وَحُلُّوآ) عطف على ويطوف (أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ) وفي سورة الملائكة: يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ) أضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد (شَرَاباً طَهُوراً) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدى الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنة (إِنَّ هَٰذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَآءً) لأعمالكم (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لانريد منكم جزاء ولا شكورا (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا) تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقاً إلا حكمة وصوابا ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (ءَاثِماً) راكبا لماهوى إثم داعيا لك إليه (أَوْ كَفُوراً) فاعلا لماهو كفر داعيا لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لأنه كان ركابا للمآثم والفسوق. والكفور: الوليد لأنه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أى لاتطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما معا لا عن طاعة أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى وقيل أو بمعنى ولا أى ولا نطع آثما ولا كفورا (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) صل له (بُكْرَةً) صلاة الفجر

(وَأَصِيلًا) صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) أى تهجد له هزيعاً طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ) الكفرة (يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ) يؤثرونها على الآخرة (وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ) قدامهم أو خلف ظهورهم (يَوْمًا ثَقِيلًا) شديدا لا يعبئون به وهو القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار (نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ) أحكمنا (أَسْرَهُمْ) خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا) أى إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم فى الخلقة ممن يطيع (إِنَّ هَٰذِهِۦ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة (فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا) بالتقرب إليه بالطاعة له واتباع رسوله (وَمَا تَشَآءُونَ) اتخاذ السبيل إلى الله. وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو. ومحل (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) النصب على الظرف أى إلا وقت مشيئة الله وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون منهم من الأحوال (حَكِيمًا) مصيبا فى الأقوال والأفعال (يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ) وهم المؤمنون (فِى رَحْمَتِهِۦ) جنته لأنها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لأنه شاء إيمان الكل والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (وَٱلظَّٰلِمِينَ) الكافرين لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) نحو أوعد وكافأ .

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن

فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أونشرن الشرائع فى الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها وإما نذرا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أومفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران أو نذْرا أبو عمرو وكوفى غير أبى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا أو على المفعول له (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) إن الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة (لَوَاقِعٌ) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف إلى هنا لوصل الجواب بالقسم (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محيت أوذهب بنورها وجواب فإذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) فتحت فكانت أبوابا (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) قلعت من أماكنها (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) أى وقتت كقراءة أبى عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تعجيب آخر وتعظيم لأمره (وَيْلٌ) مبتدأ وإن كان نكرة لأنه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يَوْمَئِذٍ) ظرفه (لِلْمُكَذِّبِينَ) بذلك اليوم خبره (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) الأمم الخالية المكذبة (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكة أى ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين لأنهم كذبوا مثل

تكذيبهم (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الفعل الشنيع (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بما أوعدنا (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) حقير وهو النطفة (فَجَعَلْنَاهُ) أى الماء (فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) الحال أى مؤخر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها (فَقَدَرْنَا) فقدرنا ذلك تقديرا (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بنعمة الفطرة (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) هو كفت الشئ إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (شَامِخَاتٍ) عاليات (وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا) عذبا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بهذه النعمة (انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون (انطَلِقُوا) تكرير للتوكيد (إِلَىٰ ظِلٍّ) دخان جهنم (ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لَّا ظَلِيلٍ) نعت ظل أى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (وَلَا يُغْنِي) فى محل الجر أى وغير مغن لهم (مِنَ اللَّهَبِ) من حر اللهب شيئا (إِنَّهَا) أى النار (تَرْمِي بِشَرَرٍ) هو ما تطاير من النار (كَالْقَصْرِ) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ) كوفى غير أبى بكر جمع جمال جمالات غيرهم جمع الجمع (صُفْرٌ) جمع أصفر أى سود تضرب إلى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بأن هذه صفتها (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ) وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ فى الاعتذار ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى أى لا يكون لهم إذن واعتذار ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بهذا اليوم ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين الحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء ﴿ جَمَعْنَاكُمْ ﴾ يا مكذبى محمد ﴿ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ والمكذبين قبلكم ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة فى دفع العذاب ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ فاحتالوا علىّ بتخليص أنفسكم من العذاب. والكيد متعد تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالبعث ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ من عذاب الله ﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظل ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ جارية فى الجنة ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أى لذيذة مشتهاة ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك ﴿ هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فى الدنيا ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ فأحسنوا تجزوا بهذا ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالجنة ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا ﴾ كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله : أعملوا ماشئتم ﴿ قَلِيلًا ﴾ لأن متاع الدنيا قليل ﴿ إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾ كافرون أى إن كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالنعم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا ﴾ اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم أو إذا قيل لهم صلوا لا يصلون ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالأمر والنهى ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ أى إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون. والله أعلم.

﴿ سورة النبأ مكية وهى أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ عَمَّ ﴾ أصله عن ما وقرىء بها ثم أدغمت النون فى الميم فصار عما وقرىء بها ثم حذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم

للمستفهم عنه لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) أى البعث وهو بيان للشأن الفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبإ العظيم (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كَلَّا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سَيَعْلَمُونَ) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يتساءلون عنه حق (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) كرر الردع للتشديد وثم يشعر بأن الثانى أبلغ من الأول وأشد (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثا وإنكار البعث يؤدى إلى أنه عابث فى كل ما فعل (مِهَادًا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) للأرض لئلا تميد بكم (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكرا وأنثى (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم والسبت القطع (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) سترا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) مضيئا وقادا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) أى السحائب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب (مَاءً ثَجَّاجًا) منصبا بكثرة (لِّنُخْرِجَ بِهِ) بالماء (حَبًّا) كالبر والشعير (وَنَبَاتًا) وكلأ (وَجَنَّاتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة الأشجار واحدها لف كجذع وأجذاع أو لفيف كشريف وأشراف أو لا واحد له كأوزاع أو هى جمع الجمع

فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة مجتمعة ولاوقف من ألم نجعل إلى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومماشا (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين المحسن والمسىء والمحق والمبطل (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أوميعادا للثواب والعقاب (يَوْمَ يُنفَخُ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فِي الصُّورِ) فى القرن (فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) حال أى جماعات مختلفة أو أمما كل أمة مع رسولها (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) خفيف كوفى أى شقت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج ومالها اليوم من فروج (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) عن وجه الأرض (فَكَانَتْ سَرَابًا) أى هباء تخيل الشمس أنه ماء (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) طريقا عليه ممر الخلق فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد أى هى حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها (لِلطَّاغِينَ مَآبًا) للكافرين مرجعا (لَابِثِينَ) ما كثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين. حمزة لبثين واللبث أقوى إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فِيهَا) فى جهنم (أَحْقَابًا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب [1] بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) أى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فإذا انقضت هذه الأحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب آخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم أى لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) استثناء منقطع أى لا يذوقون فى جهنم أو فى الأحقاب بردا روحا

---

(١) قوله فأجاب الخ يتدبر.

ينفس عنهم حر النار أو نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميا ماء حارا يحرق مايأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم. وبالتشديد كوفى غير أبى بكر (جَزَآءً) جوزوا جزاء (وِفَاقًا) موافقا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا) لا يخافون محاسبة الله إياهم أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا) تكذيبا وفعال فى باب فعّل كله فاش (وَكُلَّ شَيْءٍ) نصب بمضمر يفسره (أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) مكتوبا فى اللوح حال أو مصدر فى موضع إحصاء أوأحصينا فى معنى كتبنا لأن الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لأن قوله (فَذُوقُوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) فى الحديث «هذه الآية أشد مافى القرآن على أهل النار» (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مفعل من الفوز يصلح مصدرا أى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال (حَدَائِقَ) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وَأَعْنَابًا) كروما عطف على حدائق (وَكَوَاعِبَ) نواهد (أَتْرَابًا) لدات مستويات فى السن (وَكَأْسًا دِهَاقًا) مملوءة (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة حال من ضمير خبر إن (لَغْوًا) باطلا (وَلَا كِذَّابًا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جَزَآءً) مصدر أى جزاهم جزاء (مِنْ رَبِّكَ عَطَآءً) مصدر أوبدل من جزاء (حِسَابًا) صفة يعنى كافيا أو على حسب أعمالهم (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفته ولا يملكون خبر أو هما خبران والضمير فى (لَا يَمْلِكُونَ) لأهل السموات والأرض وفى (مِنْهُ خِطَابًا) لله تعالى أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه أولا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يَوْمَ يَقُومُ) إن جعلته ظرفا للايملكون لاتقف على خطابا وإن جعلته ظرفا للايتكلمون تقف (الرُّوحُ) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال أى

مصطفين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أى الخلائق ثم خوفا من (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ) فى الكلام أو الشفاعة (وَقَالَ صَوَابًا) حقا بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله فى الدنيا أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب فى أمر الشفاعة (ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) الثابت وقوعه (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) مرجعا بالعمل الصالح (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ) أيها الكفار (عَذَابًا قَرِيبًا) فى الآخرة لأن ماهو آت قريب (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ) الكافر لقوله: إنا أنذرناكم عذابا قريبا. (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من الشر لقوله : وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم. وتخصيص الأيدى لأن أكثر الأعمال تقع بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدى مدخل فيما ارتكب من الآثام (وَيَقُولُ الْكَافِرُ) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ماعمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وماقدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شىء قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف أى ما قدمته (يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم .

﴿ سورة النازعات ست وأربعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) لا وقف إلى هنا ولزم هنا لأنه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم . أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد غرقا أى إغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا

أخرجها باولطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم أو بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتى تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه أو بالنجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب والتى تخرج من برج إلى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يَوْمَ تَرْجُفُ) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها (تَتْبَعُهَا) حال عن الراجفة (الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية لأنها تردف الأولى وبينهما أربعون سنة والأولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ) قلوب منكرى البعث (وَاجِفَةٌ) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بمادل عليه قلوب يومئذ واجفة أى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أَبْصَارُهَا) أى أبصار أصحابها (خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يَقُولُونَ) أى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وإنكارا للبعث (أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) استفهام بمعنى الإنكار أى أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الأولى يقال لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أى إلى حالته الأولى ويقال النقد عند الحافرة أى عند الحالة الأولى وهى الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً) بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر. والمعنى أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية وإذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قَالُوا) أى منكرو البعث (تِلْكَ) رجعتنا (إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) رجعة ذات خسران أوخاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت وبعثنا فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) متعلق بمحذوف أى لا تحسبوا

تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه (فَإِذَاهُم بِالسَّاهِرَةِ) فإذاهم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم إلى جنب بيت المقدس أوأرض مكة أو جهنم (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ) حين ناداه (بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المبارك المطهر (طُوًى) اسمه (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) على إرادة القول (إِنَّهُ طَغَىٰ) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ) هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان. وبتشديد الزاى حجازى (وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فَتَخْشَىٰ) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الأمور من خشى الله أتى منه كل خيرومن آمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل» بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى: فقولا له قولا لينا (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا أوالعصا واليد البيضاء لأنهما فى حكم آية واحدة (فَكَذَّبَ) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وَعَصَىٰ) الله تعالى (ثُمَّ أَدْبَرَ) تولى عن موسى (يَسْعَىٰ) يجتهد فى مكايدته أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طيّاشا خفيفا (فَحَشَرَ) فجمع السحرة وجنده (فَنَادَىٰ) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) لا رب فوق وكانت لهم أصنام يعبدونها (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لأن أخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الإحراق (وَالْأُولَىٰ) أى الإغراق أو نكال كلمتيه الآخرة وهى أنا ربكم الأعلى والأولى وهى ما علمت لكم من إله غيرى وبينهما أربعون سنة

أوثلاثون أوعشرون (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ) الله (ءَأَنتُمْ) يامنكرى البعث (أَشَدُّ خَلْقًا) أصعب خلقا وإنشاء (أَمِ السَّمَاءُ) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بَنَاهَا) أى الله ثم بين البناء فقال (رَفَعَ سَمْكَهَا) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فَسَوَّاهَا) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلمتها والشمس سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفى عام ثم فسر البسط فقال (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير العيون (وَمَرْعَاهَا) كلأها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال بإضمار قد (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) بدل من إذا جاءت أى إذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (مَا سَعَىٰ) مصدرية أى سعيه أو موصولة (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) وأظهرت (لِمَن يَرَىٰ) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فَأَمَّا) جواب فإذا أى اذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (مَن طَغَىٰ) جاوز الحد فكفر (وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) المرجع أى مأواه والألف واللام بدل من الإضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) أى علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأمارة بالسوء (عَنِ الْهَوَىٰ) المؤذى أى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) أى المرجع (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى إرساؤها أى إقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) فى شىء أنت من

أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء كقولك ليس فلان من العلم فى شىء وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم إنكار لسؤالهم عنها أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أى إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال أى يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها ثم استأنف فقال إلى ربك منتهاها (إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَـٰهَا) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها . منـــذر منون يزيد وعباس (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا) أى الساعة (لَمْ يَلْبَثُوٓا) فى الدنيا (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَـٰهَا) أى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. وقوله: قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم. وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاه والله أعلم .

﴿ سورة عبس مكية وهى اثنتان وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عَبَسَ) كلح أى النبى ﷺ (وَتَوَلَّىٰٓ) أعرض (أَن جَآءَهُ) لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الْأَعْمَىٰ) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبى ﷺ وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين (وَمَا يُدْرِيكَ) وأى

شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى (لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى فأدغمت التاء فى الزاى وكذا (أَوْ يَذَّكَّرُ) يتعظ (فَتَنفَعَهُ) نصبه عاصم غير الأعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذِّكْرَىٰ) ذكراك أى موعظتك أى أنك لا تدرى ماهو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ) أى من كان غنيا بالمال (فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ) تتعرض بالإقبال عليه حرصا على إيمانه . تصدى بإدغام التاء فى الصاد حجازى (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ (وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ) يسرع فى طلب الخير (وَهُوَ يَخْشَىٰ) الله أو الكفار أى أذاهم فى إتيانك أو الكبوة كعادة العميان (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ) تتشاغل وأصله تتلهى وروى أنه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى أن الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كَلَّا) ردع أى لاتعد إلى مثله (إِنَّهَا) إن السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إياه (فِي صُحُفٍ) صفة لتذكرة أى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أى هى فى صحف (مُّكَرَّمَةٍ) عند الله (مَّرْفُوعَةٍ) فى السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مُّطَهَّرَةٍ) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله تعالى (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة جمع سافر أى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كِرَامٍ) على الله أو عن المعاصى (بَرَرَةٍ) أتقياء جمع بار (قُتِلَ الْإِنسَانُ) لعل الكافر أو هو أمية أو عتبة (مَا أَكْفَرَهُ) استفهام توبيخ أى أى شيء حمله على الكفر أو هو تعجب أى ما أشد كفره (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) من أى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال (مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) على مايشاء من خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) نصب السبيل بإضمار يسر أى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثُمَّ إِذَا شَاءَ

أَنشَرَهُ) أحياه بعد موته (كَلَّا) ردع للإنسان عن الكفر (لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه إلى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أَنَّا) بالفتح كوفى على أنه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا) يعنى المطر من السحاب (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا) بالنبات (فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وَعِنَبًا) ثمرة الكرم أى الطعام والفاكهة (وَقَضْبًا) رطبة سمى بمصدر قضبه أى قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ) بساتين (غُلْبًا) غلاظ الأشجار جمع غلباء (وَفَٰكِهَةً) لكم (وَأَبًّا) مرعى لدوابكم (مَّتَٰعًا) مصدر أى منفعة (لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ) صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أى تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ) لتبعات بينه وبينهم أولاشتغاله بنفسه (وَصَٰحِبَتِهِۦ) وزوجته (وَبَنِيهِ) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ) فى نفسه (يُغْنِيهِ) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ) مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) أى أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (أُوْلَٰٓئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الْكَفَرَةُ) فى حقوق الله (الْفَجَرَةُ) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم .

﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ذهب بضوئها من كورت العمامة إذا لففتها أى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق . وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) تساقطت (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت فى الجو تسيير السحاب (وَإِذَا الْعِشَارُ) جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة (عُطِّلَتْ) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها. عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت من كل ناحية. قال قتادة: يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت أترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار أوقرنت الأرواح بالأجساد أو بكتبها وأعمالها أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الإملاق وخوف الاسترقاق (سُئِلَتْ) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قاتلها أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله: أأنت قلت. للناس الآية (بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يكون بلاذنب (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) فتحت. وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب. والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب ويجوز

ثم زاد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) قال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) أوقدت إيقادا شديدا . بالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) أدنيت من المتقين كقوله: وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة إلى ما أحضرت لأن عامل النصب فى إذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (مَّآ أَحْضَرَتْ) من خير وشر (فَلَآ أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنَّسِ) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله (الْجَوَارِ) السيارة (الْكُنَّسِ) الغيب من كنس الوحش إذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر فهو من الأضداد (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد ضوءه ولما كان إقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ) أى جبريل عليه السلام وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذى نزل به (كَرِيمٍ) عند ربه (ذِى قُوَّةٍ) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عِندَ ذِى الْعَرْشِ) عند الله (مَكِينٍ) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مُّطَاعٍ ثَمَّ) أى فى السموات يطيعه من فيها أو عند ذى العرش أى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه (أَمِينٍ) على الوحى (وَمَا صَاحِبُكُم) يعنى محمدا ﷺ (بِمَجْنُونٍ) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (وَلَقَدْ رَءَاهُ) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) بمطلع الشمس (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ) وما محمد على الوحى (بِضَنِينٍ) ببخيل من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم. بظنين مكى وأبو عمرو وعلى أى بمتهم فينقص

شيئا مما أوحى إليه أو يزيد فيــه من الظنة وهي التهمة (وَمَا هُوَ) وما القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ) طريدوهو كقوله: وماتنزلت به الشياطين. أى ليس هوبقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الـكهنة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب . مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلـكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لـكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وإن من شىء إلا عندنا (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ) ماالقرآن إلاعظة للخلق (لِمَن شَآءَ مِنكُمْ) بدل من العالمين (أَن يَسْتَقِيمَ) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى أن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المنتفعون بالذكر فـكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعا (وَمَا تَشَآءُونَ) الاستقامة (إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ) مالك الخلق أجمعين .

﴿ سورة الانفطار مـكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ) تساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحراواحدا (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) بحثت وأخرج موتاها وجواب إذا (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس برة وفاجرة (مَّا قَدَّمَتْ) ما عملت من طاعة (وَأَخَّرَتْ) وتركت فلم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (يَٰٓأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ) قيل الخطاب لمنـكرى البعث (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ) أىّ شىء خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل. وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله .وعن عمر رضى الله عنه: غره حمقه. وعن الحسن : غره شيطانه. وعن الفضيل: لوخوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة. وعن يحيى ابن معاذ أقول: غرنى برك بى سالفا وآنفا (فَسَوَّىٰكَ) فجعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء

(فَعَدَلَكَ) فصيّرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم. وبالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد أى عدّل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) ما مزيد للتوكيد أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ، ولم تعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كَلَّا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) أصلا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كِرَامًا كَٰتِبِينَ) يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) لا يخفى عليهم شىء من أعمالكم وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ) إن المؤمنين لفى نعيم الجنة (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ) وإن الكفار لفى النار (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) يدخلونها يوم الجزاء (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ) أى لا يخرجون منها كقوله تعالى: وماهم بخارجين منها. ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وإنما تملك الشفاعة بالإذن. يوم بالرفع مكى وبصرى أى هو يوم أو بدل من يوم الدين ومن نصب فبإضمار اذكر أو بإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ) أى لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

﴿ سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَيْلٌ) مبتدأ خبره (لِلْمُطَفِّفِينَ) للذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة. وقال الفراء: من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك وإذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك. والضمير المنصوب فى (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) راجع إلى الناس أى كالوا لهم أووزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أووزنوهم اكتفاء ويحتمل أن المطففين كانوا لايأخذون مايكال ويوزن إلا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون فى الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين (يُخْسِرُونَ) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) يعنى يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لايخطرون ببالهم ولايخمنون تخمينا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولوظنوا أنهم يبعثون مانقصوا فى الكيل والوزن. وعن عبدالملك بن مروان أن أعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ) بمبعوثون (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) لأمره وجزائه وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كَلَّا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) صحائف أعمالهم (لَفِى

(سِجِّينٍ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ) فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم فى كتاب مرقوم فا معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) يوم يخرج المكتوب (لِّلْمُكَذِّبِينَ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ) الجزاء والحساب (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ) بذلك اليوم (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) مجاوز للحد (أَثِيمٍ) مكتسب للإثم (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا) أى القرآن (قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ) أى أحاديث المتقدمين. وقال الزجاج: أساطير أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كَلَّا) ردع للمعتدى الأثيم عن هذا القول (بَلْ) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) غطاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب. وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما إدمان الصوم فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام (كَلَّا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ) عن رؤية ربهم (يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) لممنوعون والحجب: المنع قال الزجاج فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لأنهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون

النار (ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كَلَّا) ردع عن التكذيب (إِنَّ كِتَـٰبَ الْأَبْرَارِ) ما كتب من أعمالهم والأبرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لأنه ذكر فى مقابلة الفجار وبيّن الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لَفِى عِلِّيِّينَ) هو علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علّى فعيل من العلو سمى به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة أو لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له (وَمَا أَدْرَىٰكَ) ما الذى أعلمك يا محمد (مَا عِلِّيُّونَ) أى شىء هو (كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ) تنعم فى الجنان (عَلَى الْأَرَآئِكِ) الأسرة فى الحجال (يَنظُرُونَ) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذبون (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التنعم وطراوته (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ) شراب خالص لا غش فيه (مَّخْتُومٍ خِتَـٰمُهُ مِسْكٌ) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا . أمر الله تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه. خاتَمه علىّ (وَفِى ذَٰلِكَ) الرحيق أو النعيم (فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَـٰفِسُونَ) فليرغب الراغبون وذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات (وَمِزَاجُهُ) ومزاج الرحيق (مِن تَسْنِيمٍ) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنّمه إذا رفعه لأنها أرفع شراب فى الجنة أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عَيْنًا) حال أو نصب على المدح (يَشْرَبُ بِهَا) أى منها (الْمُقَرَّبُونَ) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كفروا (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ) فى الدنيا استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الأصلع فنزلت قبل أن يصل علىّ إلى رسول الله ﷺ (وَإِذَا

انقلبوا إلى أهلهم) أى إذا رجع إلى الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (وإذا رأوهم) وإذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حفظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين ءامنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الأرائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم هلموا إلى الجنة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم .

﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شىء فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم إذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه (وأذنت لربها) فى إلقاء ما فى بطنها وتخليها (وحقت) وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورتى التكوير والانفطار أو جوابه ما دل عليه فملاقيه أى إذا

السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ) خطاب للجنس (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فَمُلَـٰقِيهِ) الضمير للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ) أى كتاب عمله (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات . وفى الحديث «من يحاسب يعذب» فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله فى الجنة من الحور العين (مَسْرُورًا) فرحا (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك (وَيَصْلَىٰ) عراقى غير علىّ (سَعِيرًا) أى ويدخل جهنم (إِنَّهُۥ كَانَ) فى الدنيا (فِىٓ أَهْلِهِۦ) معهم (مَسْرُورًا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه راتعا (إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ) لن يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها حورى أى ارجعى (بَلَىٰٓ) إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ) وبأعماله (بَصِيرًا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الإنسان على إرادة الجنس (طَبَقًا عَن طَبَقٍ) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات أى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل من

طبق نصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه ويفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام أى طبقا من طباق السماء بعد طبق أى فى المعراج (فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) فما لهم فى أن لا يؤمنوا (وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ) لا يخضعون (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث والقرآن (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى ﷺ أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (إِلاَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) استثناء منقطع (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم .

﴿ سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أوعظام الكواكب (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) أى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه مافى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما للإبهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ﷺ ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. أو أمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأيام والليالى وبنو آدم للحديث : ما من يوم إلا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فىّ شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة. أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى : وكفى بالله شهيدا، أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) أى لعن كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعنى كفار

قريش كما لعن أصحاب الأخدود وهو خد أى شق عظيم فى الأرض. روى عن النبى ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضموا إليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال «اللهم إن إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها» فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال : ربى. فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلجّجوا به ليغرقوه فدعافانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فخدّ أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فإنك على الحق فألقى الصبى وأمه فيها (النَّارِ) بدل اشتمال من الأخدود (ذَاتِ الْوَقُودِ) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (إِذْ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هُمْ عَلَيْهَا) أى الكفار على مايدنو منها من حافات الأخدود (قُعُودٌ) جلوس على الكراسى (وَهُمْ) أى الكفار (عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) من الإحراق (شُهُودٌ) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا) وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله:

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *

وقوله :

ما نقموا من بنى أمية إلا   أنهم يحلمون إن غضبوا

وقرىء نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ذكر الأوصاف

التى يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه به حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه إلا مبطل وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابُ جَهَنَّمَ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ) فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود أو هو عام (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) البطش: الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالإعادة (وَهُوَ ٱلْغَفُورُ) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (ٱلْوَدُودُ) المحب لأوليائه وقيل الفاعل لأهل الطاعة ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا (ذُو ٱلْعَرْشِ) خالقه ومالكه (ٱلْمَجِيدُ) وبالجر حمزة وعلى على أنه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فَعَّالٌ) خبر مبتدأ محذوف (لِّمَا يُرِيدُ) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد (هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الأمم الخالية (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) من قومك (فِى تَكْذِيبٍ) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا

﴿ وَاللهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾ أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لايعجزونه والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشىء المحيط به (بَلْ هُوَ) بل هذا الذى كذبوا به (قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) من وصول الشياطين. محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شىء يلوح للملائكة فيقرءونه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طولها ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شىء فيه مسطور . مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم .

﴿ سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لأنه يطرق الجنى أى يصكه وجواب القسم (إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) لأن لما إن كانت مشددة بمعنى إلا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون إن نافية أى ما كل نفس إلا عليها حافظ وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون إن مخففه من الثقيلة أى إن كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الأعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ) لما ذكر أن على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولايملى على حافظه إلا مايسره فى عاقبته ومم خلق استفهام

أى من أى شيء خلق جوابه (خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ) والدفق: صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا: صببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدىء فى خلقه (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ) من صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (إِنَّهُ) إن الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نطفة (عَلَىٰ رَجْعِهِ) على إعادته خصوصا (لَقَادِرٌ) لبيّن القدرة لا يعجز عنه كقوله: إننى لفقير أى لبيّن الفقر . ونصب (يَوْمَ تُبْلَى) أى تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أى يبعثه يوم تبلى (السَّرَآئِرُ) ما أسرّ فى القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال (فَمَا لَهُ) فما للإنسان (مِن قُوَّةٍ) فى نفسه على دفع ما حل به (وَلَا نَاصِرٍ) يعينه ويدفع عنه (وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) أى المطر وسمى به لعوده كل حين (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات (إِنَّهُ) إن القرآن (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فُرْقَان (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (إِنَّهُمْ) يعنى مشركى مكة (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكايد فى إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق (وَأَكِيدُ كَيْدًا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء كقوله: نسوا الله فنسيهم - يخادعون الله وهو خادعهم - الله يستهزىء بهم (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أَمْهِلْهُمْ) أنظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رُوَيْدًا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها إلا مصغّرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة .

﴿ سورة الأعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الأعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام: اجعلوها فى سجودكم (الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى) أى خلق كل شىء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة (وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى) أى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء كقوله: يضل من يشاء ويهدى من يشاء. قدَرَ عليّ (وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أنبت ما ترعاه الدواب (فَجَعَلَهُ غُثَاءً) يابسا هشيما (أَحْوَى) أسود فأحوى صفة الغثاء (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى) سنعلمك القرآن حتى تنساه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لاينفلت منه شىء إلا ماشاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته. وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلاتنسى على النهى والألف مزيدة للفاصلة كقوله: السبيلا أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) أى إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك إلى الجهر أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر ومابطن من أحوالكم (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) معطوف على سنقرئك وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) جواب إن مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على

الإطلاق كقوله : فذكر إنما أنت مذكر . غير مشروط بالنفع (سَيَذَّكَّرُ) سيتعظ ويقبل التذكرة (مَن يَخْشَىٰ) الله وسوء العاقبة (وَيَتَجَنَّبُهَا) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الْأَشْقَى) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله ﷺ قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح من العذاب (وَلَا يَحْيَىٰ) حياة يتلذذ بها وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قَدْ أَفْلَحَ) نال الفوز (مَن تَزَكَّىٰ) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) وكبر للافتتاح (فَصَلَّىٰ) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون بالياء (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) أفضل فى نفسها وأدوم (إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) هـــذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى أى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف أو إلى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لأنه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ) بدل من الصحف الأولى وفى الأثر وفى صحف إبراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه .

﴿سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هَلْ) بمعنى قد (أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة وقيل النار من قوله: وتغشى وجوههم النار (وُجُوهٌ) أى وجوه الكفار وإنما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما فى المرء أثرا فى وجهه (يَوْمَئِذٍ) يوم إذ غشيت (خَاشِعَةٌ) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزى والهوان (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها. تُصْلى أبو عمرو وأبو بكر (تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث فى هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ) وهو نبت يقال له الشِّبرِق فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام إلا من غسلين (لَّا يُسْمِنُ) مجرور المحل لأنه وصف ضريع (وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ) اى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة السمن فى البدن (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع (نَّاعِمَةٌ) متنعمة فى لين العيش (لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) من علو المكان أو القدار (لَّا تَسْمَعُ) يا مخاطب أو الوجوه (فِيهَا لَاغِيَةً) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم لا يسمع فيها لاغية

مكى وأبو عمرو . لا تُسْمَعُ فيها لاغية نافع (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) أى عيون كثيرة كقوله : علمت نفس (فِيهَا سُرُرٌ) جمع سرير (مَّرْفُوعَةٌ) من رفعة القدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وَأَكْوَابٌ) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (مَّوْضُوعَةٌ) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسودة واستند إلى الأخرى (وَزَرَابِيُّ) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والأكواب الموضوعة لا تدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا الطول ، وبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الإبل (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعا بعيد المدى بلا إمساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذا الأكواب (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل فهى أعز أموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولأنها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ولأن خلقها أعجب من غيرها فإنه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا

ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها إلى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى إن ظمأها ليرتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لا يرعاه سائر البهائم (فَذَكِّرْ) فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها (إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) ليس عليك إلا التبليغ (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار ، بمصيطر مدنى وبصرى وعلى وعاصم (إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) الاستثناء منقطع أى لست بمسئول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإن لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم ، وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شىء .

﴿ سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْفَجْرِ) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله: والصبح إذا أسفر، أو بصلاة الفجر (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) عشر ذى الحجة أو العشر الأول من المحرم أو الآخر من رمضان وإنما نكرت لزيادة فضيلتها (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) شفع كل الأشياء ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها أو شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع أو الخلق والخالق والوتر حمزة وعلى وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (وَالَّيْلِ) وقيل أريد به ليلة القدر (إِذَا يَسْرِ) إذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وسأل واحد الأخفش عن سقوط الياء فقال: لا ، حتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال: الليل

لا يسرى وإنما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى: يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هَلْ فِي ذَٰلِكَ) أى فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قَسَمٌ) أى مقسم به (لِّذِي حِجْرٍ) عقل سمى به لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها أو هل فى إقسامى بها إقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله : فصب عليهم ربك سوط عذاب. ثم ذكر تعذيب الأمم التى كذبت الرسل فقال (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الإيقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، والإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة فإرم عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة وتقديره بعاد أهل إرم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال : هى إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال:

هذا والله ذلك الرجل (الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بِالْوَادِ) بوادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ) أى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها إذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الَّذِينَ) فى محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طَغَوْا فِى الْبِلَادِ) تجاوزوا الحد (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) بالكفر والقتل والظلم (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه إذا الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام أى عذبوا عذابا مؤلما دائما (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لإرصاده العباد وأنهم لا يفوتونه وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته ، فقدّر شامى ويزيد (فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ) أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر، قال: ربى أكرمنى أى فضلنى بما أعطانى فيرى الإكرام فى كثرة الحظ من الدنيا وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر، قال ربى أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لأنه لا تهمه إلا العاجلة ومايلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كَلَّا) أى ليس الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقلته بل الإكرام فى توفيق الطاعة والإهانة فى الخذلان وقوله تعالى : فيقول، خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدأ تقديره وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط

له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى: ونبلوكم بالشر والخير فتنة. وإنما أنكر قوله ربى أكرمن مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لأنه قاله على قصد خلاف ماصححه الله عليه وأثبته وهو قصده إن الله أعطاه ماأعطاه إكراما له لاستحقاقه كقوله إنما أوتيته على علم عندى وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بَل لاَّ تُكرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلاَ تَحَٰضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أى بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالبرة وحض أهله على طعام المسكين (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) أى الميراث (أَكْلًا لَّمًّا) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ) يقال حبه وأحبه بمعنى (حُبًّا جَمًّا) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق، ربىَ حجازى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كَلاَّ) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ) إذا زلزلت (دَكًّا دَكًّا) دكا بعد دك أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وَجَاءَ رَبُّكَ) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس (وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قيل إنها برزت لأهلها كقوله: وبرزت الجحيم للغاوين. وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) أى يتعظ (وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ) ومن أين له منفعة الذكرى (يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) هذه وهى حياة الآخرة أى ياليتنى قدمت الأعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ) أى لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده فى ذلك اليوم (وَلَا يُوثِقُ) بالسلاسل والأغلال (وَثَاقَهُ أَحَدٌ) قال صاحب الكشاف: لايعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق

أحداً أحداً كوثاق الله. لايعذب ولايوثق على وهى قراءة رسول الله ﷺ ورجع إليها أبو عمرو في آخر عمره والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبيّ بن خلف أى لايعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ) إكراماله كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التى سكّنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبى يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ) موعد (رَبِّكِ) أو ثواب ربك (رَاضِيَةً) من الله بما أوتيت (مَّرْضِيَّةً) عند الله بما عملت (فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وَٱدْخُلِى جَنَّتِى) معهم وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال: وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين. وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن مسعود فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها. قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال: اللهم إن كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله وقيل هى عامة فى المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

﴿ سورة البلد مكية وهى عشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً فى مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ) أى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه

تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال : وأنت حل بهذا البلد أى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال قوله : إنك ميت وإنهم ميتون . وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو إبراهيم وولده وما بمعنى من أو بمعنى الذى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ) جواب القسم (فِى كَبَدٍ) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا إلى الائتمار والانتهاء والضمير فى (أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الأشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد أى كثر واجتمع يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ) يبصر بهما المرئيات (وَلِسَانًا) يعبر عما فى ضميره (وَشَفَتَيْنِ) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) طريقى الخير والشر المفضيين إلى الجنة والنار وقيل الثديين (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب أو إطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس

كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى إلا مكررة وإنما لم تكرر فى الكلام الأفصح لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن. والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقُحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان. والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والإعانة فى مال الكتابة . فكَّ رقبةً أو أطعم مكي وأبو عمرو وعلى على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض. غيرهم فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ على: اقتحامها فك رقبة أو إطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب إذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى. وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم همٌّ ناصب أى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى داوم على الإيمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل إنما جاء بثم لتراخى الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) بالتراحم فيما بينهم (أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب اليمنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا) بالقرآن أو بدلائلنا (هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم.

﴿ سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) تبعها فى الضياء والنور وذلك فى النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عندانتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله : ماترك على ظهرها من دابة . (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الأولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا يجوز ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال إنها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين[1] لأن قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم وإذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو أقسم فلوجعلت الواو فى والنهار إذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا وإذا تجلى معطوفا على إذا يغشى نصبا فصار كقولك إن فى الدار زيدا أو فى الحجرة عمرا وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز إبراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) أى وبنائها وطحوها أى بسطها وتسوية خلقها فى أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وإنما

---

(١) قوله على عاملين فيه حذف أى على معمولى عاملين مختلفين .

نكرت النفس لأنه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس ، والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدها حسن والآخر قبيح (قَدْ أَفْلَحَ) جواب القسم والتقدير لقد أفلح ، قال الزجاج: صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شيء (مَن زَكَّاهَا) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) أغواها الله، قال عكرمة : أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد، والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسّى دسس والياء بدل من السين المكررة (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (إِذِ انبَعَثَ) حين قام بعقر الناقة (أَشْقَاهَا) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيراً وإذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح عليه السلام (نَاقَةَ اللَّهِ) نصب على التحذير أى احذروا عقرها (وَسُقْيَاهَا) كقولك الأسد الأسد (فَكَذَّبُوهُ) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فَعَقَرُوهَا) أى الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدا لقوله: فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر. لرضاهم به (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم) أهلكهم هلاك استئصال (بِذَنبِهِمْ) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فَسَوَّاهَا) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، فلا يخاف مدنى وشامى .

﴿ سورة الليل إحدى وعشرون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) المغشى أما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها أو النهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب (وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) ظهر بزوال ظلمة الليل (وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وجواب القسم (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ) إن عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ) حقوق ماله (وَٱتَّقَىٰ) ربه فاجتنب محارمه (وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ) بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله (فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ) فسنهيئه للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ) بماله (وَٱسْتَغْنَىٰ) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ) بالإسلام أو الجنة (فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ) للخلة المؤدية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار (وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ) ولم ينفعه ماله إذا هلك، وتردى تفعّل من الردى وهو الهلاك أو تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى أو أنهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فَأَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (نَارًا تَلَظَّىٰ) تتلهب (لَا يَصْلَىٰهَآ) لا يدخلها للخلود فيها (إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) إلا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الإيمان (وَسَيُجَنَّبُهَا) وسيبعد منها (ٱلْأَتْقَى) المؤمن (ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ) للفقراء (يَتَزَكَّىٰ) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة ويتزكى إن جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لأنه داخل فى حكم الصلة، والصلات لا محل لها

وإن جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فحله النصب قال أبو عبيدة : الأشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والأتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله: وسيجنبها الأتقى، لأن التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة، وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له، وقيل هما أبو جهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم المرجئة لأنهم يقولون لا يدخل النار إلا كافر (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ) أى ومالأحد عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الْأَعْلَىٰ) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان (وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام: ولسوف يعطيك ربك فترضى.

﴿ سورة والضحى مكية وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالضُّحَىٰ) المراد وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وإنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه وجواب القسم (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك، روى أن الوحى تأخر عن رسول الله ﷺ أياما فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه، فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، يريد والذاكراته ونحوه: فآوى، فهدى، فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ

الأُولَىٰ) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا، وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الأنبياء وشهادة أمته على الأمم وغير ذلك (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فَتَرْضَىٰ) ولما نزلت قال ﷺ «إذاً لا أرضى قط وواحد من أمتى فى النار» واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه لأقسم فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لأنا أقسم وهذا لأنها إن كانت لام قسم فلامه لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد فتعين أن تكون لام الابتداء ولامه لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر فلابد من تقدير مبتدأ وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف، وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فَآوَىٰ) أى فآواك إلى عمك أبى طالب وضمك إليه حتى كفلك ورباك (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وماطريقه السمع (فَهَدَىٰ) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه الصلاة والسلام من أول حاله إلى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (وَوَجَدَكَ عَائِلاً) فقيرا (فَأَغْنَىٰ) فأغناك بمال خديجة أو بمال أفاء عليك من الغنائم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) فلا تزجره فابذل قليلا أورد جميلا

وعن السدى المراد طالب العلم إذا جاءك فلاتنهره (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح أنها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

﴿ سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أى فسحناه بماأودعناه من العلوم والحكم حتىوسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل ، وعن الحسن ملىء حكمة وعلما (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ) وخففنا عنك أعباءالنبوة والقيام بأمرها ، وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلهاووضعه عنه أن غفر له، والوزر: الحمل الثقيل (ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول. ومن يطع اللهورسوله. والله ورسوله أحق أن يرضوه. وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الأولين وفائدة لك ما عرف فى طريقة الابهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله :ألم نشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ماعلم مبهما وكذلك لك ذكرك، وعنك وزرك (فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا) أى إن مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا بإظهارى إياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله فذكره ماأنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال إن مع العسر يسرا كأنه قال: خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسرا، وجىء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب ، وإنما قال عليه السلام

عند نزولها «لن يغلب عسر يسرين» لأن العسر أعيد معرفا فكان واحدا لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى فصار المعنى إن مع العسر يسرين قال أبو معاذ: يقال إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما فالأمير واحد ومعه غلامان وإذا قال: إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام فالأمير واحد والغلام واحد وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) أى فإذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء، واختلف أنه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى (وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

﴿ سورة والتين مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة ، روى أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: « كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » وقال: « نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال: هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى » وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا، وقيل هما جبلان بالشأم منبتاها (وَطُورِ سِينِينَ) أضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وَهَٰذَا الْبَلَدِ) يعنى مكة (الْأَمِينِ) من أمن الرجل أمانة فهو

أمين وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور : المكان الذى نودى منه موسى، ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين أو الأولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام وجواب القسم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ) وهو جنس (فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شىء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) للإنسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله ﷺ أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم .

﴿ سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) محل باسم ربك النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك كأنه قيل: قل باسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر الخلق مفعولا لأن المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه أو تقديره خلق كل شىء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خَلَقَ الْإِنسَانَ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين مايتناوله الخلق لشرفه ولأن التنزيل إليه ويجوز أن يراد الذى خلق الإنسان إلا أنه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (مِنْ عَلَقٍ) وإنما جمع ولم يقل من علقة لأن الإنسان فى معنى الجمع (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الَّذِى عَلَّمَ) الكتابة (بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هى لمااستقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به (كَلَّا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه (إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ) نزلت فى أبى جهل إلى آخر السورة (أَن رَّءَاهُ) أن رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (اسْتَغْنَىٰ) هو المفعول الثانى (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك (أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ

الْهُدَىٰ) أى إن كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ) أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد (أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) أرأيت إن كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى وهذا كقولك إن أكرمتك أتكرمنى وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كَلَّا) ردع لأبى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام ثم قال (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ) عما هو فيه (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار، والسفع: القبض على الشىء وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالألف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الإضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (نَاصِيَةٍ) بدل من الناصية لأنها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) عن الإسناد المجازى وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطىء (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادى روى أن أبا جهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال: ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال: أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كَلَّا) ردع لأبى جهل (لَا تُطِعْهُ) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (وَاسْجُدْ) ودم على سجودك يريد الصلاة (وَاقْتَرِبْ) وتقرب إلى ربك بالسجود فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد كذا الحديث والله أعلم .

﴿ سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه روى أنه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذر أن أبىّ بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى واسمه الأعظم وساعة الإجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث: من أدركها يقول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن النبى عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (وَالرُّوحُ) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) أى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف (سَلَامٌ هِيَ) ماهى إلا سلامة خبر ومبتدأ أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه فى تلك الليلة (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أى إلى وقت طلوع الفجر . بكسر اللام على وخلف، وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم .

﴿ سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمحمد ﷺ (مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) أى اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به (وَالْمُشْرِكِينَ) عبدة الأصنام (مُنفَكِّينَ) منفصلين عن الكفر وحذف لأن صلة الذين تدل عليه (حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) الحجة الواضحة والمراد محمد ﷺ يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد ﷺ فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ) أى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يَتْلُوا) يقرأ عليهم (صُحُفًا) قراطيس (مُّطَهَّرَةً) من الباطل (فِيهَا) فى الصحف (كُتُبٌ) مكتوبات (قَيِّمَةٌ) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) فنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هـــذا الوصف (وَمَا أُمِرُوا) يعنى فى التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من غير شرك ولا نفاق (حُنَفَاءَ) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) أى دين الملة القيمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ونافع يهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بقبول أعمالهم (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابها (ذَٰلِكَ) أى الرضا (لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرءوا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم .

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أى إذا حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال . وقرىء بفتح الزاء فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) أى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وَقَالَ الْإِنسَانُ مَالَهَا) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وناصبها (تُحَدِّثُ) أى تحدث الخلق (أَخْبَارَهَا) فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الإخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث: تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) أى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أى إليها وأمره إياها بالتحديث (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أَشْتَاتًا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاء أعمالهم (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) نملة صغيرة (خَيْرًا) تمييز (يَرَهُ) أى ير جزاءه (وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قيل هذا فى الكفار والأول فى المؤمنين ويروى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال :

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ‏ ‏ ‏ ‏ كلا جانبى هرشى لهن طريق

وروى أن جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال : حسبى حسبى وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم .

﴿ سورة العاديات مختلف فيها وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا (فَالْمُورِيَاتِ) تورى نار الحباحب وهى ماينقدح من حوافرها (قَدْحًا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة ، والقدح: الصك، والإيراء : إخراج النار، تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فَالْمُغِيرَاتِ) تغير على العدو (صُبْحًا) فى وقت الصبح (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فَوَسَطْنَ بِهِ) بذلك الوقت (جَمْعًا) من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن وجواب القسم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور أى إنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وَإِنَّهُ) وإن الإنسان (عَلَىٰ ذَٰلِكَ) على كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وإنه لأجل حب المال لبخيل ممسك أو إنه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أَفَلَا يَعْلَمُ) الإنسان (إِذَا بُعْثِرَ) بعث (مَا فِي الْقُبُورِ) من الموتى وما بمعنى من (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) ميز ما فيها من الخير والشر (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ والله أعلم .

﴿ سورة القارعة مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْقَارِعَةُ) مبتدأ (مَا) مبتدأ ثان (الْقَارِعَةُ) خبره والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه ماهى

وإنما كرر تفخيما لشأنها (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ) أى أىّ شىء أعلمك ما هى ومن أين علمت ذلك (يَوْمَ) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع يوم (يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألونا لأنها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها (فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) ذات رضا أو مرضية (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ) باتباعهم الباطل (فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ) الضمير يعود إلى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نَارٌ حَامِيَةٌۢ) بلغت النهاية فى الحرارة والله أعلم .

﴿ سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله (حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من فى المقابر من موتاكم (كَلَّا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) فى القبور (كَلَّا) تكرير الردع للإنذار والتخويف (لَوْ تَعْلَمُونَ) جواب لو محذوف أى لو تعلمون ما بين أيديكم (عِلْمَ ٱلْيَقِينِ) علم الأمر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون، بضم التاء شامى وعلى (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل أو

الأول بالقلب والثانى بالعين (عَيْنَ ٱلْيَقِينِ) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ) عن الأمن والصحة فيم أفنيتموها عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن: ماسوى كِنٍّ يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم .

﴿ سورة والعصر مختلف فيها وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلْعَصْرِ) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة ولأن التكليف فى أدائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب وجواب القسم (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ) أى جنس الإنسان لفى خسران من تجاراتهم (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَاتِ) فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى مايبلو به الله عباده، وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم .

﴿ سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَيْلٌ) مبتدأ خبره (لِّكُلِّ هُمَزَةٍ) أى الذى يعيب الناس من خلفهم (لُّمَزَةٍ) أى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (ٱلَّذِى) بدل من كل أو نصب على الذم

(جَمَعَ مَالاً) جمّع شامى وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وَعَدَّدَهُ) أى جعله عدة لحوادث الدهر (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) أى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كَلاَّ) ردع له عن حسبانه (لَيُنبَذَنَّ) أى الذى جمع (فِى الْحُطَمَةِ) فى النار التى شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها (وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ) تعجيب وتعظيم (نَارُ اللهِ) خبر مبتدأ محذوف أى هى نار الله (الْمُوقَدَةُ) نعتها (الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ، وقيل خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها (إِنَّهَا عَلَيْهِم) أى النار أو الحطمة (مُّؤْصَدَةٌ) مطبقة (فِى عَمَدٍ) بضمتين كوفى غير حفص، الباقون فى عَمَد وهما لغتان فى جمع عماد كإهاب وأهب وحمار وحمر (مُّمَدَّدَةٍ) أى تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث: المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة[1] كحاطب الليل لا يبالى من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم .

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب أى عجّب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى إنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) روى أن أبرهة ابن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد

---

(١) قوله حطمة أى كثير الأكل، كما فى المختار .

أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبى جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هرول وأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا، وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج إليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذلك فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) فى تضييع وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرىء القيس: الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطير عليهم (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) حزائق الواحدة إبالة قال الزجاج: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (تَرْمِيهِم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أى الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى (بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ) هو معرب من سنككل وعليه الجمهور أى الآجر (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) زرع أكله الدود .

﴿ سورة قريش مكية وهى أربع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط أى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أو بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش يعنى أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش ، لإلاف قريش شامى أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا وإلافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ) أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ) والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام .

﴿ سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ) أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه (فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى) يكذب بالجزاء هو الذى (يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ) يعنى بهذا المنافقين لا يصلونها سرا لأنهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم فى جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية للفرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا : الحمد لله الذى قال : عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم لأن معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها ذلك فعل المنافقين ومعنى فى أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره والمراءاة مفاعلة من الإراءة لأن المرائى يرائى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار الفرائض فمن حقها الإعلان بها لقوله ﷺ : ولا غمة فى فرائض الله، والإخفاء فى التطوع أولى فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلا، والماعون: الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتعاور فى العادة من الفأس والقدر والدلو والقدحة ونحوها، وعن عائشة رضى الله عنها : الماء والنار والملح والله أعلم.

﴿ سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل: هو نهر فى الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو الخير الكثير فقيل له إن ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) فاعبد ربك الذى أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وَٱنْحَرْ) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان فى النحر لها (إِنَّ شَانِئَكَ) أى من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هُوَ ٱلْأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل سماه الأبتر، والأبتر الذى لا عقب له وهو خبر إن وهو فصل .

﴿ سورة الكافرين ست آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره، قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فآيسوا (لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) أى لست فى حالى هذه عابدا ماتعبدون (وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ) الساعة (مَآ أَعْبُدُ) يعنى الله (وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ماعبدتم (وَلَآ أَنتُمْ) فيما تستقبلون (عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ) وذكر بلفظ ما لأن المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل

ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح فى الأول من وصح فى الثانى مابمعنى الذى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) لكم شرككم ولى توحيدى، وبفتح الياء نافع وحفص، وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى ﷺ جالس فقال له : نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية : أخلص . فقرأ قل هو الله أحد فلما سلم ، قال: يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم .

﴿ سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا) منصوب بسبح وهولما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) النصر الإغاثة والإظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله ﷺ على العرب أوعلى قريش وفتح مكة أوجنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ) هوحال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب إذا فسبح أى إذا جاء نصر الله إياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون فى ملة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) فقل: سبحان الله حامدا له أو فصل له (وَاسْتَغْفِرْهُ) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (إِنَّهُ كَانَ) ولم يزل (تَوَّابًا) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى أن عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال : الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين والله أعلم .

﴿ سورة أبى لهب مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابّة أم تابّة أى هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله ﷺ (وَتَبَّ) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل، كقوله :

جزانى جزاء الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقددلت عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه: وقد تبّ ، روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى الصفا وقال : ياصباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب . فقال عليه الصلاة والسلام: يابنى عبدالمطلب يابنى فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أ كنتم مصدق. قالوا : نعم . قال . فإنى نذير لكم بين يدى الساعة فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا دعوتنا نزلت وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بهادون الاسم أولكراهة اسمه فاسمه عبدالعزى أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ، أبى لَهْب مكى (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ) ما للنفى (وَمَا كَسَبَ) مرفوع وما موصولة أومصدرية أى ومكسوبه أو وكسبه أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه أو الذى كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده. وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى (سَيَصْلَىٰ نَارًا) سيدخل سيصلى البرجمى عن أبى بكر والسين للوعيد أى هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (ذَاتَ لَهَبٍ) توقد (وَامْرَأَتُهُ) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله ﷺ وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل من أحب شتم أم جميل . وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لأنها عطفت على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته والتقدير أعنى حمالة الحطب، وغيره رفع حمالة الحطب على

أنها خبر وامرأته أو هى حمالة (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) حال أو خبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله أعلم .

﴿سورة الإخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) هوضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج إلى الراجع لأنه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا أو الجملة يدلان على معنيين مختلفين فلابد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما: قالت قريش : يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أى هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا أولا فإن كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج إليه وذلك نقص والناقص لا يكون إلها وإن لم يكن كافيا فهو ناقص ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود إلهين محال ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وإن لم يقدر لزم كونه عاجزا ولأنا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون إلها وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها وإن

قدرا جميعا فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال لأن إيجاد الموجود محال وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلها فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا (اللَّهُ الصَّمَدُ) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لَمْ يَلِدْ) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله: أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (وَلَمْ يُولَدْ) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى إلى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لأنه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلها فيفسد القول به كما فسد بإلهين أو غير متصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ولم يكافئه أحد أى لم يماثله، سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته تعالى ، فقوله: هو الله إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها، وفى طى ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام ، وفى ذلك وصفه بأنه حى لأن المتصف بالقدرة والعلم لابد وأن يكون حيا، وفى ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهى نقائص وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها، وقوله: أحد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات ،

وقوله: الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد ، وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة، وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والأولية، وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفى أن يماثله شيء ومن زعم أن نفى الكفء هو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة إذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم، وحاصل كلام الكفرة يئول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف إذا كان مستقرا أى خبرا لأنه لما كان محتاجا إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة وتأخيره إذا كان لغوا أى فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات وإنما قدم فى الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل، قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء وإذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله ، كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفُواً مثقلة غير مهموزة حفص. الباقون مثقلة مهموزة. وفى الحديث: من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك ، وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال : وجبت . فقيل : يارسول الله ما وجبت؟ قال : وجبت له الجنة .

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) أى الصبح او الخلق أوهو واد فى جهنم أوجب فيها (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) أى النار أو الشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصـدر فى موضع الجر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شر أو زائدة (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) الغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه، ووقوبه دخول ظلامه فى كل شىء، وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدى فأشار إلى القمر فقال : تعوذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله فى الـكسوف واسوداده (وَمِن شَرِّ النَّفَّـٰثَـٰتِ فِى الْعُقَدِ) النفاثات: النساء أوالنفوس أوالجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين، والنفث : النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى إنـكار تحقق السحر وظهور أثره (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أى إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلاضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الأسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من إبليس وفى الأرض من قابيل وإنما عرف بعض المستعاذ منه ونـكر بعضه لأن كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونـكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم .

﴿ سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أى مربيهم ومصلحهم (مَلِكِ النَّاسِ) مالكهم ومدبر أمورهم (إِلَٰهِ النَّاسِ) معبودهم ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله: ملك الناس إله الناس عطف بيان لرب الناس لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه مظنة للإظهار دون الإضمار وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة وإن كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم وقيل أراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشبان ولفظ الملك المنبىء عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الإله المنبىء عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين إذ الشيطان مولع بإغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لأنها شغله الذى هو عاكف عليه أوأريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى (الْخَنَّاسِ) الذى عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى وإذا غفل رجع ووسوس إليه (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) فى محل الجر على الصفة أوالرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وإنسى كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه : ما باله . فقال : طُبَّ . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طبه ؟ قال : بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فانتبه ﷺ فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم

فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام ﷺ عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول: باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك . ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فإنه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالى والأيام .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين
وعلى آله هداة الأنام وأصحابه نجوم الإسلام (وبعد) فقد تم طبع
هذا التفسير الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل لأبى البركات عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفى رحمه الله وجعل الجنة
متقلبه ومثواه



